
ردّ الشبهات
عن تاريخ الإمام الحسين عليه السلام
والثورة الحسينية

ردّ الشُّبهات

عن تاريخ الإمام الحسين عليه السلام والثورة الحسينية

تأليف

الأستاذ المساعد الدكتور

هادي التميمي

مركز الدراسات التخصصية في النهضة الحسينية

قسم الشؤون الفكرية في العتبة الحسينية المقدسة

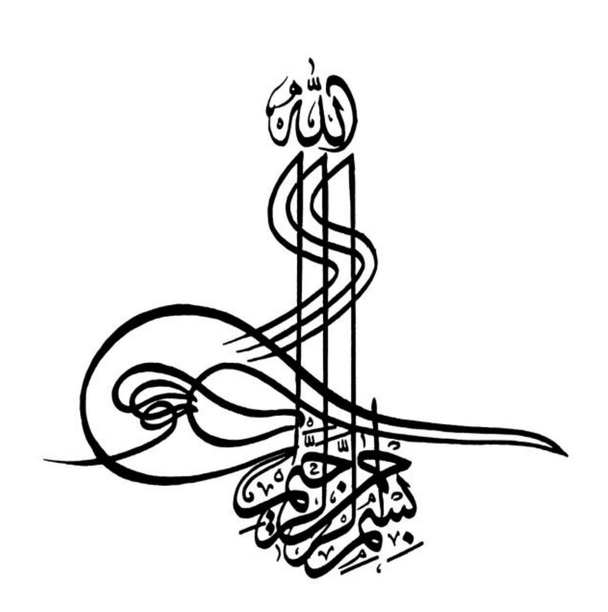


الطبعة الأولى

1435هـ ـ 2014م



إصدار
مركز الدراسات التخصصية في النهضة الحسينية
قسم الشؤون الفكرية



بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿يُرِيدُونَ أَن يُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَيَأۡبَى
ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾

صدق الله العلي العظيم

سورة التوبة: الآية٣٢

الإهداء

إلى...

الأنامل التي أمسكت القلم لترسم لي مستقبلاً أفضل...

يوم كنت يافعاً وقد استهواني التأريخ بكلّ تفاصيله...

فكان ما رسمته لي خطاً بيانياً متصاعداً...

لا يقف عند حدّ...

إلى...

ضميرك النقي أينما كنت... والدي...

وأنت تسير في طريق الإمام الحسين عليه السلام...

أهدي هذا المجهود الذي هو بعض من غرسك اليانع...

وعهداً أن لا أقف عند هذا الحدّ...

سيدي الوالد...

هادي التميمي

مقدمة المركز

لقد عمل مركزنا المبارك (مركز الدراسات التخصصية في النهضة الحسينية) منذ تأسيسه بشعبه ووحداته المتنوّعة على إثراء الواقع العلمي والفكري، من خلال تدوين البحوث، وتأليف وتحقيق الكتب ونشرها، وإصدار المجلّات المتخصّصة، والمشاركة الفاعلة مع شبكة التواصل العالميّة، وإعداد الكوادر العلمية القادرة على مواصلة المسيرة.

إنّ تأسيس هذا المركز المبارك يأتي ضمن ما تبذله الأمانة العام للعتبة الحسينية المقدّسة من جهود كبيرة واهتمامات واسعة في دعم الحركة العلمية والفكرية والثقافية، وتطوير جوانب الكتابة والتأليف والتحقيق والمطالعة، وذلك عن طريق الاهتمام بالشؤون الفكرية، وافتتاح المؤسسات ومراكز الدراسات العلمية، وبناء المكتبات التخصّصية، والتواصل مع الأساتذة والعلماء والمفكّرين، وتشجيع النّخب والكفاءات والطاقات القادرة على بناء صروح العلم والمعرفة.

ثمّ إنه قد قُدّر لهذا العالم الدنيوي أن تصطبغ فصول مسيرته بألوان الصراعات والخلافات بين قيم الحق والخير والفضيلة، وبين ما يضادّها من قوى الشرّ والباطل ، فشهدت البشرية عبر تاريخها الطويل شتى أنواع المآسي والويلات جرّاء احتدام النزاع بين تلك القوى، ما كلّف الإنسان ثمناً باهظاً من حياته واستقراره وهناء عيشه، ولايزال ينوء بثقل هذه التبعات التي أوقرت ظهره ونغصت عليه معيشته.

وهذا من سنن الله الحتمية في هذا الكون ليميز الحق من الباطل، وليكدح الإنسان حتى يلاقي ربه، فيوفيه أجر ما عمل خيراً كان أم شراً.

ومن مقتضيات تلك السُنة الإلهية: ما يمارسه الباطل وأهله من مشاغبات ومحاربات ضد الحق وأتباعه بمختلف السبل والأساليب، ومن بينها أن يَلبس الباطلُ ثوبَ الحق، ويرمي الحق بالأباطيل ليشبّه على الناس حتى يتّبعوه ويتركوا طريق الحق، وذلك بإثارة الشبهات وإلقاء التُهم والأباطيل، ومنه سمّيت الشبة شبهة؛ لأنّها تشبه الحق، كما قال مير المؤمنين عليه السلام.

إنّ عدم قبول الحق ومهاجمته، وعدم التسليم له ببثّ الشبهات ضدّه، مسألة حصلت في مرحلة أبعد من وجود النوع الإنساني على هذه الأرض؛ وذلك حين خلق الله سبحانه آدم وأمر الملائكة بالسجود له، فسجدوا إلّا إبليس أبى أن يسجد، فحين سأله الباري سبحانه عن سبب ذلك: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾، ألقى إبليس أوّل شبهة في تاريخ الكون ليتخلّص من مخالفة الأمر الإلهي بعد أن ركب مركب الكبر والغرور، فقال: ﴿قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾[1]، مدّعياً أنّه خُلق من النار وهي شيء أشرف وجوداً وعنصراً من الطين الذي خُلق منه آدم.

وهكذا عانى الأنبياء والأولياء والمصلحون في طريق الدعوة والإصلاح، من هذا اللون من المواجهة مع الباطل وأعوانه بمختلف مسمّياتهم وأشكالهم. وفي هذا السياق لم تسلم النهضة الحسينية المباركة في نهجها الإصلاحي التنويري من شبهات وافتراءات، حاول أصحابها ـ قديماً وحديثاً ـ التشويه والتشويش على حركتها ودورها الريادي في التوعية والإصلاح، والعمل على حجب نورها عن السائرين على هديها.

فكان حريّاً بالمخلصين من ذوي العقول الراجحة والرؤى الثاقبة وحملة الأقلام

---

(١) الأعراف: ١٢.

المنصفة أن يميطوا عن وجه الثورة الحسينية وتاريخها المبارك لثام الشبهات والتشكيكات ليبدو متلألئاً وضّاءً كالبدر في ظلام الجهل والضلال.

ومن بين هؤلاء المنافحين عن حريم هذه النهضة المباركة فضيلة الأُستاذ الدكتور هادي عبد النبي محمد التميمي في كتابه (رد الشبهات عن تاريخ الإمام الحسين عليه السلام والثورة الحسينية)، والذي تناول فيه مجموعة من الشبهات المتكررة حول تاريخ الإمام الحسين عليه السلام وثورته المباركة، وأجاب عنها بأُسلوب واضح وفق الضوابط والمعايير العلمية وبالرجوع إلى مجموعة كبيرة من المصادر المهمة، فيبتدئ بعرض الشبهة وبيانها وذكر مصدرها، ثم يبيّن الرد عليها باختصار غير مخلّ ولا تطويل مملّ. ونعتقد أن الكاتب كان موفقاً في ردوده وأجوبته عن تلك الشبهات المثارة حول تاريخ ونهضة الإمام الحسين عليه السلام.

ومن منطلق الشعور بالمسؤولية الإلهية ومساهمة منا في الدفاع عن قيم النهضة الحسينية ومبادئها السامية، وبالتوكل على الله تبارك وتعالى، يُسعدنا أن نضع هذا المؤلَّف القيم بين أيدي القرّاء الأعزاء، والذي يندرج كذلك في إطار اهتمامنا بنشر التراث العلمي والنتاج الفكري والكتابات التخصّصية للعلماء والمحقّقين والباحثين؛ بهدف فسح المجال وفتح الأبواب والنوافذ أمام قرّاء الفكر، وطلاب العلم والحقيقة.

وفي الختام نتمنى للمؤلف دوام التوفيق لخدمة القضية الحسينية. ونسأل الله تعالى أن يبارك لنا في أعمالنا إنّه سميع مُجيب.

اللجنة العلمية

في مركز الدراسات التخصصيّة

في النهضة الحسينيّة

المقدّمة

ظهرت في فترات مُختلفة من التاريخ شبهات كثيرة حول شخصية الإمام الحسين عليه السلام وأهدافه الجهاديّة والإيمانيّة الكُبرى، وأحاطت بالثورة الحسينيّة مُنذ انطلاقتها الأُولى، كانت الغاية منها الطعن في شخصيّة الإمام الحسين عليه السلام، والتشكيك في الدور الرسالي الذي أدّاه، وتشتيت الناس عن المضمون الحقيقي الذي انطوت عليه الثورة العظيمة لضرب الارتباط العاطفي المعجز بعاشوراء.

وقد جاء ذلك من فريق من المؤرِّخين والباحثين ـ قديماً وحديثاً ـ الذين اعتمدوا الشاذّ من الأقوال، وطريقة التبرير غير المسوّغ، والتملُّص من الأدلّة المقبولة إلى الادعاءات ظاهرة الزيف والبطلان، بل إنّ قسماً من هذه الشبهات كانت تجري على أقلام بعض المخلصين ممَّن لم يلتفتوا إلى ما يُراد من هذه الأكاذيب والتحريفات.

ولشدّة حساسية هذا الأمر، وتنوّع تأثيراته؛ ارتأينا معالجة بعض هذه الشبهات بنوع من التمحيص، ومجابهتها بالدليل العلمي لرسم تصورٍ صحيح لذلك الحدث المدوّي في تاريخ الإسلام، ولنصرف الأذهان عن التصورات الخاطئة؛ إذ إنّ استجلاء الآفاق الرحبة للثورة الحسينيّة والوقوف عند آثارها الممتدّة بعينٍ واقعية، وقلمٍ مسؤول، وأُسلوبٍ هادئ، وانسجامٍ معرفي مقبول هو أمرٌ ضروريّ ولازم لمواجهة حالات التآمر على التراث الحسيني الزاخر بالعطاء الإلهي المبارك، ولعلّنا لا نغالي إذا قُلنا إنّه جهاد ميمون في سبيل إعلاء الصوت الإلهي الصافي على الأصوات الطنّانة الخادعة.

وقد قسّمنا الكتاب إلى عناوين سقنا من خلالها طائفة من الشبهات التي أُضيفت على تاريخ الإمام الحسين عليه السلام وثورته المباركة، وقد حاولنا مناقشتها على وفق الضوابط والمعايير العلميّة وبالاستعانة بالمصادر والمراجع المتخصّصة، ومن ثَمَّ نترك للقارئ اللبيب أن يستوعب الحقيقة ويستبعد الشبهات الطارئة.

والله الموّفق

شبهة: تسمية الإمام الحسين عليه السلام حرباً

وُلد الإمام الحسين عليه السلام في المدينة المنوّرة في شهر شعبان من السنة الرابعة للهجرة[1].

وقد روي أنّ الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام قد سمّى الإمام الحسن عليه السلام باسم عمّه الحمزة[2] بن عبد المطلب، ثمَّ سمّى حسيناً عليه السلام بعمّهِ جعفر بن أبي طالب، فدعاه الرسول صلى الله عليه وآله وقال له: «**إنّي أُمرت أن أُغيّر اسميهما...، فسماهما حسناً وحسيناً**»[3].

وفي رواية أُخرى أسندها ابن عساكر إلى الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام أنّه قال: «**لمّا وُلد**

---

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٣، ص٨١. المسعودي، مروج الذهب: ج٣، ص٢٩. الأصفهاني، مقاتل الطالبيين: ص٨٤. ابن عبد البرّ، الاستيعاب: ج١، ص٣٧٨.

(٢) «ابن هاشم بن عبد مناف، عمّ رسول الله صلى الله عليه وآله، لقّبه الرسول صلى الله عليه وآله بأسد الله وأسد رسوله بعد إسلامه في السنة السادسة من النبوة، هاجر إلى المدينة المنوّرة، وآخى النبي صلى الله عليه وآله بينه وبين زيد بن حارثة، وعقد له أول لواء في الإسلام في أول سريّة بعث بها إلى سيف البحر لاعتراض قافلة لقريش، شَهد بدراً وكان له فيها صولات، وكان مُعلَّماً بريشة نعامة، استشهد في معركة أُحد سنة ٣هـ ـ ٦٢٤م على يد وحشي بن حرب، الذي شقّ بطنه وأخذ كبده إلى هند بنت عتبة زوجة أبي سفيان فمضغته ولفظته، ثمَّ مثّلت بحمزة. وكان عمره يوم استشهد ٥٩ سنة، وقال عنه الرسول صلى الله عليه وآله: رأيت الملائكة تُغسّل حمزة». ابن سعد، الطبقات: ج٣، ص٨ ـ ص١١.

(٣) ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن به هبة الله (ت٥٧١هـ/١١٧٥م)، ترجمة ريحانة رسول الله الإمام الشهيد الحسين بن علي بن أبي طالب عليهما السلام من تاريخ مدينة دمشق، تحقيق: محمد باقر المحمودي، ط بيروت، ١٣٩٩هـ/١٩٧٨م: ص١٥. ابن العديم، كمال الدين عمر بن أحمد بن أبي جرادة (ت٦٦٠هـ/١٢٦١م)، ترجمة الإمام الحسين من كتاب بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق: عبد العزيز الطباطبائي، ط قم، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م: ص٣١ ـ ص٣٢. الأربلي، كشف الغمّة: ج١، ص٤٨٨.

الحسن سميته حرباً فجاء رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: أروني ابني، ما سميتموه؟ قال: قلت: حرباً. قال: بل هو حسن. فلمّا وُلد حسين سمّاه حرباً، فجاء رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال: أروني ابني، ما سميتموه؟ قال: قلت: حرباً. قال: بل هو حسين. فلمّا وُلد الثالث سميته حرباً، فجاء النبي... قال: بل هو محسن...[1]»[2].

ويمكن أن تكون الرواية الثانية من وضع الوضّاعين من رواة ونقلة الحديث، دسّها المؤرِّخون على صفحات كتبهم إرضاءً لخصوم الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام من الأُمويين وأتباعهم ليظهروه رجلَ حربٍ وسفكِ دماء إلى الدرجة التي دفعته إلى تسمية أولاده باسم (حرب)، فتدخّل الرسول صلى الله عليه وآله وغيّر ذلك الاسم ليخفف غلواءه في حبّ الحرب والسلاح وسفك الدماء!! وانساق وراء ذلك أحد الباحثين فكتب: «**وهكذا عدل النبي صلى الله عليه وآله بأبناء الزهراء عن مسميات الجاهلية، وما تدلّ عليه من القتال وسفك الدماء، واختار لهم أكرم الأسماء، وأجمل المعاني التي تتّفق مع روح الإسلام ومُثله العُليا**»[3]. ثمَّ ألم يكن إعراض الرسول صلى الله عليه وآله عن اسم حرب في ولادة الإمام الحسن عليه السلام كافٍ في إعراض آل البيت عليهم السلام عن تسمية الإمام الحسين عليه السلام والمحسن بهذا الاسم؟! مع ذلك العداء المستحكم بين الهاشميين وآل حرب فما هو المحبِّذ لآل البيت عليهم السلام بتسمية أبنائهم باسم حرب الذي ينتمي له أبو سفيان قائد المشركين بمكّة آنذاك[4]، فضلاً عن أنّ لدينا رواية أُخرى وردت عن الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام في تسمية الإمامين الحسن

---

(١) ذُكر المحسن ضمن أولاد الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام، وذكر بعض الشيعة أنّ السيدة الزهراء فاطمة عليها السلام أسقطت بعد النبي صلى الله عليه وآله ولداً ذكراً، كان قد سمّاه النبي صلى الله عليه وآله ـ وهو حمل ـ محسناً. الشيخ المفيد، الإرشاد: ج١، ص٣٥٥، وينظر: الطبري، ذخائر العقبى: ص١٩٤ ويُستفاد من هذه الرواية أنّ النبي صلى الله عليه وآله كان يُسمي أولاد الزهراء عليها السلام حتى قبل أن يولدوا.

(٢) ابن عساكر، ترجمة ريحانة رسول الله: ص١٧. ابن الأثير، أُسد الغابة: ج٢، ص١٨.

(٣) يوسف، سيد شباب أهل الجنّة: ص٥٥.

(٤) أبو علم، الحسين بن علي: ص٢٣.

والحسين عليهما السلام جاء فيها أنّ النبي صلى الله عليه وآله سأل الإمام أمير المؤمنين علياً عليه السلام: «**أي شيءٍ سميت ابني؟ قال: ما كنت لاسبقك بذلك. قال: ولا أنا سابق ربِّي، فهبط جبريل** عليه السلام**، فقال: يا محمد، إنّ ربّك يُقرئك السلام ويقول لك: عليٌّ منك بمنزلة هارون من موسى، لكن لا نبيّ بعدك، فسمِّ ابنك هذا باسم وَلَد هارون... فقال: سَمِّه الحسن، ففعل** صلى الله عليه وآله**، فلمّا كان بعد حول وُلِد الحسين... فقال: سمِّه حسيناً**»(١)، وبغضّ النظر عن صحّة إحدى الروايتين، فإنّ الذي سمّى أولاد الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام ـ الإمامان الحسن والحسين عليهما السلام والمحسن ـ بهذه الأسماء هو رسول الله صلى الله عليه وآله وبيّن ذلك بقوله: «**سميتهم بأسماء وِلْد هارون شبَّر وشبير ومشبر**»(٢). ولا خلاف بين المؤرِّخين المتقدِّمين منهم والمتأخرين أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله هو الذي تولّى تسميتهم.

---

(١) الطبري المكّي، ذخائر العقبى: ص٢٠١.

(٢) ابن عساكر، ترجمة ريحانة رسول اللّه: ص١٧ ـ ص١٨. ابن الأثير، أُسد الغابة: ج٢، ص١٨. يوسف، سيد شباب أهل الجنّة: ص٥٥.

شُبهة: إنّ الإمام الحسين عليه السلام لم يروِ أحاديث جدّه صلى الله عليه وآله

وردت بعض العبارات التي توحي بأنّ الإمام الحسين عليه السلام لم يروِ أحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله، من ذلك قول ابن خياط:

«ولا نحفظ له حديثاً عن رسول الله صلى الله عليه»[1].

ويبدو هذا غريباً على مَن تربّى في حجر النبي صلى الله عليه وآله الطاهر، وتفتّحت أكمامه على نور هدايته، واكتحلت عيناه بمشهده[2]؛ إذ كان الإمام الحسين عليه السلام قد حفظ حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وروى كثيراً منه، وبعد البحث في المصادر المتقدّمة وجدنا أنّ الإمام الحسين عليه السلام روى جملة من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله، وشيئاً من سيرته، ومنها[3]:

- **«للسائل حقّ وإن جاء على فرس»**.
- **«ما مِن مسلم ولا مسلمة يُصاب بمصيبة فيذكرها وإن طال عهدها فيُحدث لذلك استرجاعاً إلّا جدّد اللهُ له عند ذلك؛ فأعطاه مثل أجرها يوم أُصيب بها»**.
- **«البخيل مَن ذُكرتُ عنده ثمّ لم يُصلِ عليّ»**.

---

(١) ابن خياط، أبو عمرو خليفة بن خياط بن أبي هبيرة العصفري (ت٢٤٠هـ/٨٥٤م)، طبقات خليفة، تحقيق: سُهيل زكّار، ط مكّة المكرمة، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م: ص٣٠.

(٢) حسن، زعماء الإسلام: ص١٩٨.

(٣) ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد (ت٢٤١هـ/٨٥٥م)، مسند أحمد، ط بيروت، (بلا.ت): ج١، ص٢٠١.

ـ «علمني جدّي صلى الله عليه وآله كلمات أقولهن في الوتر: ربِّ اهدني فيمَن هديت، وعافني فيمَن عافيت، وتولني فيمَن توليت، وبارك لي فيما أعطيت، وقني شرَّ ما قضيت، فإنّك تقضي ولا يُقضى عليك، وإنّك لا تَذلّ مَن واليت، تباركت ربّنا وتعاليت».

ـ «إنّما قام رسول الله صلى الله عليه وآله من أجل جنازة يهودي مُرّ بها عليه، فقال: آذاني ريحها».

ـ «صعدت إلى غرفة، فأخذت تمرة، فلُكْتُها في فمي، فقال النبي صلى الله عليه وآله: القِها، فإنّه لا تحلُّ لنا الصدقة».

وورد عن الإمام الحسين عليه السلام أنّه خطب أصحابه في طريقه إلى الكوفة، فحمد الله وأثنى عليه، ثمَّ قال: «**أيها الناس، إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: مَنْ رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله، ناكثاً لعهد الله، مخالفاً لسنّة رسول الله، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، فلم يُغيِّر عليه بفعل ولا قول، كان حقّاً على الله أن يدخله مُدخلَه**»(١).

وروى الإمام الحسين عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله(٢):

ـ «إنّ الله يحبّ معالي الأُمور ويكره سفاسفها».

ـ «عقلت عن رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّه يكبِّر فأُكبِّر خلفه، فإذا سمِعَ تكبيري أعاد التكبير حتى يُكبّر سبعاً».

ـ «علمني رسول الله صلى الله عليه وآله: قل هو الله أحد، وعلَّمَني الصلوات الخمس».

ـ «مَن يُطع اللهَ يرفعه، ومَن يعصِ اللهَ يضعه، ومَن يُخلص نيّته لله يزينه، ومَن يثق بما عند الله يُغنه، ومَن يتعزز على الله يُذلّه».

كما أورد الإمام الحسين عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله قوله: «**أمان أُمّتي من الغرق إذا ركبوا البحر أن يقرؤوا** ﴿بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾(٣)»(٤).

---

(١) الطبري، تاريخ الأُمم والملوك: ج٦، ص٢١٥. ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٤٠٨.

(٢) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي: ج٢، ص١٧١.

(٣) هود: الآية٤١.

(٤) ابن الأثير، أُسد الغابة: ج٢، ص١٩.

ونقل الإمام الحسين عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله قوله: «**إنّ مِن حُسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه**»(١).

وممّا رواه الإمام الحسين عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله(٢):

ـ «**مَن ذكرت عنده فخطئ الصلاة عليّ خطئ طريق الجنّة**».

ـ «**اعتكاف عشر في رمضان كحجّتين وعمرتين**».

ـ «**يا أيها الناس، لا ترفعوني فوق قدري؛ فإنّ الله اتّخذني عبداً قبل أن يتّخذني نبيّاً**».

ـ «**لا تطرقوا الطير في أوكارها فإنّ الليل له أمان**».

ـ «**حَمَلَة القرآن عُرفاء أهل الجنّة يوم القيامة**».

وقال الإمام الحسين عليه السلام: «**رأيت النبي صلى الله عليه وآله يشرب وهو قائم**»(٣).

وذكر أنّه سمع رجلاً يقول للرسول صلى الله عليه وآله: «**إنّي جبان، فقال صلى الله عليه وآله: هلمَ إلى الجهاد، لا شوكة في الحجّ**»(٤).

وما نقله الإمام الحسين عليه السلام قوله: «**كان رسول الله صلى الله عليه وآله في حجر علي عليه السلام وكان يوحى إليه، فلمّا سرى عنه قال: يا علي، صلّيت العصر، قال: لا. قال اللهم إنّك تعلم أنّه كان في حاجتك، وحاجة رسولك فرُدّ عليه الشمس، فردّها عليه؛ فصلّى وغابت الشمس**»(٥).

إنّ هذه جملة من الأحاديث التي رواها الإمام الحسين عليه السلام عن جدِّه رسول الله صلى الله عليه وآله،

---

(١) ابن حنبل، أحمد، مسند أحمد: ج١، ص٢٠١. الترمذي، الجامع الصحيح: ص٦٣٤.

(٢) الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي (ت٣٦٠هـ/٩٧٠م). المعجم الكبير، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، ط٢، القاهرة، (بلا.ت): ج٣، ص١٢٨، وص١٣١ ـ ص١٣٢.

(٣) الطبراني، المعجم الكبير: ج٣، ص١٠٦.

(٤) المصدر نفسه: ج٣، ص١٣٥.

(٥) المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت٣٤٦هـ/٩٥٧م)، إثبات الوصية للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، ط٢، بيروت، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م: ص١٦٢. الطبراني، المعجم الكبير: ج٢، ص١٥٢.

وهناك أحاديث أُخرى يضيق بها المجال[1]، ولا يُعرف كيف غابت عن ابن خيّاط؟!

وقد ظلّ الإمام الحسين عليه السلام ما يقرب من سبع سنين في ظِلال النبوّة، نال فيها رعاية صاحبها صلى الله عليه وآله وحبّه وحنوّه، وترك رسول الله صلى الله عليه وآله تراثاً ثرّاً من الأحاديث النبويّة الشريفة التي حفلت بها كتب السُنن والسِيَر والتاريخ، ارتبط خلالها حبّ الرسول صلى الله عليه وآله بحبّه للإمام الحسين عليه السلام، وشرطاً له في بعض الأحيان، وجاء النصّ الإلهي ليؤيّد رسوله الكريم صلى الله عليه وآله في هذه المنزلة العظيمة التي حظي بها الإمام الحسين عليه السلام، وذلك من عظمة البيت الذي ينتمي إليه.

وأورد هنا بعضاً من أحاديث النبي صلى الله عليه وآله في فضل ومكانة الإمام الحسين عليه السلام:

ـ أبصر النبي صلى الله عليه وآله الإمامين الحسن والحسين عليهما السلام، فقال: «**اللهم إنّي أُحبُّهما فأحبّهما**»[2].

ـ كان رسول الله صلى الله عليه وآله حاملاً الإمام الحسين عليه السلام على عاتقه، فقال رجل: «**نعم المركب ركبت يا غلام. فقال النبي صلى الله عليه وآله: ونعم الراكب هو**»[3].

ـ قال الرسول صلى الله عليه وآله عن الإمامين الحسن والحسين عليهما السلام: «**هما ريحانتاي من الدنيا**»[4].

---

(١) يمكن الرجوع إلى أحاديث أُخرى أوردها: الدولابي، أبو بشر محمد بن أحمد بن حمّاد الأنصاري (ت٣١٠هـ/٩٢٢م)، الذرية الطاهرة، تحقيق: محمد جواد الحسيني الجلالي، ط٢، بيروت، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م: ص١٢٣ ـ ص١٣٣.

(٢) الترمذي، الجامع الصحيح: ص٩٩١. النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب (ت٣٠٣هـ/٩١٥م)، خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، تحقيق: محمد الكاظم المحمودي، ط إيران، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م: ص١٩٣. ابن عساكر، ترجمة الإمام الحسين: ص٩٤.

(٣) الترمذي، الجامع الصحيح: ص٩٩١. الشيرواني، حيدر علي بن محمد (من أعلام القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي)، ما روته العامّة من مناقب أهل البيت عليهم السلام، تحقيق: محمد الحسون، ط٢، إيران، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م: ص٢٤٠، السحار، حياة الحسين: ص١١. يوسف، سيد شباب أهل الجنّة: ص٩٣، عبد العليم، سيدنا الإمام الحسين: ص٢٥.

(٤) البخاري، صحيح البخاري: ص٦٦٥. ابن ماجة، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت٢٧٥هـ/ ٨٨٨م)، سنن ابن ماجة، ط بيروت، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م: ص٣٦. النسائي، الخصائص: ص١٩٨. خالد، خالد محمد، أبناء الرسول في كربلاء، ط٨، القاهرة، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م: ص٦٣. أبو النصر، فاطمة: ص١٠٥. عبد العليم، سيدنا الإمام الحسين: ص٢٥.

شُبهة: الإمامان الحسن والحسين عليهما السلام ليسا ابني النبي صلى الله عليه وآله

لم يكن من مصلحة الأُمويين الإبقاء على الأحاديث النبويّة التي تؤكّد عمق الترابط والصلة الحميمة بين الرسول صلى الله عليه وآله والإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام والإمامين الحسن والحسين عليهما السلام خاصّة وآل أبي طالب عامّة[1]، وإذا كانت سياسة سبّ الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام على المنابر[2] كفيلةً بتحقيق ما أرادوه من تشويه صورة الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام ـ كما تصوروا ـ فلا بدّ من تحريف ما تسالم عليه المسلمون من أُبوّة النبي صلى الله عليه وآله للإمامين الحسن والحسين عليهما السلام ليصبح بعد ذلك فعل الأُمويين المُشين بقتل ابن رسول الله وريحانته وسبي عياله أمراً عاديّاً لا تستنكره الأجيال، بل لا يدخل في عداد المحرَّم والقبيح، ولذلك

(١) ومن الموضوعات التي طالت آل أبي طالب، وحاولت إضعاف علاقة المجتمع بهم الحديث الموضوع على لسان رسول الله صلى الله عليه وآله: «ألا إنّ آل أبي طالب ليسوا بأوليائي». ابن أبي الحديد، شرح النهج: ج٤، ص٦٣ ـ ص٦٤.

(٢) إنّ الأُمويين وولاتهم كانوا لا يألون جهداً في سبّ الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام على المنابر وأواخر الخطب، حتى بلغت المنابر التي سُخّرت لذلك في أيام الأُمويين سبعين ألف منبر حسب ما نُقل عن السيوطي. يُنظر: البلاذري، أنساب الأشراف: ج٢، ص٤٠٧. ابن أبي الحديد، شرح النهج: ج٤، ص٥٧. السيوطي، تاريخ الخلفاء: ص٢٨٥. ابن عقيل، النصائح الكافية: ص١٢٦. ولمزيد من الحقائق العلمية عن سياسة السبّ يُنظر الدراسة القيّمة التي قدمها علي رحيم أبو الهيل الجابري الموسومة بـ: السياسة الأُموية المضادّة للإمام علي عليه السلام دراسة في سياسة السبّ، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة البصرة، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.

تجرّأ الحجّاج[١] ذات يوم للقول في مجلسٍ ضمّ قوماً اجتمعوا إليه: إنّ الإمام الحسين عليه السلام ليس من ذرية النبي صلى الله عليه وآله، فقال أحدهم: كذبت أيها الأمير!! فقال الحجاج: لتأتيني ببينة ومصداق من كتاب الله، أو لأقتلنَّك قتلاً! فقال الرجل: قال تعالى: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ * وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[٢] فأخبر الله عزّ وجلّ أنّ عيسى عليه السلام من ذرية آدم عليه السلام لأُمّه، والإمام الحسين عليه السلام من ذرية محمد صلى الله عليه وآله بأُمّه، قال: صدقت، فما حملك على تكذيبي في مجلسي؟ قال: ما أخذ الله على الأنبياء ليبيّننه للناس ولا يكتمونه، فنفاه إلى خراسان[٣].

وممّا روي عن النبي صلى الله عليه وآله في حقّ الإمامين الحسن والحسين عليهما السلام وأنّهما ولداه:

ـ قوله «**أمّا أنت يا علي، فختني وأبو ولدي وأنت منّي وأنا منك**»[٤]. «**لكلّ بني أُمّ عصبة ينتمون إليها إلّا ابني فاطمة فأنا وليهما وعصبتهما**»[٥].

---

(١) ابن يوسف بن الحكم الثقفي، ولد سنة ٤٠هـ/٦٦٠م، أو ٤١هـ/٦٦١م، كان خطيباً مفوهاً لجوجاً حقوداً كما وصف نفسه لعبد الملك بن مروان، ووصفه عمر بن عبد العزيز بالخبث، فقال: «لو جاءت كلّ أُمّة بخبيثها وجئنا بالحجّاج لغلبناهم». وقد قتل من المسلمين عدداً كبيراً، واعترف أنّه ضرب بسيفه مائة ألف. هلك سنة ٩٥هـ/٧١٣م في أيام الوليد بن عبد الملك. ابن الأثير، الكامل: ج٤، ص٢٨٤ ـ ص٢٨٦.

(٢) الأنعام: آية٨٤ ـ آية٨٥.

(٣) الحاكم النيسابوري، المُستدرك: ج٣، ص٣٧٥، وخراسان: بلد معروف في بلاد فارس ومعناه بالفارسية مطلع الشمس، وقد دخل أهلها الإسلام رغبة منهم من دون قتال، وظهر من هذه البلاد الكثير من العلماء ورجالات الدولة كالبرامكة والقحاطبة، وطاهر وبنوه. البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز (ت٤٨٧هـ/١٠٩٤م)، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق: مصطفى السقّا، ط٣، القاهرة، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م: ج٢، ص٤٨٩ ـ ص٤٩٠.

(٤) الحاكم النيسابوري، المستدرك: ج٣، ص٣٧٤.

(٥) المصدر نفسه: ج٣، ص٣٧٤.

ـ وقد جاء الإمامان الحسن والحسين عليهما السلام يستبقان إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ـ ذات يوم ـ فضمّهما إليه، ثمَّ قال: «**إنّ الولد مبخلة مجبنة محزنة**»[١].

وقد وُجد بعض المحتجّين بإبوّة النبي صلى الله عليه وآله لأولاد السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام سنداً قرآنياً لا مناص من الإقرار به والركون إليه، هو أنّ القرآن الكريم قد أطلق على الحسنين عليهما السلام لفظ أبناء رسول الله صلى الله عليه وآله، وذلك في آية المباهلة: ﴿**فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ**﴾[٢]، وقد صرّحت المصادر أنّ المقصود بأبنائنا التي وردت في النصّ القرآني تتعلّق بالإمامين الحسن والحسين عليهما السلام، ونسائنا فاطمة، وبأنفسنا علياً عليه السلام[٣].

وقد جاءت السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام ـ ذات مرّة ـ إلى الرسول صلى الله عليه وآله بابنيها تطلب منه أن يورثهما، فقال: «**أمّا حسن، فإنّ له هيبتي وسؤددي، وأمّا حسين، فله جُرأتي وجودي**»[٤].

وذُكر أنّ النبي صلى الله عليه وآله صلّى مرّةً وعنده الإمام الحسين عليه السلام فسجد سجدةً أطالها، فقال أحدهم: «**فرفعت رأسي من بين الناس، فإذا الرسول صلى الله عليه وآله ساجد، وإذا الغلام راكب على ظهره، فعدّت وسجدت، فلمّا انتهى صلى الله عليه وآله من صلاته سأله الناس: لقد سجدت في صلاتك هذه سجدة ما كنت تسجدها، أَفَشيءٌ أُمرت به، أو كان يوحى إليك؟ قال: لم يكن ذلك**

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) آل عمران: آية٦١.

(٣) يُنظر: الطبري، جامع البيان: ج٣، ص٢١٢. الحاكم النيسابوري، المستدرك: ج٣، ص١٥٠. السيوطي، الدرّ المنثور: ج٢، ص٣٨.

(٤) ابن عساكر، ترجمة الإمام الحسين: ص٣٤. الكنجي الشافعي، أبو عبد الله محمد بن يوسف بن محمد (ت٦٥٨هـ/١٢٥٩م)، كفاية الطالب في مناقب علي بن أبي طالب عليه السلام، تحقيق: محمد هادي الأميني، ط٣، طهران، ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م: ص٤٢٤.

ولكن ابني ارتحلني، فكرهت أن أعجله حتى يقضي حاجته»[١].

وقد سُئل الرسول صلى الله عليه وآله: أيّ أهل بيتك أحبّ إليك؟ قال: «**الحسن والحسين**»، وكان يقول لفاطمة الزهراء عليها السلام: «**ادعِ لي ابنَيّ**»، فيشمّهما ويضمّهما إليه[٢]. وقد قرن محبته بمحبتهما، فقال صلى الله عليه وآله: «**الحسن والحسين ابناي، مَن أحبَّهما أحبَّني، ومَن أحبَّني أحبَّه الله، ومَن أحبّه الله أدخله الجنّة، ومَن أبغضهما ابغضني، ومَن أبغضني أبغض الله، ومَن أبغض الله أدخله النار**»[٣].

---

(١) الحاكم النيسابوري، المستدرك: ج٣، ص٣٧٦. ابن عساكر، ترجمة الإمام الحسين: ص١٠٦. لطفي، حسن أحمد، الشهيد الخالد الحسين بن علي، ط مصر، ١٣٦٧هـ/١٩٤٧م: ص١٩. العقّاد، أبو الشهداء الحسين بن علي: ص١٣٢ ـ ص١٣٣. عبد العليم، سيدنا الإمام الحسين: ص٢٤ ـ ص٢٥. منصور، الشقيقان في كربلاء: ص١٧. محمد، ريحانة الرسول: ص٣٧. أبو النصر، فاطمة: ص١٠٢. أبو كف، آل بيت النبي: ص١٧.

(٢) الترمذي، الجامع الصحيح: ص٩٨٩. ابن عساكر، ترجمة ريحانة رسول الله: ص٨٩. منصور، الشقيقان في كربلاء: ص١٥.

(٣) الحاكم النيسابوري، المستدرك: ج٣، ص٣٧٦.

شبهة: مشاركة الإمام الحسين عليه السلام في الفتوح
(إفريقيا، طبرستان، جرجان، قسطنطينية، مصر)

لقد نقلت المصادر التاريخية بعض أخبار الإمام الحسين عليه السلام في عهد عثمان بن عفان (٢٣هـ/ ٦٤٣ ـ ٣٥هـ/ ٦٥٥م)، فلدينا بعض الروايات المصرية[1] عن خروج الإمام الحسين عليه السلام إلى إفريقية[2] في المدد الذي أرسله عثمان إلى عبد الله بن أبي سرح[3] أخو عثمان من الرضاعة وقائد جيشه إلى إفريقية سنة ٢٦هـ/ ٦٤٦م، إلّا أنّ هذه الروايات لا تصمد أمام ما ذكره المؤرِّخون المتقدِّمون من أمثال الطبري[4] الذي بيّن أنّ فتح إفريقية كان سنة ٢٧هـ/ ٦٤٧م وليس كما نقل الكتّاب المصريون، فضلاً عن أنّ الطبري الذي أرّخ لفتح

---

(١) يُنظر: العقّاد، أبو الشهداء: ص١٤٣. محمد، أهل البيت في مصر: ص٦٠، أبو النصر، الحسين بن علي: ص٣٨.

(٢) بلاد واسعة، ومملكة كبيرة قبال جزيرة صقلية، وينتهي آخرها قبال جزيرة الأندلس، سُمّيت بهذا الاسم لتفريقها بين مصر والمغرب، وقد نهى عمر بن الخطاب واليه عمرو بن العاص من الدخول إلى إفريقية لقسوة مائها، وفُتحت في أيام عثمان بن عفان عُنوةً على يد عبد الله بن أبي سرح، وقُتل بطريقها، وغُنمت أموالها ثم صالح عظماؤها على ثلثمائة قنطار من الذهب مقابل الكف عنهم.
البكري، معجم ما استعجم: ج١، ص١٧٦ ـ ص١٧٧. ياقوت، معجم البلدان: ج١، ص٢٨٨ ـ ص٢٢٩.

(٣) ابن سعد بن أبي سرح بن الحارث القرشي، أسلم قبل الفتح وهاجر، وكان يكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وآله، ثمَّ ارتدّ مشركاً وصار إلى قريش بمكّة، فأمر رسول الله صلى الله عليه وآله بقتله يوم فتح مكّة سنة ٨هـ/٦٢٩م ففرّ، ثمّ أسلم، وولّاه عثمان مصر، لم يبايع الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام في خلافته. هلك سنة ست أو سبع وثلاثين للهجرة.
يُنظر: ابن قتيبة، المعارف: ص١٧٠. ابن عبد البر، الاستيعاب: ج٢، ص٣٧٤ ـ ص٣٧٨.

(٤) الطبري، تاريخ الأُمم والملوك: ج٥، ص٩٣.

إفريقية لم يذكر في تفاصيل الحادثة بأنّ عبد الله طلب مدداً من عثمان، أو أنّ عثمان أرسل له مدداً من المدينة كان فيه الإمامين الحسن والحسين عليهما السلام، وعبد الله بن الزبير، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن عمرو بن العاص كما ذكر ذلك ابن خلدون(١) والسلاوي(٢) والحسني(٣)، الذين كانوا المصدر الأساس لمعلومات الباحثين في هذه القضية، فضلاً عن أنّ أيّاً ممَّن ترجم للإمام الحسين عليه السلام لم يذكر أنّه غاب عن المدينة المنورة بمثل المدّة التي ذُكرت لإقامة الجيش الإسلامي في إفريقية(٤).

ويبدو أنّ الباحثين الذين نقلوا هذه الرواية ساروا على منهجهم في أخذ الروايات التاريخية من المصادر المتأخّرة، من دون مقابلتها مع المصادر المتقدِّمة(٥) لبيان مصداقية تلك الروايات.

---

(١) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد الحضرمي (ت٨٠٨هـ/١٤٠٥م)، تاريخ ابن خلدون (العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومَن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر)، ط بيروت، ١٤٠٠هـ/١٩٧٩م: ج٢، ص١٢٨ ـ ص١٢٩.

(٢) السلاوي، أبو العباس أحمد بن خالد الناصري (ت١٣١٥هـ/١٨٩٧م)، الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق: جعفر الناصري ومحمد الناصري، ط الدار البيضاء، ١٣٦٥هـ/١٩٤٥م: ج١، ص٣٦.

(٣) الحسني، هاشم معروف، سيرة الأئمّة الاثنى عشر، ط٥، إيران، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م: ج٢، ص١٦.

(٤) «وقد رجع ذلك الجيش بعد مقامه في إفريقية سنة وثلاثة أشهر». العلايلي، الإمام الحسين: ص٣١٣. يوسف، أحمد يعقوب، أمير المؤمنين سيدنا عثمان بن عفان. ثالث الخلفاء الراشدين من الإسلام إلى الاستشهاد، ط القاهرة، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م: ص٢١٧ ـ ص ٢١٩. وقد اختلف يوسف مع مَن سبقه في سنة الخروج إلى إفريقية، ومَن خرج من الصحابة في المدد.

(٥) للاستدلال على ذلك تمَّ الاطّلاع على المصادر التالية فوجد أنّها لا تذكر اشتراك الإمام الحسين عليه السلام في فتح إفريقية.

ابن قتيبة، الإمامة والسياسة: ج١، ص٢٧ ـ ص٤٢. البلاذري، فتوح البلدان: ص٢٦٧. وقد ذكر جملة من أبناء الصحابة من دون أن يورد اشتراك الإمامين الحسن والحسين عليهما السلام. الدينوري، أبو حنيفة أحمد بن داود (٢٨٢هـ/٨٩٥م): الأخبار الطوال، تحقيق: عبد المنعم عامر، مراجعة: جمال الدين الشيال، ط٢، قم، ١٣٧٩هـ/١٩٥٩م: ص١٣٩. ابن أعثم، أبو محمد أحمد الكوفي (ت٣١٤هـ/٩٢٦م)، كتاب الفتوح، تحقيق: علي شيري، ط بيروت، ١٤١٢هـ/١٩٩١م: ج٢، ص٣٥٧ ـ ص٣٦١. ابن الأثير، الكامل: ج٢، ص٤٨٢ ـ ص٤٨٥.

وفي رواية أُخرى ذُكر أنّ الإمام الحسين عليه السلام غزا مع سعيد بن العاص(١) من الكوفة طبرستان(٢) سنة ٣٠هـ/ ٦٥٠م، ومعه عبد الله بن العباس وجمع من صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله، وكان صاحب طبرستان الأصبهذ قد سأل المسلمين الأمان، فأعطاهم سعيد الأمان على أن لا يقتل منهم رجلاً واحداً، ففتحوا الحصن فقتلهم جميعاً إلّا رجلاً واحداً، وحوى كلّ ما في الحصن(٣). وعندئذٍ استنكر الإمام الحسين عليه السلام على أمير الجيش إعطاءه العهد والأمان ونكثه به فيما بعد، ثمَّ تنتقل حركة الانتقاد إلى المدينة فتثير الضمائر وتسعرها وتزأر العدالة على لسان الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام، وينعت تلك السياسة بالجبروت وسعيداً بالجبار(٤).

ولا تصمد هذه الرواية ـ بكلّ تفاصيلها ـ أمام النقد، فالمؤرِّخون نقلوا هذه الرواية على حدِّ زعمهم عن الطبري، وعند الرجوع إلى هذا المصدر نجد أنّ الطبري لا يتطرَّق

---

(١) سعيد بن العاص بن أمية القرشي الأُموي، ولد سنة ١هـ/٦٢٢م، وكان من أشراف قريش وفصحائها، ندبه عثمان بن عفان فيمَن ندبه لكتابة المصاحف، ولي الكوفة في عهد عثمان، والمدينة لمعاوية بن أبي سفيان. هلك سنة ٥٩هـ/٦٧٨م. ابن عبد البر، الاستيعاب: ج٢، ص٩. ص١١.

(٢) كلمة من مقطعين، (طبر) وتعني: الشيء الذي يشقق به الأحطاب وهي كلمة فارسية، و(استان) بالفارسية تعني الموضع أو الناحية، فمعناها ناحية الطبر، وسُميت بذلك لانتشار الأشجار والأخشاب فيها، وهي بين الرّي وقومس والبحر وبلاد الديلم والجبل.

البكري، معجم ما استعجم: ج٣، ص٨٨٧. ياقوت، معجم البلدان: ج٤، ص١٣.

(٣) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص١٠٣. ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٦ ـ ص٧. وعنهما أخذ أغلب الكتّاب والمؤرِّخين، وضمّنوها كتبهم أو تراجمهم عن حياة الإمام الحسين عليه السلام، واعتبروا خروجه إلى هذه الغزوة مشاركة منه في الجهاد في سبيل الله، وجعلوها إحدى مناقبه.

يُنظر: العقّاد، أبو الشهداء: ص١٤٣، سرور، الحياة السياسية: ص٤١. محمد، أهل البيت في مصر: ص٦٠. حسن، زعماء الإسلام: ص١٩٩. أبو كف، آل بيت النبي: ص٢١. يوسف، أمير المؤمنين عثمان: ص٢٢٥ ـ ص٢٢٦. أبو النصر، الحسين بن علي: ص٣٨. النجار، عبد الوهاب، الخلفاء الراشدون، ط بيروت، ١٤٠٠هـ/١٩٧٩م: ص٢٨٥.

(٤) لطفي، الشهيد الخالد: ص٢٥.

لاعتراض أيّ أحدٍ على سعيد بن العاص، لا الإمام الحسين عليه السلام ولا سواه، ولا ينتقل أمر الاعتراض لديه إلى المدينة حيث الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام يستنكر فعل سعيد في طبرستان، ولا نعلم سند تكملة الرواية التي ذكروها، فلا وجود لها في نصّ الطبري، ولم يُصرِّحوا بالمصدر الذي استمدّوا منه هذه المعلومات؛ ولذلك نعتقد جازمين بأنّ الإمامين الحسن والحسين عليهما السلام لم يكونا في ذلك الجيش، ونستند في هذا الاعتقاد إلى متن الرواية؛ إذ تقول: «**غزا سعيد بن العاص من الكوفة طبرستان**»[١]. فليس بين أيدينا أيّ نصّ أو رواية تفيد بأنّ الإمامين الحسن والحسين عليهما السلام قد أقاما في الكوفة قبل مقدمهما مع أبيهما بعد معركة الجمل سنة ٣٦هـ/ ٦٥٦م، مستثنين من ذلك قدوم الإمام الحسن عليه السلام مبعوثاً من أبيه إلى أهل الكوفة يستنهضهم للّحاق به إلى البصرة[٢]، فضلاً عن أنّ الرواية وردت في مصدر أسبق من الطبري وهو البلاذري[٣] (ت٢٧٩هـ/ ٨٩٢م) المتخصص في الفتوح، فأوردها من دون سند، وذكر في صدر خبره كلمة (يقال)، ممّا يدلّ على أنّه يشكّ في الرواية ولا يؤكّدها، وممّا يدعم هذا الرأي أنّ اليعقوبي (ت٢٩٢هـ/ ٩٠٤م) ـ وهو أسبق من الطبري (ت٣١٠هـ/ ٩٢٢م) ـ يورد خبر الغزوة بشكل مختلف، فهو يقول: إنّ سعيد بن العاص وعبد الله بن عامر بن كريز[٤] والي البصرة قد تسابقا فيمَن يفتح خراسان، وليس

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص١٠٣.

(٢) المصدر نفسه: ج٤، ص٤٨٣.

(٣) فتوح البلدان: ص٣٢٦. فقال ما نصّه: «... ومعه في غزاته فيما يُقال الحسن والحسين ابنا علي بن أبي طالب»، ويُنظر: حسن، إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ط٧، القاهرة، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م: ج١، ص٢٥٨.

(٤) ابن كريز بن حبيب العبشمي، ابن خال عثمان بن عفان، ولد في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد جُمعت له البصرة وفارس في عهد عثمان بن عفان سنة ٢٩هـ/٦٤٩م، وهو ابن أربع وعشرين سنة، وظل والياً عليها حتى مقتل عثمان. ابن عبد البرّ، الاستيعاب: ج٢، ص٣٥٩ ـ ص٣٦٠. ابن الأثير، أُسد الغابة: ج٣، ص١٩١ ـ ص١٩٢.

طبرستان، لأنّ عثمان كتب لهما: «**أيّكما سبق إلى خراسان فهو أمير عليها**»(١)، فسبق ابن عامر و «**صالح أهل الطبسين**»(٢)، وهي جزء من المنطقة وأظنّها هي طبرستان التي دخلت ضمن عمليات الفتوح في هذه الحملة، ولم يورد اليعقوبي خبراً باشتراك الإمامين الحسن والحسين عليهما السلام في هذه العمليات العسكرية، بل ليس لدى اليعقوبي نصّ يفيد بأنّ المسلمين ساروا إلى طبرستان في عهد عثمان بن عفان(٣).

إنّ هذا التضارب في أخبار هذه الرواية حتى عند المتقدِّمين من المؤرِّخين يعزّز لدينا نفي خروج الإمامين الحسن والحسين عليهما السلام في هذه الحملة، وإن سُلِّم بخروج حملة إلى تلك الجهات سنة ٣٠هـ/ ٦٥٠م قد تكون دخلت طبرستان، أو أنّها سيطرت على المناطق التابعة لهذه النواحي. فضلاً عن أنّنا تتبّعنا كتاباً ضمّ ترجمة كاملة للإمام الحسين عليه السلام وكلّ كلمة قالها في حياته(٤)، فلم نجد ما يؤيّد اشتراكه أو حديثه في الاعتراض على سعيد في تلك الغزوة.

وقد أشار باحث مصري آخر إلى فتوح أُخرى اشترك فيها الإمام الحسين عليه السلام، فقال: «**إنّ الحسين كان في طليعة المجاهدين الصابرين، فقد خرج في عهد الخليفة عثمان لفتح طبرستان مع سعيد بن العاص، وتنقّل مع جيوش المسلمين لفتح إفريقية، وغزا جرجان، وقسطنطينة، ويؤكّد المؤرِّخون أنّ الإمام الحسين زار مصر في عصر الخليفة عمر مع جيش**

---

(١) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي: ج٢، ص١١٥ ـ ص١١٦.

(٢) المصدر نفسه: ج٢، ص١١٦.

(٣) يُنظر: أيام عثمان في المصدر نفسه: ج٢، ص١١٢ ـ ص١٢٣.

وهناك مؤرِّخون متقدِّمون آخرون لم يذكروا فتح طبرستان، منهم:

ابن قتيبة، الإمامة والسياسة: ج١، ص٢٧ ـ ص٤٢. الدينوري، الأخبار الطوال: ص١٣٩ ـ ص١٤٠. ابن أعثم، الفتوح: ج٢، ص٣٣٥ ـ ص٤٢٦.

(٤) يُنظر: شريفي، محمد وآخرون، موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام، ط قم، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.

الفتح الإسلامي»[١].

وقد أوضحنا رأينا في فتح إفريقية وطبرستان، أمّا قسطنطينة، فقد وجدت روايات عن ذلك لكن في فترات لاحقة على عهد عثمان بن عفان. أمّا جرجان ومصر، فلم نجد أيّ نصّ لدى المتقدِّمين أو المتأخرين على هذا الأمر، ناهيك عن أنّ باحثة عراقية[٢] أحصت أسماء الصحابة الذي واكبوا عملية فتح مصر في عهد عمر بن الخطاب، فذكرتهم مفصّلاً ولم يكن بينهم الإمام الحسين عليه السلام.

(١) أبو كف، آل بيت النبي: ص٢١.

(٢) مرجان، زينب فاضل رزوقي، أحوال مصر الإدارية والاقتصادية والاجتماعية من التحرير حتى نهاية العصر الراشدي، ط بغداد، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م: ص٤١ ـ ص٤٢.

شبهة: مخالفة الإمام الحسين عليه السلام للإمام الحسن عليه السلام في الصلح

بويع الإمام الحسن عليه السلام بالخلافة بعد استشهاد أبيه الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام بيومين[1]، وقيل يوم مات أبوه[2]، وكان قد بايع أمير المؤمنين علياً عليه السلام على الموت أربعون ألفاً للسير بهم إلى معاوية في الشام وذلك قبل اغتياله عليه السلام، فلمّا بويع الإمام الحسن عليه السلام وبلغه مسير جيش الشام إليه تجهَّز وسار من الكوفة يريد معاوية، إلّا أنّ خذلان جيشه وقادته ومن ثمَّ انتهاب متاعه وطعنه في فخذه، أدى به إلى مهادنة معاوية، وكتب له بذلك شروطاً[3].

وقد روي أنّ الإمام الحسن عليه السلام أعلم أخيه الإمام الحسين عليه السلام بذلك، فقال: «**يا هذا، إنّي نظرت في أمري فوجدتني لا أصل إلى الأمر حتى يُقتل من أهل العراق والشام مَن لا أُحب أن احتمل دمه، وقد رأيت أن أُسلّم الأمر إلى معاوية، فاشاركه في إحسانه ويكون عليه إساءته، فقال الحسين عليه السلام: أُنشدك الله أن تكون أوّل مَن عاب أباك وطعن عليه ورغب عن أمره، فقال: إنّي لا أرى ما تقول، ووالله، لئن لم تتابعني لأشدّنك في الحديد فلا تزال فيه حتى أفرغ من أمري. قال: فشأنك**»[4].

---

(1) المسعودي، مروج الذهب: ج٣، ص١٨١.

(2) الدينوري، الأخبار الطوال: ص٢١٦. الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٦، ص٧١. ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٢٧١. ابن الطولوني، النزهة السنية: ص٤٦.

(3) يُنظر: البلاذري، أنساب الأشراف: ج٣، ص٢٨٢ ـ ص٢٨٤. الشيخ المفيد، الإرشاد: ص٢٧٦ ـ ص٢٧٧.

(4) البلاذري، أنساب الأشراف: ج٣، ص٢٩٣. ويُنظر: الطبري، تاريخ الأُمم والملوك: ج٦، ص٧١ ـ ص٧٢. ابن أعثم، الفتوح: ج٤، ص٢٨٩. ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٢٧١ ـ ص٢٧٢.

والغريب ألّا يرد ذكرٌ للإمام الحسين عليه السلام في شأن الصلح إلّا معترضاً لائماً في نصٍّ يبدو فيه التناقض واضحاً، فالنصّ يُصوّر معاوية محسناً بطلب الصلح ويغضي عن كونه الخارج على السلطة والبادئ بسفك الدماء التي بدا أنّ النصّ يجعلها في عنق أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام الذي أخذ الإمام الحسن عليه السلام يخالف نهجه ويجنح إلى السلم ـ وذلك يخالف أيضاً خروج الإمام الحسن عليه السلام بِعدة الحرب إلى معاوية ـ[1] وقد استدعت رغبة الإمام الحسن عليه السلام بالصلح أن يعزم الإمام الحسين عليه السلام عليه بإلّا يعيب أباه، وكأنّ الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام هو الذي تشبَّث بالحرب ودعا إليها في نزاعه مع معاوية!! وهذا يناقض ما أوردته المصادر التاريخية كلّها والقائلة بخروج معاوية على الخلافة وإبائهِ البيعة، وسعيه إلى حرب الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام بكلّ وسيلة لم تفلح معها محاولات السلام الدائمة التي قدَّمها الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام[2].

وقد جاءت صيغة النص توحي بتفرّد الإمام الحسن عليه السلام بقرار الصلح دون استشارة المقرَّبين منه، أو أهل بيته، وهذا ما سكتت عنه المصادر التاريخية كذلك، وأظهرت هذه الرواية أنّ الإمام الحسين عليه السلام يرد على الإمام الحسن عليه السلام أمره ولا يقنع بفعله، ولا يُعقل أن يكون ذلك من شخص قد رافق الإمام الحسن عليه السلام في كلّ خطواته، وعاش تطوّرات الوضع العسكري والسياسي الذي قاد الإمام الحسن عليه السلام إلى قبول الصلح.

وبوسع الناظر أن يهتدي إلى مؤشرات أُخرى، منها: أنّ تاريخ العلاقة بين الحسنين عليهما السلام لم يكن إلّا تاريخ المودّة والاحترام والتقدير لبعضهما، ولم تسجِّل المصادر التي عُنيت بترجمتهما أيّ بادرة خلاف أو نزاع، ناهيك عن أنّ الإمام الحسين عليه السلام حتى وإن كان كارهاً للصلح ـ وهذا لا يستثنى منه الإمام الحسن عليه السلام أيضاً ـ إلّا أنه انسجم تماماً مع رؤية

---

(١) يُنظر: الأصفهاني، مقاتل الطالبيين: ص٧٠. الشيخ المفيد، الإرشاد: ص٢٧٥.

(٢) يُنظر: نهج البلاغة: ص٤٦٣ ـ ص٤٦٤، ص٤٩٢، ص٤٩٤. المنقري، صفين: ص٨٠.

الإمام الحسن عليه السلام للظروف القائمة آنذاك، فنجد أنّه لم يستغلّ انفعال عدد من أصحاب الإمام الحسن عليه السلام عندما شخصوا إلى المدينة مطالبين الإمام الحسين عليه السلام بإعادة الحرب مع معاوية فنصحهم بمثل ما نصحهم به أخيه الإمام الحسن عليه السلام بأن يلزم كلّ رجل منهم بيته ما دام معاوية حياً[١].

(١) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة: ج١، ص١٨٦ ـ ص١٨٧.

مجموعة شبهات للطعن في مشروعية ثورة الإمام الحسين عليه السلام

شبهة: لماذا لم يعلن الإمام الحسين عليه السلام الثورة في عهد معاوية طالما كان عهد معاوية عهد مظالم وإفساد؟

إنّ الإمام الحسين عليه السلام سعى في أيام معاوية إلى إبقاء قاعدة عامّة ـ لا تنحصر في الكوفة ـ مؤمنة بأحقيّة أهل البيت عليهم السلام في النهوض بأمر الأُمّة تشمل الأمصار الإسلامية، فقبل هلاك معاوية بسنتين حجّ الإمام الحسين عليه السلام وعبد الله بن جعفر وعبد الله بن عباس معه. وقد جمع الإمام الحسين عليه السلام بني هاشم رجالهم ونساءهم ومواليهم وشيعته، مَن حجّ منهم ومَن لم يحج، وجمع عدداً من الصحابة والتابعين وأبناءهم وقام فيهم خطيباً، فقال: «... **فإنّ الطاغية قد صنع بنا وبشيعتنا ما قد علمتم ورأيتم وشهدتم وبلغكم، وإنّي أُريد أن أسألكم عن أشياء فإن صدقتُ فصدِّقوني، وإن كذبت فكذّبوني، اسمعوا مقالتي واكتموا قولي، ثمَّ ارجعوا إلى أمصاركم وقبائلكم مَن أمنتموه ووثقتم به فادعوهم إلى ما تعلمون، فإنّي أخاف أن يندرس هذا الحقّ ويذهب، والله متمّ نوره ولو كره الكافرون**»[1]، فما ترك الإمام الحسين عليه السلام شيئاً أنزل الله فيهم من القرآن إلّا قاله وفسّره، وشيئاً قاله الرسول صلى الله عليه وآله في أبيه وأُمّه عليهما السلام وأهل بيته عليهم السلام إلّا رواه، وكلّ ذلك والصحابة يقولون: «**اللّهم نعم، قد سمعناه وشهدناه**». ويقول

---

(١) الطبرسي، الاحتجاج: ج٢، ص١٧. ويُنظر: الهلالي، كتاب قيس: ج٢، ص٧٨٩.

التابعون: «**اللّهم قد حدَّثنا مَن نصدِّقه ونأتمنه**»، فقال الإمام الحسين عليه السلام: «**أُنشدكم بالله إلّا رجعتم وحدَّثتم به مَن تثقون به**»، ثمَّ نزل وتفرَّق الناس على ذلك[1].

وتبرز أهميّة هذا الاجتماع الذي عقده الإمام الحسين عليه السلام لاشتماله على فئات عديدة، كشخصيات الهاشميين ومَن يُدينون لهم بالولاء، وأصحاب الرأي من المهاجرين والأنصار والتابعين الذين لا يمكن إغفال رأيهم وتجاوز وجهات نظرهم فيما يرجع إلى قضايا الأُمّة المصيرية، وتبرز أهمّية الزمان فهو موسم الحجّ. وأمّا المكان، فهو أرض منى ليكون لهذا التجمع الكبير أثره وصداه في سائر البلاد الإسلامية بعد رجوع الحجاج إلى بلدانهم، وتحدُّثِهم بما جرى[2] في ذلك الاجتماع، لاسيما وأنّه ذُكر للإمام الحسين عليه السلام موقف آخر كان خطابه فيه مطوّلاً لم ينحصر في توجيه الحاضرين إلى الدعوة إلى حقّ أهل البيت عليهم السلام، وإنّما جعل ذلك في نطاق تشخيص أخطاء النظام الأُموي ومسؤولية الأُمّة في الاستجابة لدعوة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتوبيخ الحاضرين بالتقصير في القيام بحقّ الله، وتأكيد مسؤولية أهل العلم منهم، ومن ثَمَّ الإنذار باستحواذ الظَلَمة على أمر الأُمّة إذا لم تنهض لنصرة الحقّ. وممّا جاء في ذلك الخطاب:

«**اعتبروا أيها الناس بما وعظ الله به أولياءه من سوء ثنائه على الأحبار، إذ يقول:** ﴿لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ﴾[3]، **وقال:** ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ * كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾[4]. **وإنّما عاب الله ذلك عليهم؛ لأنّهم كانوا يرون من الظلمة الذين بين أظهرهم المنكر والفساد فلا**

---

(١) الطبرسي، الاحتجاج: ج٢، ص١٧ ـ ص١٨.

(٢) الهديبي، قراءات في بيانات الثورة الحسينيّة: ص٩١ ـ ص٩٢.

(٣) المائدة: الآية ٦٣.

(٤) المائدة: آية ٧٨ ـ آية٧٩.

ينهونهم عن ذلك رغبة فيما كانوا ينالون منهم، ورهبة ممّا يحذرون... ثمَّ أنتم أيتها العصابة بالعلم مشهورة، وبالخير مذكورة، وبالنصيحة معروفة... يهابكم الشريف، ويكرمكم الضعيف... أليس كلّ ذلك إنّما نلتموه بما يرجى عندكم من القيام بحقّ الله، وإن كنتم عن أكثر حقّه تُقصّرون، فاستخففتم بحقّ الأئمّة، فأمّا حقّ الضعفاء فضيّعتم، وأمّا حقّكم بزعمكم فطلبتم، فلا مالاً بذلتموه، ولا نفساً خاطرتم بها للذي خلقها، ولا عشيرة عاديتموها في ذات الله... لقد خشيت عليكم... أن تحل بكم نقمة من نقماته... وقد ترون عهود الله منقوضة فلا تفزعون وأنتم لبعض ذمم آبائكم تفزعون،... ولو صبرتم على الأذى وتحملتم المؤونة في ذات الله كانت أُمور الله عليكم ترد وعندكم تصدر وإليكم ترجع، ولكنكم مكّنتم الظَلَمة من منزلتكم، واستسلمتم (وأسلمتم) أُمور الله في أيديهم يعملون بالشبهات ويسيرون في الشهوات، سلّطهم على ذلك فراركم من الموت وإعجابكم بالحياة التي هي مفارقتكم، فأسلمتم الضعفاء في أيديهم، فمِن مستعبد مقهور وبين مستضعف على معيشته مغلوب، يتقلّبون في الملك بآرائهم ويستشعرون الخزي بأهوائهم، اقتداءً بالأعراب، وجرأة على الجبّار، في كلّ بلد منهم على منبره خطيب يصقع، فالأرض لهم شاغرة وأيديهم فيها مبسوطة، والناس لهم خول لا يدفعون يد لامس، فمِن بين جبّار عنيد وذي سطوة على الضعفة شديد، مطاع لا يعرف المبدئ المعيد. فيا عجباً وما لي لا أعجب والأرض من غاش غشوم ومتسلِّط ظلوم، وعامل على المؤمنين بهم غير رحيم، فالله الحاكم فيما فيه تنازعنا، والقاضي بحكمه فيما شجر بيننا»[1].

ومضى الإمام الحسين عليه السلام منزهاً دعوته من رغبة في سلطان ومقتدياً بأبيه أمير المؤمنين

---

(١) الحراني، أبو محمد الحسن بن علي بن شعبة (من علماء القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي)، تحف العقول عن آل الرسول صلّى الله عليهم، تصحيح: علي أكبر غفاري، ط طهران، ١٣٧٣هـ/١٩٥٣م: ص٢٤٠ ـ ص٢٤٣.

الإمام علي عليه السلام برفع شعار الإصلاح[١]، ومحذّراً من تخاذل المؤمنين فيغلبهم الظلمة على مقاليد أُمورهم، فقال:

«اللهمّ، إنّك تعلم أنّه لم يكن ما كان منّا تنافساً في سلطان ولا التماساً من فضول الحطام، ولكن لنري (لنرد) المعالم من دينك، ونظهر الإصلاح في بلادك، ويأمن المظلومون من عبادك، ويُعمل بفرائضك وسننك وأحكامك، فإنّكم إلّا تنصرونا وتنصفونا قوي الظلمةُ عليكم، وعملوا في إطفاء نور نبيكم، وحسبنا الله وعليه توكلّنا وإليه أنبنا وإليه المصير»[٢].

ولعل هذه الحادثة وتواصل أهل العراق مع الإمام الحسين عليه السلام[٣] هو ما انتهى إلى معاوية بن أبي سفيان ممّا دفعه إلى الإرسال للإمام الحسين عليه السلام مذكراً إياه بالعهد الذي أُخذ (صلح الإمام الحسن عليه السلام)، ومشككاً بصدق نوايا أهل العراق وإخلاصهم، ومهدداً بالكيد للإمام الحسين عليه السلام إذا ما كاده؛ فأجابه الإمام الحسين عليه السلام بكتاب **«سيظل على التاريخ سجّلاً لعبث السلطة، وانتقاد الشعب الذي يأبّى إلّا أن تكون له الرقابة الممنوحة له من قبل الله»**[٤]. وقد أوضح فيه أنّ ما أوصله وشاة معاوية إليه لا يقصد منه الإمام الحسين عليه السلام حرباً ولا خلافاً، وإنّما لا بدّ من الإعذار لله في معاوية وأتباعه بإنكار مخالفاتهم وممّا جاء فيه:

«... فأمّا ما نُمي إليك فإنّما رقّاه الملاقون المشاؤون بالنمائم المفرِّقون بين الجميع، وما أريد حرباً لك ولا خلافاً عليك، وأيم الله، لقد تركت ذلك وأنا أخاف الله في تركه، وما

---

(١) يُنظر: نهج البلاغة: ص٢٣٢.

(٢) الحرّاني، تحف العقول: ص٢٤٣. وقد أورد هذه الخطبة كاملة: النفيس، أحمد راسم، على خطى الحسين، ط إيران، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م: ص٧١ ـ ص٧٦.

(٣) يُنظر: الدينوري، الأخبار الطوال: ص٢٢٢.

(٤) العلايلي، الإمام الحسين: ص٣٣٦.

أظنّ الله راضياً عنّي بترك محاكمتك إليه، ولا عاذري دون الإعذار إليه فيك وفي أوليائك القاسطين الملحدين، حزب الظالمين وأولياء الشياطين...»[1].

ثمَّ استمرّ الإمام الحسين عليه السلام في رسالته مذكِّراً معاوية بمنكراته، كقتل حجر بن عدي وأصحابه المصلّين العابدين الذين أنكروا الظلم وقاوموا البدعة، ولم يخافوا في الله لومة لائم، وقتل عمرو بن الحمق الخزاعي المعروف بعبادته وتقواه، واستلحاق زياد بن سميّة ومخالفة السنّة النبوية، ثمَّ ذكَّره بسيرة زياد القاسية في شيعة أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام، فقال:

«... **أوَلستَ صاحب الحضرميّين الذين كتب إليك ابن سمية أنّهم على دين علي، فكتبت إليه: اقتل مَن كان على دين علي ورأيه، فقتلهم ومثّل بهم بأمرك، ودين علي دين محمد صلى الله عليه وآله الذي كان يضرب عليه أباك، والذي... أجلسك مجلسك هذا، ولولا هو كان أفضل شرفك تجشم الرحلتين في طلب الخمور...»**[2].

وعندما حذّر معاوية الإمام الحسين عليه السلام من الفتنة، وشقّ عصا الأُلفة في الأُمّة أجاب الإمام الحسين عليه السلام: «... **وإنّي لا أعلم لها فتنة أعظم من إمارتك عليها، وقلت فيما قلت: انظر لنفسك ولدينك ولأُمّة محمد، وإنّي والله، ما أعرف أفضل من جهادك، فإن أفعل فإنّه قربة إلى ربّي، وإنّ لم أفعله فاستغفر الله لديني، وأسأله التوفيق لما يحبّ ويرضى، وقلت:... متى تكدني أكدك، فكدني يا معاوية فيما بدا لك، فلعمري لقديماً يكاد الصالحون، وإنّي لأرجو أن لا تضرّ إلّا نفسك، ولا تمحق إلّا عملك، فكدني ما بدا لك، واتقِ الله يا معاوية، واعلم أنّ لله كتاباً لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلّا أحصاها، واعلم أنّ الله ليس بناسٍ لك قتلك بالظنّة، وأخذك بالتهمة،... ما أراك إلّا وقد أوبقتَ نفسك، وأهلكت دينك،**

---

(١) البلاذري، أنساب الأشراف: ج ٥، ص١٢٨ ـ ص١٢٩. ابن قتيبة، الإمامة والسياسة: ج١، ص١٤٦. الطبرسي، الاحتجاج: ج٢، ص١٨.

(٢) البلاذري، أنساب الأشراف: ج٥، ص١٢٩. الطبرسي، الاحتجاج: ج٢، ص١٩.

وأضعت الرعيّة»[١].

يتّضح من النصوص المتقدِّمة من رسالة الإمام الحسينعليه السلام التزامه بالوفاء بما اتُّفِق عليه في صلح الإمام الحسنعليه السلام من وضع الحرب، والتريّث حتى هلاك معاوية ليعاد الأمر شورى بين المسلمين، وإذا كان الإمام الحسينعليه السلام يرى ضرورة إبداء الإنكار لمخالفات معاوية وولاته، فهو يلتزم بالحفاظ على وحدة الأُمّة، ويبدو أنّ مبايعة معاوية لابنه يزيد بولاية العهد، قد جعل الإمام الحسينعليه السلام يُسفر عن معارضته التي باتت تقاوم حكومة أخلّت بالتزامها السياسي (إعادة الأمر شورى)، والديني (مفاسد الحكومة)، والأخلاقي (تتبع شيعة أمير المؤمنين الإمام عليعليه السلام وعدم الالتزام بشروط الصلح). لكن ممّا يُشار إليه أنّ خطوات الإمام الحسينعليه السلام لم تتعدَّ التمهيد بخلق قاعدة معارِضة تشعر بالحاجة إلى التغيير والإصلاح، ولذلك عوامل متعددة منها: ما عُرف عن معاوية من أُسلوبٍ في القضاء على خصومه السياسيين[٢]، فضلاً عن أنّ معاوية «**لم يستهتر استهتاراً مكشوفاً لا يترك للناس عذراً**»[٣] فبدا ـ وإن لم يكن لعامّة الناس ـ أنّه الحاكم لأمر الناس بسلطان الدين فهو ـ كما روّج ـ كاتب الوحي، وخال المؤمنين**!!**[٤] ومَن تنازل له الإمام الحسنعليه السلام وفق عهد مكتوب عن السلطة، ووافق على ذلك الإمام الحسينعليه السلام، فإذا ما ثار الإمام الحسينعليه السلام في عهد معاوية لكان من السهولة على معاوية بوجود جهازه الدعائي، ووسائل تمويله الضخمة[٥] أن يجعل من الإمام الحسينعليه السلام رجل دنيا فرق شمل الجماعة في

---

(١) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة: ج١، ص١٤٦ ـ ص ١٤٧. البلاذري، أنساب الأشراف: ج٥، ص١٢٩ ـ ص١٣٠. الطبرسي، الاحتجاج: ج٢، ص١٩ ـ ص٢٠.

(٢) يُنظر: موقفه مع سعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد، والحسن بن عليعليه السلام. الأصفهاني، مقاتل الطالبيين: ص٨١. ابن عبد البر، الاستيعاب: ج٢، ص٤٠٩. ابن الأثير، أُسد الغابة: ج٣، ص٢٨٩.

(٣) العلايلي، الإمام الحسين: ص٣٣٨.

(٤) يُنظر: المنقري، صفين: ص٣٢.

(٥) يُنظر: الحسناوي، المعارضة: ج٤٧٨ ـ ص٤٨٩.

سبيل السلطة وخرج على السلطة الشرعية ـ وهذا ما رأينا بوادره في رسالة معاوية وجواب الإمام الحسينعليه السلام عليها ـ كما أنّ الكثير من الناس كان سيظنّ بأنّ الإمام الحسينعليه السلام كان مخالفاً لأخيه الإمام الحسنعليه السلام في الهدنة مع معاوية، في الوقت الذي كان فيه الإمام الحسينعليه السلام حريصاً على إظهار موافقته لأخيه الإمام الحسنعليه السلام في قراره ذاك(١).

وممّا له أهمّيته موقف معاوية من الإمام الحسينعليه السلام إذ لم يفته أن يضع الأرصاد والعيون على تحركاته ومن ذلك إرسال مروان بن الحكم إلى معاوية يُعلِمه بقدوم رجال من الكوفة إلى الإمام الحسينعليه السلام وإقامتهم عنده، فكتب إليه معاوية يحذره من العمل ضدّه، أو أن يستفزّه من وصفهم بسفهاء الكوفة من الذين يحبّون الفتنة(٢).

وعلى وفق هذه السياسة سيكون الإمام الحسينعليه السلام تحت الرصد، والتخلّص منه سيكون سهلاً لبعده عن القاعدة التي أراد الاستناد عليها (الموالين له من أهل الكوفة وشيعته في العراق)، وترصد عدوه به فيُقضى عليه بهدوء فلا يكون سوى «**علوي مات حتف أنفه، يثير موته الأسى في قلوب أهله، ومحبّيه وشيعة أبيه إلى حين، ثمَّ يطوي النسيان ذكراه**»(٣).

وإذا قُدر لثورة الإمام الحسينعليه السلام أن تقوم فإن مقوّماتها الاقتصادية كانت ضعيفة، وجهاز الدولة أقوى منه، فقد كان الإمام الحسينعليه السلام تحت رحمتها تضيّق عليه متى شاءت، في حين كان معاوية يتألّف الناس بالأموال، ويوسع العطاء على شيوخ العشائر وذوي المكانة، وينعم عليهم بالهبات والجوائز(٤)، وقد استخدم معاوية منع العطاء عن بني هاشم من دون الناس كنوع من الضغط عليهم ليحملوا الإمام الحسينعليه السلام ويجبروه على البيعة ليزيد(٥).

---

(١) يُنظر: الدينوري، الأخبار الطوال: ص٢٢٠ ـ ص٢٢١.

(٢) المصدر نفسه: ص٢٢٤ ـ ص٢٢٥.

(٣) شمس الدين، ثورة الحسينعليه السلام: ص١٥٥.

(٤) غنيم، الثورات العلوية: ص١١٣.

(٥) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة: ج١، ص١٥٤. ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٣٥٥.

ويبدو أنّ الإمام الحسين عليه السلام كان مدركاً لهذا الواقع عندما نصح شيعته في الكوفة بالتريّث ما دام معاوية حيّاً، وإن ظلّ يعدّ العدّة اللازمة للنجاح عند القيام، وقد سارت هذه الإعدادات بالطريقة المرسومة لها حتى إذا هلك معاوية كان «**أمر الشيعة في الأعوام الأخيرة من حكم معاوية قد عظم، وانتشرت دعوتهم أي انتشارٍ في شرق الدولة الإسلامية وفي جنوب بلاد العرب، ومات معاوية... وكثير من الناس وعامّة أهل العراق بنوع خاصّ يرون بغض بني أُمية وحبّ أهل البيت لأنفسهم ديناً**»[1].

(١) حسين، الفتنة الكبرى (علي وبنوه): ج٢، ص١٩٧.

شبهة: نزاهة يزيد عن المنكرات

إنّ لمعرفة شخصية يزيد أهمّية كبرى في تحديد موقف الإمام الحسينعليه السلام لنصل إلى أنّ «**مبررات الثورة موجودة في سلوك يزيد نفسه، هذا السلوك الذي لا يلتقي مع الدين**»[1].

إذ لم يُختَلف في أنّ يزيد هو ابن معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أُمية بن عبد شمس[2] وكنيته أبو خالد[3]. أُمّه ميسون بنت بحدل الكلبية التي تزوجها معاوية لتوطيد صلته بالقبائل اليمنية[4] فبني كلب أخوال يزيد وأنصاره[5].

وقد وُلد يزيد في سنة خمس أو ست أو سبع وعشرين للهجرة/ ٦٤٥م، ٦٤٦م، ٦٤٧م[6]، ونشأ وتربّى في حجر معاوية يطلب فلا يُردّ له طلب، ويأمر فيطاع فترعرع وكبر

---

(١) شمس الدين، ثورة الحسينعليه السلام: ص١٦٧.

(٢) الزبيري، نسب قريش: ص١٢١ ـ ص١٢٧. الطبري، تاريخ الأُمم والملوك: ج٦، ص١٦٨. ابن كثير، البداية والنهاية: ج٨، ص٢٢٩. ابن طولون الدمشقي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن علي الصالحي (ت٩٥٣هـ/١٥٤٦م)، قيد الشريد من أخبار يزيد، دراسة وتحقيق: كرم حلمي فرحات، ط القاهرة، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م: ص٨٥. الشمري، هزاع ابن عبد، حقائق عن أمير المؤمنين يزيد بن معاوية، ط اليمامة، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م: ص١١.

(٣) ابن ماجة، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت٢٧٥هـ/٨٨٨م)، تاريخ الخلفاء، ط٢، بيروت، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م: ص٢٨.

(٤) الزبيري، نسب قريش: ص١٢٧. ابن قتيبة، الإمامة والسياسة: ج١، ص١٣٥. اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي: ج٢، ص١٦٨. ابن كثير، البداية والنهاية: ج٨، ص٢٢٩. ابن طولون الدمشقي، قيد الشريد: ص٨٦. وقد أختُلف في اسم أبي ميسون، فجعله ابن كثير (مخول)، وابن طولون (بحدل). واثبته المؤلف حسب ما ورد لدى الزبيري.

(٥) دسوقي، القبائل العربية: ص٣٥٧.

(٦) يُنظر: ابن كثير، البداية والنهاية: ج٨، ص٢٢٩. ابن طولون الدمشقي، قيد الشريد: ص٨٥. الشمري، حقائق... يزيد بن معاوية: ص١١.

على «**إقبال على الشهوات**»(١)، وكان معاوية لا يعدل بها يُرضيه شيئاً(٢).

وقد تواتر في المصادر المتقدِّمة عن شهود كُثر معروفون بورعهم وتقواهم شهادات تتحدَّث عن يزيد وعن سلوكه وصفاته الأخلاقية المشينة، ومن ذلك ارتكابه لبعض الكبائر، كشرب الخمر، والزنا، وترك الصلاة، فقد قال معقل بن سنان بن مظهر(٣) في يزيد: «**رجل يشرب الخمر وينكح الحرم**»(٤)، وقال عنه عبد الله بن حنظلة الغسيل(٥): «**والله ما خرجنا على يزيد حتى خفنا أن نُرمى بالحجارة من السماء، إنّ رجلاً ينكح الأُمّهات والبنات والأخوات، ويشرب الخمر، ويدع الصلاة، والله لو لم يكن معي أحد من الناس لأبليت لله فيه بلاءً حسناً**»(٦).

وقد اشتهر يزيد بشرب الخمر حتى عُرف بـ «**يزيد الخمور**»(٧) على الرغم من أمر الله سبحانه وتعالى باجتناب الخمر واعتبارها رجس من عمل الشيطان، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا

---

(١) ابن كثير، البداية والنهاية: ج٨، ص٢٣٠.

(٢) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة: ج١، ص١٥٦. ويُنظر: الجاحظ، رسائل الجاحظ: ج٢، ص١٥٥.

(٣) الأشجعي، صحب النبي صلى الله عليه وآله وشهد معه فتح مكّة، وحمل لواء قومه فيها، أسره مسلم ابن عقبة المري بعد وقعة الحرّة وقتله صبراً. ابن سعد، الطبقات: ج٤، ص٢٨٢ ـ ص٢٨٣. ابن عبد البرّ، الاستيعاب: ج٣، ص٤١٠.

(٤) ابن سعد، الطبقات: ج٤، ص٢٨٣. ابن حجر، الإصابة: ج٣، ص٤٤٦.

(٥) ابن أبي عامر، وأبوه صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله الذي خرج إلى أُحد جُنباً فاستشهد وغسّلته الملائكة، فيقال لولده: بنو غسيل الملائكة، ولد عبد الله بعد أُحد، فرأى النبي صلى الله عليه وآله وسمع منه، وقد أجمع أهل المدينة على عبد الله لقيادتهم في وقعة الحرّة لعبادته وورعه وتقواه. وقتل في تلك الوقعة سنة ٦٣هـ/٦٨٢م.

ابن سعد، الطبقات: ج٥، ص٦٥ ـ ص٦٦. ابن عبد البر، الاستيعاب: ج٢، ص٢٨٦ ـ ص٢٨٧.

(٦) ابن سعد، الطبقات: ج٥، ص٦٦. ويُنظر: ابن عبد البر، الاستيعاب: ج٢، ص٢٨٧. ابن الأثير، أُسد الغابة: ج٣، ص١٤٧.

(٧) ابن عبد ربّه، العقد الفريد: ج٦، ص٣٤٨. ووصفه عبد الله بن الزبير بـ: «السكّير الخمّير». المسعودي، التنبيه والإشراف: ص٢٧٩. ويُنظر: البلاذري، أنساب الأشراف: ج٥، ص٣١٩.

ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ ...﴾[١]، وما ورد عن الرسولﷺ من لعن شاربها[٢].

وقد ورد على لسان الصحابة ما يدلّ على إظهار يزيد لذلك، فورد في رسالة الإمام الحسينعليه السلام إلى معاوية وصف يزيد بشرب الخمر وملاعبة الكلاب[٣]، وقال عنه عبد الله بن عمر مستنكراً بيعته: «**نبايع مَن يلعب بالقرود والكلاب، ويشرب الخمر، ويظهر الفسوق! وما حجّتنا عند الله؟!**»[٤].

ونقل الطبري عن أهل المدينة بعد قدومهم من عند يزيد سنة ٦٢هـ/ ٦٨١م قولهم: «**إنّا قدمنا من عند رجل ليس له دين، يشرب الخمر، ويعزف بالطنابير، ويضرب عنده القيان، ويلعب بالكلاب، ويسامر الخُرّاب والفتيان**»[٥].

وذكر ابن كثير[٦] إنّ معاوية أحسّ بما كان يظهره يزيد فوعظه في رفق، فقال «**يا بني، ما**

---

(١) المائدة: آية٩٠.

(٢) روي عن رسول اللهﷺ قوله: «لعن الله الخمر وعاصرها ومعتصرها، وشاربها والمحمولة إليه، وبائعها ومبتاعها، وساقيها ومسقاها». ابن ماجة، السنن: ص٥٧٦. المنذري، الترغيب والترهيب: ج٣، ص١٧٥.

(٣) يُنظر: ابن قتيبة، الإمامة والسياسة: ج١، ص١٤٧. البلاذري، أنساب الأشراف: ج٥، ص١٢٠.

(٤) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي: ج٢، ص١٥٩.

(٥) الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٦، ص٢٦٢ ـ ص٢٦٣.

(٦) عماد الدين إسماعيل بن عمر الشافعي، ولد في سنة ٧٠٠هـ أو ٧٠١هـ/١٣٠٠ ـ ١٣٠١م، في إحدى قرى الشام، نشأ في دمشق، واختلف إلى حلقات العلم والدرس، وأخذ على كبار علمائها، وصف بالحفظ والدقّة والفهم الصحيح وحسن السليقة، إلاّ أنّه يُعد من مُحدِّثي الفقهاء ولم يكن يعمل على طريقة المحدِّثين في تحصيل العوالي وتمييز العالي من النازل في الحديث ونحو ذلك من فنونهم. توفي سنة ٧٧٤هـ/١٣٧٢م.

يُنظر: ابن حجر، أحمد العسقلاني (ت٨٥٢هـ/١٤٤٨م)، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق: محمد سيد جاد الحقّ، ط مصر، (بلا.ت): ج١، ص٤٠٠. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن (ت٩١١هـ/١٥٠٥م). طبقات الحفاظ، تحقيق: علي محمد عمر، ط مصر، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣ م: ص٥٢٩.

أقدرك على أن تصل إلى حاجتك من غير تهتك يذهب بمروءتك وقدرك، ويشمت بك عدوك، ويسيء بك صديقك»[١]. وعلّق على ذلك ابن كثير قائلاً: وهذا كما جاء في الحديث «**مَن ابتُلي بشيء من هذه القاذورات فليستتر بستر الله (عزّ وجلّ)**»[٢]!

وروى البلاذري أنّ يزيد بن معاوية كان أول مَن أظهر شرب الشراب والاستهتار بالغناء والصيد واتّخاذ القيان والغلمان، والتفكّه بما يضحك منه المترفون من القرود والمعاقرة بالكلاب والديكة[٣]. ولم يتخلّف عن وصفه بتلك الصفة حتى ابنه معاوية بن يزيد[٤]، عندما قال: «... **إن من أعظم الأُمور علينا علمنا بسوء مصرعه، وبئس منقلبه... أباح الخمر وضرب الكعبة**»[٥].

وممّا اشتهر به يزيد تركه للصلاة، فورد فيه: «**رأيت يزيد بن معاوية يترك الصلاة سكراً**»[٦]، وقيل عنه بأنّه كان يترك «**الصلوات في بعض الأوقات، وإماتتها في غالب الأوقات**»[٧].

---

(١) ابن كثير، البداية والنهاية: ج٨، ص٢٢٨.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) أنساب الأشراف: ج٥، ص٢٩٩. ابن الطقطقي، الفخري: ص١٠٣. وقد أورد البلاذري قول أحد الشعراء معرِّضاً باتّخاذه القرود:

فتباً لِمَن أمسى علينا خليفةً صحابته الأدنون منه قرودُ

أنساب الأشراف: ج٥، ص٣٠٠. ويُنظر: الدميري، كمال الدين بن موسى بن عيسى (ت٨٠٨هـ/١٤٠٥م)، حياة الحيوان الكبرى، صححها: عبد اللطيف سامر، ط قم، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤ م: ج٢، ص٧٠.

(٤) كنيته أبو يزيد، بويع له يوم هلك أبوه، وأقام ثلاثة أشهر وقيل أربعون يوماً، ثمَّ توفّي سنة ٦٤هـ/٦٨٣م، وله من العمر نيف وعشرون سنة، ودُفن بدمشق. ابن ماجة، تاريخ الخلفاء: ص٢٨ ـ ص٢٩. ابن الطولوني، النزهة السنية: ص٥٥.

(٥) ابن حجر، الصواعق المحرقة: ص٣٣٦.

(٦) البيهقي، دلائل النبوة: ج٦، ص٤٧٤.

(٧) ابن كثير، البداية والنهاية: ج٨، ص٢٣٠.

ومن الطبيعي أن تلقى هذه الصفة استهجان المسلمين وهم لا يزالون يعيشون الإسلام في عهده الأول، ولا تزال تتردد بينهم أقوال الرسولﷺ الذي قرن بين الشرك والكفر وبين ترك الصلاة(١).

وقد أورد هذه الصفات والسلوك المشين الذي اتّصف به مَن تولى قيادة أمر المسلمين عدد من الكتّاب والباحثين(٢) بينما أجهد عدد آخر منهم نفسه ـ لاسيما المتأخرين منهم، أي الذين كتبوا في النصف الثاني من القرن العشرين الميلادي ـ لردّ هذه الأخبار التي بلغت حدّ التواتر، وقاموا بمحاولات حثيثة ومضنية لتبرئة يزيد وما نُسب إليه، أو لتبرير تلك الأفعال عندما لا يجدون محيصاً من صدقها جرياً وراء المنهج التبريري وبما يوائم الفكر السلفي، الذي غلب على نتاجات بعض هؤلاء الكتّاب بعد النصف الثاني من القرن العشرين.

فقد برّأ بعض هؤلاء الكتّاب يزيد؛ إذ لم يذكروا تهتكه، وتركه للصلاة وشرب الخمر وإنّما نزهوه بحجّة أنّه من الطبقة الأولى من التابعين، وزعموا أنّ أباه قد علّمه العدل والإنصاف والتواضع!! وقد شذّ ابن الزبير والإمام الحسينعليه السلام عن الأُمّة في امتناعهما عن

---

(١) روي عن النبيﷺ قوله: «بين الكفر والإيمان ترك الصلاة». الترمذي، سنن الترمذي: ص٧٠٧. المنذري، الترغيب والترهيب: ج١، ص٢١٣. وروي عنهﷺ: «ليس بين العبد والشرك إلاّ ترك الصلاة، فإذا تركها فقد أشرك». ابن ماجة، سنن ابن ماجة: ص١٨٢. وقولهﷺ عن ابن سعيد الخدري: «يكون خلف من بعد ٦٠ سنة أضاعوا الصلاة واتّبعوا الشهوات فسوف يلقون غيّاً». البيهقي، دلائل النبوة: ج٦، ص٤٦٥.

(٢) يُنظر: عويس، فهمي، شهيد كربلاء الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب (رضي الله عنهما)، ط مصر، ١٣٦٨هـ/١٩٤٨م، ص١١٦ ـ ص١٢٧. لطفي، الشهيد الخالد: ص٢٩. العقّاد، أبو الشهداء: ص١٤٩ ـ ص١٥٠. صالح، العرب والإسلام: ص٣٣٣. السحار، أهل بيت النبي: ص٢٨٥ ـ ص٢٨٦. غريب، الإمام الحسين: ص٦٣ ـ ص٦٤. منصور، الشقيقان: ص٣٥ ـ ص٣٦. الورداني، السيف والسياسة: ص١٣٤. أبو النصر، الحسين بن علي: ص٤٤ ـ ص٤٦. عبد العليم، سيدنا الإمام الحسين: ص٦٧. الشريف، دور الحجاز: ص٤١٤ ـ ص٤١٥. وأشار إلى ذلك من كتب عن الحسينعليه السلام في المصنفات الأدبية المصرية مثل: عيش، صوت الحسين: ص١١. زيدان، جرجي، غادة كربلاء، ط بيروت، بلا.ت: ص٢٥ ـ ص٢٦، ص٣٤٦.

بيعة يزيد التي استجاب لها باقي الصحابة وعقلاء الأُمّة!! وإنّ تاريخ يزيد لو دُرس دراسة رائدها البحث عن الحقيقة المجرّدة عن الهوى والميول والعواطف لتغيّرت نظرة كثير من الناس إلى يزيد ولأخذ مكانه الصحيح بين خلفاء المسلمين في التاريخ الإسلامي!!»[1].

إنّ تبرأة يزيد بحجّة أنّه من التابعين هو احتجاج واهٍ يقوم على نفي النصوص الصريحة لاعتقاد خاصٍّ بصلاح كلّ شخصية أو تنزيهها على أساس قربها الزمني أو بُعدها عن الرسول صلى الله عليه وآله، وهذا الرأي غير موضوعي في تقييم أو تشخيص الخلل في سلوك أيّ فرد من المسلمين، فلا يخفى أنّ الخطأ قد وقع من صحابة الرسول صلى الله عليه وآله فكيف بتابعيهم؟ وأنّ الإمام الحسين عليه السلام وابن الزبير لم يكونا شاذين في إنكار بيعة يزيد ـ كما سيتّضح ـ فقد اعترض على بيعة يزيد كلُّ أهل المدينة الذين أُخذت منهم البيعة بالإكراه، وقد تقدَّم ذكر رأي عبد الله بن عمر فيها.

ولم يقدّم لنا هؤلاء الكُتّاب دراسة مجرّدة عن الهوى والميول، بل اتّهموا العلويين بنشر الدعايات والشائعات بسبب الخصومة السياسية التي هيأت الأجواء لتقبّل هذه الدعاوى بغير تريّث، فقال النجار: «**والحقيقة أنّ يزيد لم يكن شارب خمر ولا فاسقاً، كما اشتهر ذلك بواسطة الدعاية الشيعية المنظمة**»[2]، وذكر شاهين أنّ كلّ الشبهات الكثيرة التي أُثيرت على أخلاق يزيد لا تصمد أمام النقد العلمي البريء؛ إذ لم تظهر هذه الشبهات عليه إلّا قبيل الثورات التي حدثت ضدّه بعد صعوده إلى سدة الحكم، أمّا قبل ذلك وفي عهد أبيه، فلا نعلم اتّهاماً خطيراً يُعتد به ليزيد في عهد معاوية، وأنّ كلّ ما وضع على يزيد هو من ترويج أعداء بني أُمية، من قبيل رميه بشرب الخمر، وترك الصلاة، واتيان الفواحش، فإنّ هذا الافتراء لو صحّ، فإنّ أباه معاوية وهو خليفة المسلمين ـ كما يقول شاهين ـ لم يكن ليسمح

---

(١) عبد اللطيف، العالم الإسلامي: ص١٢٧، ص١٣٠، ص١٣١، ص١٣٤. عويس، عبد الحليم، بنو أمية بين السقوط والانتحار، ط القاهرة، ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م: ص٢٤.

(٢) النجار، الشيعة وإمامة علي: ص٢٦.

لابنه بانتهاك الإسلام، وهو يعده ليكون خليفة للمسلمين وإنّ أهل الشام وبنو أُمية أنفسهم سوف لا يرضون به خليفة وفيه تلك الصفات؛ لأنّهم لا يقبلون الدنيّة في دينهم ليستخلفوا رجلاً سكّيراً خمّيراً على ما وصفه به الرواة[١]، وهذا الرأي يردّه ما روي عن ابن كثير من نصح معاوية لابنه في تجاوز التهتّك إلى التستّر بالمعاصي[٢]، واعتراض عدد من الصحابة على البيعة ليزيد لسوء سيرته، مثل الإمام الحسين عليه السلام، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير وغيرهم[٣]. بل إنّ ولاة معاوية حاولوا منعه من استخلاف يزيد وأظهروا العيب فيه[٤]، ولا يُنفى الاتّهام الثابت بنصوص صريحة لمجرّد الظنّ أنّ معاوية لم يكن ليسمح بانتهاك الإسلام لولي عهده، أو لأنّ بني أُمية لا يرضون أن يتولاهم سكّيراً خمّيراً، لا سيما وأنّ عدداً منهم قد عُرف بشرب الخمر سواء كان في ولاية المسلمين أو خارجها[٥].

وانضمّ ماهر حمادة إلى رأي شاهين، فادّعى أنّ المصادر المختلفة التي صوّرت يزيد في صورة قبيحة مشوّهة، وأجمعت على وصفه بأقبح الصفات (سكّير، سفيه، جاهل، قاسي) كانت بتأثير من الدعاية العلويّة التي شوّهت سمعته وسيرته وطمست محاسنه، وأبرزت مساوءه، إلّا أنّ يزيد لم يكن أسوء ممَّن أتى من بعده من الخلفاء، وذكر أنّ لدينا نصوص

---

(١) شاهين، الدولة الأُموية المفترى عليها: ص٢٨٦ ـ ص٢٨٧. عبد الآخر، التآمر على التاريخ الإسلامي: ص١٤٠.

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية: ج٨، ص٢٢٨.

(٣) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة: ج١، ص١٤٧. البلاذري، أنساب الأشراف: ج٥، ص١٢٠، ص٣١٩، ص٣٢٤. اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي: ج٢، ص١٥٩.

(٤) يُنظر: ابن قتيبة، الإمامة والسياسة: ج١، ص١٤٣، اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي: ج٢، ص١٥٣. المسعودي، مروج الذهب: ج٣، ص٢١٩.

(٥) يُنظر: قصّة جلد عنبسة بن أبي سفيان أخو معاوية بن أبي سفيان الذي حُدّ لشربه الخمر بشهادة الشهود، وقام بجلده والي الطائف عبد الله بن خالد بن أُسيد المخزومي، وقد أخذ معاوية قطائع عائدة لعبد الله المخزومي بسبب جلد عنبسة ولم يردها على والي الطائف. يُنظر: ابن بكار، الأخبار الموفقيات: ص٢٩٧ ـ ص٢٩٨. ويُنظر: إظهار عبد الرحمن بن أُمّ الحكم ـ ابن أخت معاوية ـ شرب الخمر عندما كان والياً على الكوفة واعتراف معاوية بذلك. البلاذري، أنساب الأشراف: ج٥، ص١٤٥.

نستطيع من خلالها أن نرسم صورة أقل بشاعة، ولم يورد من تلك النصوص سوى خطبة ليزيد إبان ولايته وصف نفسه فيها بالجهل، وأنّ توليه هو أمر من الله[1]، فإذا بالكاتب ماهر حمادة يقول: بأنّ ذلك دليل على ثقة يزيد بنفسه!! ثمَّ مدح معالجة يزيد لثورة أهل المدينة عندما حاول أن يطمعهم بزيادة العطاء، فلم يفلح في تجنّب سفك الدماء، وما حيلة يزيد إذا أصرّ القوم على تحديه وخلعه!! كما يقول هذا الكاتب[2].

وقد وصف كاتب آخر يزيد برجاحة العقل وحسن التصرّف ومعرفته بالقرآن وحفظه له، ودليله على ذلك استخدام يزيد لألفاظ القرآن في طي كلامه، وهو بنظره شاهد على كذب ما تدعيه الروافض من توجيه الاتّهامات لشخص يزيد وإلصاق تهمة شرب الخمر وترك الصلاة وتعدّي أحكام كتاب الله به ظلماً وعدواناً!![3]. فالروايات بنظر هؤلاء الكتّاب لم تجرح يزيداً في كفاءته ودينه وعلمه وجهاده، وإنّ اتّهامه بشرب الخمر لا يثبت إلّا بشاهدي عدل، وقد عجز المبطلون أن يجدوا شاهداً واحداً، وفُضحت دعواهم!! كما يقول الجبري[4].

ويبدو أنّ الغاية من تنزيه يزيد بأعذار واهية متهافتة، كان الغرض منه الطعن في ثورة الإمام الحسين عليه السلام ومشروعيتها عند هؤلاء الكتّاب، إذ كانت غايتهم الأُولى الطعن في الحجج التي احتجّ بها الإمام الحسين عليه السلام والتي خرج من أجلها على يزيد.

---

(١) لما هلك معاوية صعد يزيد المنبر فخطب، فقال: «إنّ معاوية كان حبلاً من حبال الله مدّه ما شاء الله أن يمدّه، ثمَّ قطعه حين شاء أن يقطعه... وقد وليت الأمر بعده، ولست أعتذر من جهل ولا اشتغل بطلب علم، فعلى رسلكم فإنّ الله لو أراد شيئاً كان». المسعودي، مروج الذهب: ج٣، ص٢٦٣. وقد ورد المقطع الأخير عند البلاذري كالآتي: «ولن آني عن طلب ولا أعتذر من تفريط، وعلى رسلكم إذا أراد الله شيئاً كان». البلاذري، أنساب الأشراف: ج٥، ص١٦٢.

(٢) ماهر حمادة، دراسة وثقية: ص٤٢ ـ ص٤٥.

(٣) فرحات، كرم حلمي، دراسة في مقدّمة تحقيق كتاب قيد الشريد في أخبار يزيد لابن طولون الدمشقي (ت٩٥٣هـ/١٥٤٦م)، ط القاهرة، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م: ص٢١ ـ ص٣٥.

(٤) حوار مع الشيعة: ص٢٤٠ ـ ص٢٤١، ص٢٤٦، ص٢٥٦.

شبهة: شذوذ الإمام الحسين عليه السلام عن الأُمّة في ترك بيعة يزيد

اتّهم بعض الباحثين الإمام الحسين عليه السلام بأنّه خرج على الطاعة، ورفع راية العصيان على الخليفة الشرعي الذي حصل على بيعة كلّ أُمّهات المسلمين اللائي كنّ على قيد الحياة، وإن بلاد المسلمين كانت تعجّ بالصحابة، فلم يعترض أحد منهم على بيعة يزيد لما كان فيه من تقوى وصلاح وحسن إدارة وسياسة، إذ كان في جملة المبايعين له (١٨) بدرياً، و(١٤) ممّن بايع بيعة الرضوان، و(٢٣٣) صحابياً كانوا زبدة المسلمين!![١].

وممّا يُردّ به على ذلك أنّ أهل المدينة قد خرجوا على بيعة يزيد ما خلا بني أُمية الذين أُخرجوا منها قبيل وقعة الحرّة وقد قُتل فيها (٣٠٦) من المهاجرين والأنصار وأبنائهم، ذكرهم ابن خياط بأسمائهم[٢]، وبلغ قتلى قريش يومئذٍ نحواً من مائة، وقتلى الأنصار والحلفاء والموالي نحو المائتين[٣]، فأين هؤلاء الصحابة الذين عدَّدهم الكاتب وجعلهم من جملة المبايعين؟!

وإذا كان أغلب الكتّاب والباحثين ـ ممَّن دافع عن يزيد ـ قد نحى في دفاعه منحى ابن

---

(١) شاه، العقائد الشيعية: ص٧٠ ـ ص٧١.

(٢) ابن خياط، تاريخ ابن خياط، ص١٥٠ ـ ص١٥٥. ويُنظر: التعداد بأرقام أكبر: المسعودي، التنبيه والأشراف: ص٢٨٠. ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي: ج١، ص١٦٥.

(٣) ابن عبد البرّ، الاستيعاب: ج٣، ص٤١١.

العربي، أو نزّه يزيد من أيّ اتّهام وأحال القارئ إلى دفاع ورأي ابن العربي(١)؛ فلا مناص لنا من عرض آراء هذا الأخير، وحججه التبريرية، لأنّ لتلك الآراء مكانها وأثرها في الفكر السلفي، وقد طبعت الكثير من النتاجات السلفية بعد ابن العربي بطابعها.

وقد جاءت آراء ابن العربي في سياق اعتماده لأهليّة يزيد لولاية أمر المسلمين على ضوء شروط الإمامة التي قرّرها الواقع العامّ، فهو من القائلين بولاية المفضول، وإن كان هناك مَن هو أفضل منه إذا عقدت له، لما في عدم عقدها [أي الإمامة] أو طلب الأفضل من استباحة ما لا يباح، وتشتيت الكلمة، وتفريق أمر الأُمّة(٢).

ولكي لا يسقط أحد أهمّ شروط الإمامة الواجبة لصحّة عقدها ـ ومنها العدالة(٣) ـ قال

---

(١) يُنظر: الجبري، حوار مع الشيعة: ص٢٤٠ ـ ص٢٤١، ص٢٤٦، ص٢٥٦، الجميلي، السيد، تحقيق ودراسة كتاب استشهاد الحسين للإمام الطبري، ويليه رأس الحسين لشيخ الإسلام ابن تيمية، ط٢، بيروت، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م: ص١٢. القرضاوي، يوسف، تاريخنا المفترى عليه، ط القاهرة، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م: ص٨٤ ـ ص٨٥.

(٢) يُنظر: العواصم من القواصم: ص١٤٩ ـ ص١٥٢.

(٣) هناك مَن يشترط العدالة في الإمام، وهم: «الخوارج، والزيدية، والروافض [يعني الشيعة] وجمهور المعتزلة وبعض السنة». ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن حزم الظاهري (ت٤٥٦هـ/١٠٦٣م)، الفصل في الملل والأهواء والنحل، ط٢، بيروت، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م: ج٤، ص١٧٦.

وإنّ بعض السُنّة يشترطونها، كقول الماوردي: إنّ ممّا يخرج بالإمام عن الإمامة «شيئان: أحدهما جرح في عدالته، والثاني نقص في بدنه، فأمّا الجرح في عدالته وهو الفسق، فهو على ضربين: أحدهما ما تابع فيه الشهوة. والثاني ما تعلّق فيه بشبهة، فأمّا الأول منهما فمتعلّق بأفعال الجوارح، وهو ارتكابه للمحضورات وإقدامه على المنكرات تحكيماً للشهوة وانقياداً للهوى، فهذا فسق يمنع من انعقاد الإمامة ومن استدامتها...».

أبو الحسن، علي بن محمد بن حبيب البصري (ت٤٥٠هـ/١٠٥٨م)، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، ط٢، مصر، ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م: ص١٧. وكقول القلقشندي: «... فلا تنعقد إمامة الفاسق، وهو التابع لشهوته، المؤثر لهواه من ارتكاب المحضورات، والإقدام على المسكرات، لأنّ المراد من الإمام مراعاة النظر للمسلمين، والفاسق لم ينظر لنفسه في أمر دينه، فكيف ينظر في مصلحة غيره». الجرجاني، علي بن محمد (ت٨١٦هـ/١٤١٣م)، شرح المواقف، ط مصر، ١٣٢٥هـ/١٩٠٧م: ج٨، ص٣٥٠. ويُنظر: شمس الدين، محمد مهدي، نظام الحكم والإدارة في الإسلام، ط٧، بيروت، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م: ص١٦٦ ـ ص١٦٧.

ابن العربي في دفاعه عن أهليّة يزيد: «**فإن قيل: كان يزيد خمّاراً. قلنا: لا يحلُّ إلّا بشاهدين، فمَن شهد بذلك عليه؟ بل شهد العدل بعدالته. فروى يحيى بن بكير**(١)**، عن الليث بن سعد**(٢)**، قال الليث: توفي أمير المؤمنين يزيد في تاريخ كذا، فسمّاه الليث (أمير المؤمنين) بعد ذهاب ملكهم وانقراض دولتهم؛ ولولا كونه عنده كذلك ما قال إلّا توفي يزيد**»(٣).

فلم يحفل ابن العربي بما اشتهر عن يزيد من خمره وفسقه، وتصريح أكثر من صحابي(٤) وتابعي معاصر ليزيد بذلك في وقت لم يقدّم يزيد أمام الحكم الإسلامي لسماع شهادة الشهود، واكتفى ابن العربي برأي إنسان واحد يمثل نفسه ومعتقده، وهو بعيد زمنياً عن عصر يزيد، ناهيك عن أنّ اعتماد قول الليث: «**أمير المؤمنين يزيد**» بوصفها شهادة عدل بحقّ يزيد مردود، لأنّ لهذا الأمر في الثقافة السنّية أكثر من تبرير لا يوجب عدالته، فقد نُقل عن الإمام أحمد(٥) قوله: «**ومَن غلبهم بالسيف حتى صار خليفة وسُمي أمير المؤمنين،**

---

(١) من أهل العراق، صنفه ابن النديم ضمن أصحاب الرأي من العراقيين أتباع أبي حنيفة النعمان، له من الكتب: كتاب الشروط. الفهرست: ص٢٦١.

(٢) الفهمي، يكنى أبا الحرث، من أصحاب مالك وعلى مذهبه، كان إمام أهل مصر، وكان يكاتب مالكاً ويسأله، له من الكتب: كتاب التاريخ، وكتاب مسائل في الفقه، وكان نواب مصر تحت أوامره. توفي سنة ١٦٥هـ/٧٨١م في رأي ابن قتيبة، وسنة ١٧٥هـ/٧٩١م في رأي الذهبي. يُنظر: المعارف: ص٢٨٣. ابن النديم، الفهرست: ص٢٥٢. الذهبي، أبو عبد الله شمس الدين (ت٧٤٦هـ/١٣٤٥م)، دول الإسلام، ط بيروت، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م: ص١٠٣.

(٣) ابن العربي، العواصم في القواصم: ص١٥٢ ـ ص١٥٣.

(٤) فضلاً عمَّن تقدَّم ذكره ورد عن الإمام الحسين عليه السلام قوله لمعاوية عندما دعاه إلى بيعة يزيد وعدد له فضائل: «تريد أن توهم الناس في يزيد، كأنّك تصف محجوباً أو تنعت غائباً، أو تخبر عمّا كان ممَّا احتويته بعلم خاص، وقد دلّ يزيد من نفسه على موقع رأيه».
ابن قتيبة، الإمامة والسياسة: ج١، ص١٥٠.

(٥) أبو عبد الله بن محمد بن حنبل الشيباني المروزي البغدادي، له عدّة كتب، منها: كتاب العلل، كتاب التفسير، كتاب الزهد، كتاب الفضائل، وكتاب المسند ويحتوي على نيف وأربعين ألف حديث، توفي في بغداد سنة ٢٤١هـ/٨٥٥م، وكان له ضريح يُزار في بغداد. ابن النديم، الفهرست: ص٢٨٥. الذهبي، دول الإسلام: ص١٣٠.

فلا يحلّ لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يبيت ولا يراه إماماً عليه، برّاً كان أو فاجراً، فهو أمير المؤمنين»(١).

وقد استشهد ابن العربي بقول أحمد بن حنبل عن يزيد بن معاوية في كتاب الزهد بأنّ يزيد كان يقول في خطبته: «**إذا مرض أحدكم مرضاً فأُشفي ثمَّ تماثل، فلينظر إلى أفضل عمل عنده فليلزمه، ولينظر إلى أسوأ عمل عنده فليدعه**»، فقال: إنّ ذلك يدلّ على عظيم منزلة يزيد عند ابن حنبل، لأنّه أدخله في جملة الزهّاد من الصحابة والتابعين الذين يُقتدى بقولهم ويُرعوى من وعظهم، وما أدخله إلّا في جملة الصحابة قبل أن يخرج إلى ذكر التابعين. فأين هذا من ذكر المؤرِّخين له في الخمر وأنواع الفجور..؟ وختم ابن العربي مقاله الوعظي ـ الذي لم يلغِ حقيقة، ولم يدلّ على زهد يزيد بدليل عمليٍّ ملموس، يوازي المنقول من سيرته ـ بالقول: وإذا سلبهم الله المروءة والحياء ـ المؤرِّخين ـ ألّا ترعوون أنتم وتزدجرون وتقتدون بالأحبار والرهبان من فضلاء الأُمّة ـ كابن حنبل مثلاً ـ وترفضون الملحدة والمجان من المنتمين إلى الملّة(٢)؟!

ويبدو من هذه النصوص أنّ ابن العربي كان مصدراً للمؤرِّخين المتأخِّرين ـ ومنهم الكتّاب المصريين ـ ليس في تنزيه يزيد فحسب، بل وفي نسبة أخبار فسقه وفجوره إلى جماعة بعينها وصفها بالإلحاد والمجون، وقد كان المصريون أشجع منه في التصريح باسمها فذكروا (العلويين) تارة، و(الرافضة) تارة أُخرى.

وقد انتقى عدد من الباحثين والكتّاب المصريين(٣) في سعيهم لتبرئة يزيد من شربه

---

(١) الفرّاء، أبو يعلى محمد بن الحسين الحنبلي (ت٤٥٨هـ/١٠٦٥م)، الأحكام السلطانية، صححه وعلق عليه: محمد حامد الفقي، ط٢، مصر، ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م: ج١، ص٢٠.

(٢) ابن العربي، العواصم من القواصم: ص١٥٦.

(٣) يُنظر: عبد اللطيف، العالم الإسلامي: ص٤٩٠. شاهين، الدولة الأُموية: ص١٩٨. الجبري، حوار مع الشيعة: ص٢٤٥ ـ ص٢٤٦. النجّار، الشيعة وإمامة علي: ص٢٦ ـ ص٢٧. فرحات، دراسة في مقدّمة كتاب قيد الشريد: ص٣٠ ـ ص٣١. الجميلي، دراسة في مقدّمة كتاب استشهاد الحسين،

الخمر وتركه الصلاة نصّاً واحداً ورد لدى ابن كثير (ت٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م)، ولأهمّية النصّ سنورده كاملاً:

«ولمّا رجع أهل المدينة من عند يزيد مشى عبد الله بن مطيع[1] وأصحابه إلى محمد بن الحنفية، فأرادوه على خلع يزيد فأبى عليهم، فقال ابن مطيع: إنّ يزيد يشرب الخمر ويترك الصلاة ويتعدّى حُكم الكتاب. فقال لهم: ما رأيت منه ما تذكرون، وقد حضرته وأقمت عنده فرأيته مواضباً على الصلاة متحرّياً للخير، يسأل عن الفقه، ملازماً للسنّة، قالوا: فإنّ ذلك كان منه تصنُّعاً لك. فقال: وما الذي خاف مني أو رجا حتى يظهر إليّ الخشوع؟ أفأطلعكم على ما تذكرون من شرب الخمر؟ فلئن كان أطلعكم على ذلك إنّكم لشركاؤه، وإن لم يكن أطلعكم فما يحلّ لكم أن تشهدوا بما لم تعلموا. قالوا: إنّه عندنا لحق وإن لم يكن رأيناه. فقال لهم: أبى الله ذلك على أهل الشهادة، فقال: ﴿...إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[2]، ولست من أمركم في شيء، قالوا: فلعلك تكره أن يتولّى الأمر غيرك، فنحن نوليك أمرنا. قال: ما استحلّ القتال على ما تريدونني عليه تابعاً ولا متبوعاً. قالوا: فقد قاتلتَ مع أبيك، قال: جيئوني بمثل أبي أُقاتل على مثل ما قاتل عليه. فقالوا: فمر ابنيك أبا القاسم والقاسم بالقتال معنا. قال: لو أمرتُهما قاتلتُ. قالوا: فقم معنا مقاماً تحض الناس فيه على القتال. قال: سبحان الله! آمر الناس بما لا أفعله ولا أرضاه، إذاً ما نصحت لله في عباده. قالوا: إذاً نكرهك. قال: إذاً آمر الناس بتقوى الله ولا يرضون المخلوق بسخط

→

ص١٢. عويس، بنو اُمية بين السقوط والانتحار: ص٢٤. عبد العال، محمد، الحالة السياسية للمدينة المنورة إبان الحكم الأُموي، ط دسوق، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م: ص٧٩.

(١) ابن الأسود بن حارثة بن نضلة... بن كعب القرشي العدوي، ولد على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله، كان على قريش لما أخرج أهل المدينة بني اُمية أيام يزيد بن معاوية من المدينة، وخلعوا يزيد، ثمَّ فرّ بعد وصول أهل الشام المدينة، ولحق بابن الزبير بمكّة وقُتل معه. وكان من جُلّة قريش شجاعة وجلداً. يُنظر: ابن قتيبة، المعارف: ص٢٢٢. ابن الأثير، اُسد الغابة: ج٣، ص٢٦٢.

(٢) الزخرف: الآية ٨٦.

الخالق. وخرج إلى مكّة»[1].

وإذا كنّا نسجّل هنا على الكتّاب والباحثين الذين أوردوا هذه الرواية منهجهم الانتقائي ـ لأنّ ابن كثير الذي أخذوا عنه قائلٌ بفسق يزيد[2]، وقد أورد هذه الرواية لتبرير الرأي القائل بأنّ الفاسق لا يجوز خلعه لأجل ما يثور بسبب ذلك من الفتنة ووقوع الهرج[3] ـ فإنّ لنا أنّ نتسائل لماذا اعتمدوا هذه الرواية وأهملوا رأي ناقلها ـ ابن كثير ـ ؟!

ونُرجّح وضع هذه الرواية؛ لعدّة مسوغات: فهي لم ترد في المصادر المتقدّمة[4] ـ التي قيض لنا الاطلاع عليها ـ مع أنّها أقرب زمنياً إلى وقوع الحادثة وأسبق من ابن كثير.

وقد ذكر ابن كثير هذا النصّ بدون سند، فهو من أخبار الآحاد التي سُكت عن روايتها لأكثر من سبع قرون ـ إذ لم ترد في مصدر متقدِّم ـ ثمَّ أصبح إيراد ابن كثير لها دليلاً على التسليم بتبرئة يزيد لدى الكتّاب والباحثين المتأخّرين، وإسقاط كلّ المروي عنه في المصادر السابقة.

أمّا من ناحية متن الرواية، فكاتب النصّ ـ أو راويه ـ حاول أن يظهر يزيد مواظباً على الصلاة، متحرّياً للخير، سائلاً عن الفقه، ملتزماً بالسنّة، وهي شهادة جعلها تصدر من محمد بن الحنفية، وهو أحد زعماء بني هاشم، وابن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي

---

(١) ابن كثير، البداية والنهاية: ج٨، ص٢٣٣.

(٢) يُنظر: المصدر نفسه: ج٨، ص٢٣٠، ص٢٣٢.

(٣) ابن كثير، البداية والنهاية: ج٨، ص٢٣٢ ـ ص٢٣٣.

(٤) قام الباحث بجرد المصادر التالية: طبقات ابن سعد (ت٢٣٠هـ/٨٤٤م). تاريخ ابن خياط (ت٢٤٠هـ/ ٨٥٤م). الإمامة والسياسة لابن قتيبة (ت٢٧٦هـ/ ٨٨٩م). أنساب الأشراف للبلاذري (ت٢٧٩هـ/ ٨٩٢م). الأخبار الطوال للدينوري (ت٢٨٢هـ/ ٨٩٥م). تاريخ اليعقوبي (ت٢٩٢هـ/ ٩٠٤م). تاريخ الطبري (ت٣١٠هـ/ ٩٢٢م). فتوح ابن أعثم (ت٣١٤هـ/ ٦٢٩م). مروج الذهب للمسعودي (ت٣٤٦هـ/ ٩٥٧م). شرح الأخبار للقاضي التميمي (ت٣٦٣هـ/ ٩٧٣م). واستيعاب ابن عبد البر (ت٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م). وأُسد الغابة لابن الأثير (ت٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م) ومصادر أُخرى كثيرة لم ترد هذه الرواية في طياتها.

طالب عليه السلام، فلا بدّ وأن تكون صادقة، وإنّ اتّهام يزيد بصفات الانحلال والفسق والفجور اتهامات باطلة!! ولعل اقحام اسم محمد بن الحنفية في الرواية كان لهذا الغرض فعند الاسترسال في قراءة النصّ يتبيَّن أنّه أظهر محمداً وهو ابن الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام وأخو الإمام الحسين عليه السلام بأنّه كان يجد بأنّ الخروج على يزيد إنّما خروج على الحاكم الشرعي والخليفة الواجب الطاعة، بل إنّ النصّ يدلّ على أنّ القتال بعد الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام للدولة الأُموية باطل وغير مشروع عنده «**قالوا: قد قاتلت مع أبيك. قال: جيئوني بمثل أبي أُقاتل على مثل ما قاتل عليه**».

فخروج الإمام الحسين عليه السلام لم يكن مشروعاً بنظر ابن الحنفية على وفق هذا النصّ، وهذا ما يخالف ما جاء في الروايات التاريخية التي صرّحت بأنّ محمداً نصح أخاه الإمام الحسين عليه السلام بالمسير إلى مكّة ـ بعد هلاك معاوية وإلحاح والي المدينة على الإمام الحسين عليه السلام بالبيعة ليزيد ـ ليتخلّص من ضغط الأمويين أو محاولات إيذائهم له على اعتبار أنّ مكّة حرم آمن[1].

بل إنّ بقاء محمد بن الحنفية في المدينة عند مغادرة الإمام الحسين عليه السلام إلى مكّة كان بأمر من الإمام الحسين عليه السلام نفسه؛ إذ قال له: «**وأمّا أنت يا أخي فلا عليك أن تقيم بالمدينة فتكون لي عيناً عليهم ولا تخفي عليّ شيئاً من أمورهم**»[2].

وهو ما يؤكّد مشاركة محمد بن الحنفية مع أخيه الإمام الحسين عليه السلام في ثورته على يزيد، فضلاً عن أنّه سيكون من أشدّ المعارضين ليزيد بعد مقتل الإمام الحسين عليه السلام، وللدولة الأموية وهو ما يبدو واضحاً في موقفه من ثورة المختار.

---

(١) يُنظر: الطبري، محمد بن جرير (ت٣١٠هـ/٩٢٢م)، استشهاد الحسين، تحقيق: السيد الجميلي، ط٢، بيروت، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م: ص٣٣. ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٣٧٩. ابن خلدون، العبر: ج٣، ص٢٠.

(٢) ابن أعثم، الفتوح: ج٥، ص٢١.

وقد ذهب أحد الكتّاب المتأخرِّين إلى تأكيد رواية ابن كثير، ولكنه أوّلَ موقفَ ابن الحنفية إلى التزامه بمبدأ التقية خوفاً على نفسه من أن يحدث له مثل الذي حدث للإمام الحسين عليه السلام لأنّه لا يملك من العدّة والرجال ما يساعده على شنّ الحرب على يزيد[1].

ويبدو لنا أنّ الوضع في نصّ ابن كثير كان جلياً خدمة لأغراض الدولة الأموية ليقال بأنّ يزيد رجل صالح لا يجوز قتاله، وبشهادة من ابن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام نفسه، ويبدو أنّ واضع النصّ قد حرص على إظهار أهل المدينة مخطئين بخروجهم على يزيد الذي كان ـ في رأيه ـ محقّاً في إجراءاته في القضاء على حركتهم في وقعة الحرّة[2].

(١) الجمل، سيرة الحسين: ص٥١.

(٢) يُنظر: ابن كثير، البداية والنهاية: ج٨، ص٢٣٢ ـ ص٢٣٣.

شبهات حول موقف الكوفيين من ثورة الإمام الحسين عليه السلام

مثّل خروج الإمام الحسين عليه السلام إلى مكّة وإباءه البيعة بارقة أملٍ لمَن يرغبون في التخلّص من بني أمية والسير خلف راية أهل البيت عليهم السلام[1]؛ إذ كان العراق في هذا الوقت ملتهباً بعد أن عَلِم أهله بهلاك معاوية وبيعة يزيد، وخروج الإمام الحسين عليه السلام إلى مكّة رافضاً البيعة، فعقدت في الكوفة الاجتماعات المناهضة للسلطة الأموية فاجتمع الكوفيون في بيت سليمان ابن صرد الخزاعي[2].

وقد أورد عدد كبير من الكتّاب المتأخّرين ذكر اجتماع أهل الكوفة هذا ضمن سياقه التاريخي كما ورد في المصادر التاريخية المتقدّمة[3] وحاول أحمد شلبي أن يعلل موقف الكوفيين هذا بحبّهم للتمرُّد والخروج على السلطة بلا مسوغ فقال:

---

(١) النفيس، على خطى الحسين: ص٩٣.

(٢) أبو مخنف، مقتل الحسين عليه السلام: ص١٥، الدينوري، الأخبار الطوال: ص٢٢٩. الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٦، ص١٨٢. ابن أعثم، الفتوح: ج٥، ص٢٧. الخوارزمي، مقتل الحسين: ج١، ص٢٨٢. وسليمان بن صرد بن الجون الخزاعي، أحد الصحابة، كان خيراً فاضلاً له دين وعبادة، سكن الكوفة، وكان له قدر وشرف في قومه، شهد مع الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام مشاهده كلّها، وكان فيمَن كتب للإمام الحسين عليه السلام بعد هلاك معاوية يسأله القدوم إلى الكوفة، ثمَّ ترك القتال معه، فندم وطلب بثاره وقاد التوابين سنة ٦٥هـ/ وقاتلوا عبيد الله ابن زياد في عين الوردة فقُتل وحُمل رأسه إلى مروان بن الحكم في الشام. ابن عبد البرّ، الاستيعاب: ج٢، ص٦٣ ـ ص٦٤. ابن الأثير، أُسد الغابة: ج٢، ص٣٥١.

(٣) أبو النصر، الحسين بن علي: ص٥٤. رضا، الحسن والحسين: ص٦٥ ـ ص٦٦. لطفي، الشهيد الخالد: ص٣٣. عبد العليم، سيدنا الإمام الحسين: ص٧٦. سرور، الحياة السياسية: ص١٣٤ ـ ص١٣٥. إبراهيم، أيام العرب: ص٤٠٠.

«لقد كان أهل الكوفة يستجيبون لكلّ نداء للثورة حتى ليجد الباحث ثورات متّصلة دون أن يجد لها سبباً معقولاً، كأنّ الثورات أصبحت هدفاً لذاتها، واضطراب الأمن أصبح مقصوداً لذاته»(١).

وهو يتجاهل عمداً بهذا الحكم ما لحق بالكوفيين من اضطهاد وتنكيل نتيجة السياسة الأموية.

وقد شاركت البصرة الكوفة في عملية التحرُّك، فالتأم اجتماع عدد من أهلها في بيت امرأة من عبد القيس يُقال لها مارية بنت سعد(٢).

وقد انتقدت في الاجتماع سياسة معاوية، ورفضت ولاية يزيد، واستقرت كلمة الحاضرين على دعوة الإمام الحسين عليه السلام للقدوم عليهم، فكتبوا إليه(٣) **«من أجل قيادة الثورة التي قطعت شوطاً من النضج، جاء في النتيجة محصلاً للمرحلة السرّية وجهودها المكثّفة كإطار وحيد للنضال السياسي في العهد السابق»**(٤).

وكان أول كتاب ورد للإمام الحسين عليه السلام في مكّة لعشر ليال خلون من شهر رمضان(٥)، وعلى الرغم من تواتر مكاتبات أهل العراق للإمام الحسين عليه السلام في المصادر التاريخية المتقدّمة، فقد خالف بعض الكتّاب ذلك، فزعموا بأنّ الإمام الحسين عليه السلام هو

---

(١) موسوعة التاريخ الإسلامي: ج٢، ص١٩٥.

(٢) أبو مخنف، مقتل الحسين عليه السلام: ص١٧ ـ ص١٨. الطبري، تاريخ الأُمم والملوك: ج٦، ص١٨٣. ابن الأثير، الكامل: ج٣، ص٣٨٦.

(٣) يُنظر فيما كتبه أهل الكوفة والبصرة إلى الإمام الحسين عليه السلام: أبو مخنف، مقتل الحسين عليه السلام: ـ ص١٧. الدينوري، الأخبار الطوال: ص٢٢٩. الطبري، تاريخ الأُمم والملوك: ج٦، ص١٨٢ ـ ص١٨٣. ابن أعثم، الفتوح: ج٥، ص٢٧ ـ ص٢٩. الخوارزمي، مقتل الحسين عليه السلام: ج١، ص٢٨٢ ـ ص٢٨٣. ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٣٨٥.

(٤) بيضون، من دولة عمر: ص١٨٥.

(٥) البلاذري، أنساب الأشراف: ج٣، ص٢٧٠.

الذي كاتب الشيعة في الكوفة يطالبهم بالبيعة له، فكاتبوه بالقدوم عليهم[1].

ولعل المتمعِّن في الحوادث التاريخيّة سيجد أنّ الإرادة الشعبية قد أبدت مطالبتها ـ ولو ظاهرياً ـ للإمام الحسين عليه السلام للقيام بالثورة على الحكومة القائمة، وقد ظهر ذلك جلياً من إجماع أهل الحجاز على تفضيل الإمام الحسين عليه السلام، وخاصّة بعد إعلانه عدم البيعة وقدومه إلى مكّة[2]، ومن اجتماع أهل العراق ـ كوفة وبصرة ـ على مكاتبته ودعوته للقدوم، وقد حدد الإمام الحسين عليه السلام نظرته للحكم ورؤيته للسلطة، ومفهومه لإرادة الناس، وبيعة الجمهور من خلال رسالته التي بعثها إلى أهل الكوفة جواباً على كتبهم: «**قد فهمت كلّ الذي اقتصصتم وذكرتم، ومقالة جلّكم إنّه ليس علينا إمام فأقبل لعل الله أن يجمعنا بك على الهدى والحقّ...، فلعمري، ما الإمام إلّا العامل بالكتاب والآخذ بالقسط، والدائن بالحقّ، والحابس نفسه على ذات الله**»[3]. وهو يوضح أنّ الإمام الحسين عليه السلام يستجيب لإرادة عامّة (مقالة جُلّكم) ويفضح بطلان بيعة الحاكم يزيد وعدم أهليته لولاية المسلمين ببيان بعض الشروط الموضوعية للإمام على الناس. وهو ما أكّده الإمام الحسين عليه السلام في المدينة عندما طلب منه مروان بن الحكم مبايعة يزيد، فقال له: «**إنّا لله وإنّا إليه راجعون. وعلى الإسلام السلام إذا بُليت الأُمّة براعٍ مثل يزيد.. يا مروان، أترشدني لبيعة يزيد، ويزيد رجل فاسق؟!!**»[4].

---

(١) حسن، زعماء الإسلام: ص٢٠٠. مسعود، أقاليم الدولة الإسلامية: ص١٣٤. لطفي، الشهيد الخالد: ص٣٣. ويُنظر: توهم أحدهم بأنّ الإمام الحسين عليه السلام لم يخرج إلى مكّة وبقي في المدينة حتى ورود رسالة مسلم بن عقيل يدعوه بالتوجّه إلى الكوفة. كريم، أعلام في التاريخ الإسلامي: ص٨٢.

(٢) الطبري، تاريخ الأُمم والملوك: ج٦، ص١٨٢.

(٣) أبو مخنف، مقتل الحسين عليه السلام: ص١٧. الطبري، تاريخ الأُمم والملوك: ج٦، ص١٨٣. ابن أعثم، الفتوح: ج٥، ص٣٠ ـ ص٣١. ابن أعثم، مقتل الحسين: ص٤٢. الخوارزمي، مقتل الحسين عليه السلام: ج١، ص٢٨٤. ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٣٨٥ ـ ص٣٨٦.

(٤) يُنظر بتفاوت في الألفاظ: ابن أعثم، الفتوح: ج٥، ص١٧. الخوارزمي، مقتل الحسين عليه السلام: ج١، ص٢٦٨. ابن طاووس، اللهوف: ص١٧.

ولذلك نعتقد بأنّ دوافع الثورة كانت قائمة، وأنّ الإمام الحسين عليه السلام كان سيقوم بها حتى إذا لم تأته رسائل الكوفيين التي قد تكون عجّلت بقيام الثورة، لأنّها تعبير عن إلقاء المسؤولية الشرعية على عاتق الإمام الحسين عليه السلام في الخروج على الحاكم الظالم[1]. فضلاً عن أنّ السلطة الأُموية لم تكن لتترك للإمام الحسين عليه السلام دون انتزاع البيعة منه أو قتله، وقد صرّح الإمام بهذه الحقيقة في كلامه مع الذين حاولوا أن يثنوه عن مسيره، أو الخروج من مكّة، فقال: «**والله، لا يدعوني حتى يستخرجوا هذه العلقة من جوفي فإذا فعلوا سلّط الله عليهم مَن يذلّهم..**»[2]، وفي نصّ آخر: «**وايمُ الله، لو كنت في جحر هامة من هذه الهوام لاستخرجوني حتى يقضوا بي حاجتهم**»[3]. لاسيما وأنّ اتّخاذ الإمام الحسين عليه السلام لمكّة بما تمثله من موقع إسلامي، وطابع قرشي مقرّاً لهذه الحركة، من أكبر التحديات التي واجهت يزيد في ذلك الوقت، فقد كان ـ احتمال ـ خروجها من الإطار الأُموي ضربة شديدة لعهده، المحاط بالنقد والارتياب بكفاءة الخليفة[4].

وإذا كانت الثورة قد أصبحت القرار النهائي للإمام الحسين عليه السلام، فقد حرص على تهيئة الموقف السياسي في العراق قبل الوصول إليه، إذ إنّه أمام إلحاح أهل العراق وتوالي

(١) لقد أكّد الإمام الحسين عليه السلام في خطبته في موسم الحجّ أيام معاوية على مسؤولية علماء الأُمّة في التصدّي للظلم. الحراني، تحف العقول: ص٢٤٢ ـ ص٢٤٣. ويندرج ذلك في موقف الإحساس بالمسؤولية الذي أكّده الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام من قبل عندما عدّ هذا الأمر إجبارياً وليس اختيارياً أبان بيعته، فقال: «... أما والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، لولا حضور الحاضر، وقيام الحجّة بوجود الناصر، وما أخذ الله على العلماء ألا يقاروا على كظّةِ ظالم، ولا سَغب مظلوم، لا لقيت حبلها على غاربها.. ولا لفيتم دنياكم هذه أزهد عندي من عفطة عنز». نهج البلاغة: ص٣٩.

(٢) ابن الأثير، الكامل في الكامل، ٣، ص٤٠١.

(٣) أبو مخنف، مقتل الحسين: ص٦٧. الطبري، تاريخ الأُمم والملوك: ج٦، ص٢٠٣. ابن أعثم، الفتوح: ج٥، ص٦٧. ابن أعثم، مقتل الحسين: ص٨٣. الخوارزمي، مقتل الحسين: ص٣١٢. ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٤٠٠.

(٤) بيضون، الحجاز والدولة الإسلامية: ص٢٥٢.

كتبهم ورسلهم إليه في مكّة كتب إليهم يقول: «... **وقد بعثت إليكم أخي وابن عمّي وثقتي من أهل بيتي، وأمرته أن يكتب إليّ بحالكم وأمركم ورأيكم، فإن كتب إليّ بأنّه قد أجمع رأي ملئكم وذوي الفضل والحِجى منكم على مثل ما قدِمت عليّ به رسلكم وقرأت في كتبكم، أقدم عليكم وشيكاً إن شاء الله**»(١).

ويتبيّن من هذا الكتاب أنّ الإمام الحسين عليه السلام قد أرسل مَن يتعرَّف على ما أجمع أهل الكوفة عليه، وأكّد لهم أنّه سوف يلبّي مطالبهم بالقدوم إليهم إذا كتب إليه رسوله بما يشاهده منهم، وهذا غاية ما يستطيعه للاحتراز قبل الإقبال إلى العراق(٢) فأرسل ابن عمّه مسلم بن عقيل إلى الكوفة(٣) وأرسل مولاه سليمان إلى البصرة(٤).

---

(١) أبو مخنف، مقتل الحسين: ص١٧. الدينوري، الأخبار الطوال: ص٢٣٠. الطبري، استشهاد الحسين: ص٤٥. الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ج٦، ص١٨٣. ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٣٨٦.

(٢) لاسيما وإنّ الكوفيين كتبوا إليه: «ولو قد بلغنا أنّك قد أقبلت إلينا، أخرجناه [أي الوالي] حتى نلحقه بالشام». الطبري، تاريخ الأُمم والملوك: ج٦، ص١٨٣.

(٣) أبو مخنف، مقتل الحسين: ص١٩. ابن خياط، تاريخ ابن خياط: ص١٤٣. ابن قتيبة، الإمامة والسياسة: ج٢، ص١٨٢. البلاذري، أنساب الأشراف: ج٣، ص٣٧٠. الدينوري، الأخبار الطوال: ص٢٣٠. اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي: ج٢، ص١٦٩. الطبري، تاريخ الأُمم والملوك: ج٦، ص١٨٤. ابن أعثم، الفتوح: ج٥، ص٣١. ابن عبد ربّه، العُقد الفريد: ج٤، ص٣٧٧. ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٣٨٦.

(٤) أبو مخنف، مقتل الحسين: ص٢٤. الدينوري، الأخبار الطوال: ص٢٣١. الطبري، استشهاد الحسين: ص٤٨. الطبري، تاريخ الأُمم والملوك: ج٦، ص١٨٦. ابن طاووس، اللهوف: ص٢٥.

شبهة: التحريف في كتاب الإمام الحسين عليه السلام إلى أهل البصرة

لقد توالت الرسائل والكتب ووفود الكوفة والبصرة إلى الإمام الحسين عليه السلام في مكّة[1] ولم يغفل الكتّاب المتأخرون ذلك، فأوردوا أسماء مَن راسل الإمام الحسين عليه السلام من الكوفة أو البصرة، أو من قدم عليه إلى مكّة يدعونه إلى القدوم إلى العراق كما ورد في المصادر المتقدّمة[2].

إلّا أنّ أحد أولئك الكتّاب المتأخرين[3] شكّك في أنّ الكتاب الذي أرسله الحسين عليه السلام إلى البصرة قد زيدت فيه مزاعم وعبارات لا يمكن أن تصدر من الإمام الحسين عليه السلام، وشاطر بذلك ابن كثير ـ قبله ـ الذي عبّر عن تحفّظه على رسالة للإمام الحسين عليه السلام لأهل البصرة بالقول: «**وعندي في صحّة هذا عن الحسين نظر، والظاهر أنّه مطرز بكلام مزيد من**

---

(١) كان ممّن قدم على الإمام الحسين عليه السلام من أهل الكوفة حاملاً كتب أهلها إليه: قيس بن مسهر الصيراوي، وعبد الرحمن بن عبد الله الأرحبي، وعمارة بن عبيد السلولي، وعبد الله بن سبع الهمداني، وعبد الله بن وائل السلمي، وهانئ السبيعي، وسعيد بن عبد الله الحنفي، ومن البصرة: يزيد بن نبيط وولديه عبد الله وعبيد الله.

يُنظر بتفاوت في ذكر الأسماء: أبو مخنف، مقتل الحسين: ص١٦ ـ ص١٨. البلاذري، أنساب الأشراف: ج٣، ص٣٧٠. الدينوري، الأخبار الطوال: ص٢٢٩. الطبري، استشهاد الحسين: ص٤٤ ـ ص٤٥. الطبري، تاريخ الأُمم والملوك: ج٦، ص١٨٣. ابن أعثم، الفتوح: ج٥، ص٢٨ ـ ص٢٩. الخوارزمي، مقتل الحسين: ج١، ص٢٨٢ ـ ص٢٨٣. ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٣٨٥ ـ ص٣٨٦. النويري، نهاية الإرب: ج٢٠، ص٣٨٦.

(٢) عويس، شهيد كربلاء، ص١٤٢ ـ ١٤٣. محمد، أهل البيت في مصر، ص٦٢. أبو النصر، الحسين بن علي، ص٥٤ ـ ٥٦.

(٣) يوسف، سيد شباب أهل الجنة، ص٤١٨.

بعض رواة الشيعة»[١].

وممّا جاء في ذلك الكتاب:

«أمّا بعد، فإنّ الله اصطفى محمداً صلى الله عليه وآله على خلقه، وأكرمه بنبوته، واختاره لرسالته، ثمَّ قبضه الله إليه وقد نصح لعباده، وبلغ ما أُرسل به صلى الله عليه وآله، وكنّا أهله وأولياءه وأوصياءه وورثته، وأحقّ الناس بمقامه في الناس، فاستأثر علينا قومنا بذلك، فرضينا وكرهنا الفرقة، وأحببنا العافية، ونحن نعلم أنّا أحقّ بذلك الحقّ المستحقّ علينا ممَّن تولاّه، وقد أحسنوا وأصلحوا، وتحروا الحقّ، فرحمهم الله، وغفر لنا ولهم. وقد بعثت رسولي بهذا الكتاب، وأنا أدعوكم إلى كتاب الله وسنّة نبيه صلى الله عليه وآله، فإنّ السنّة قد أُميتت، وإنّ البدعة قد أُحييت، وإن تسمعوا قولي وتطيعوا أمري أهدكم سبيل الرشاد، والسلام عليكم ورحمة الله»[٢].

ولو نظرنا في نصّ الكتاب سنجد إشارة إلى ذلك الخلاف الذي حصل حول الخلافة بعد وفاة الرسول الكريم صلى الله عليه وآله بين بني هاشم وسواهم، وتواترت كتب التاريخ على اختلاف مذاهب أصحابها على نقله، وفي الكتاب قول بحقّ أهل البيت بخلافة النبي صلى الله عليه وآله ووصايته ووراثته، وهذا ما لم يتخلَّ عن التصريح به الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام قبل خلافته وبعدها، وصرّح به الإمام الحسن عليه السلام بعده، وذكر الإمام الحسين عليه السلام ترك بني هاشم للخلاف حبّاً للجماعة والائتلاف في جميع الأدوار التأريخية التي أعقبت وفاة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، أمّا دعوته أهلَ البصرة لإحياء السُنّة وإماتة البدعة، فهذا شعار الإصلاح الذي كرره الإمام الحسين عليه السلام كثيراً، فلا ندري ما الذي زاده الشيعة في نسخة الكتاب؟ واعتمد هذا الكاتب وجهة نظر ابن كثير ـ بأنّ رسالة الإمام الحسين عليه السلام قد طالتها يد التحريف والزيادة ـ مع أنّ المعروف عن ابن كثير ميله ودفاعه عن بني أُميّة، ولا نعرف لماذا يعتمد كثير من الكتّاب والباحثين المتأخرين نسبة كلّ ما لا يوافق هواهم إلى الكذب من دون دليل علمي.

---

(١) ابن كثير، البداية والنهاية: ج٨، ص١٥٨.

(٢) الطبري، تاريخ الأُمم والملوك: ج٦، ص١٨٥ ـ ص١٨٦. ابن كثير، البداية والنهاية: ج٨، ص١٥٨.

تحميل أهل الكوفة المسؤوليّة التاريخيّة في مقتل الإمام الحسين عليه السلام

توجه عبيد الله بن زياد إلى الكوفة بأمر يزيد بن معاوية ودخلها قبل أن يصل الإمام الحسين عليه السلام إلى العراق، واتّخذ فيها إجراءات قاسية وصارمة؛ إذ أخذ العرفاء أخذاً شديداً، ووجّه إليهم أمره بأن: «**اكتبوا لي الغرباء ومَن فيكم من طلبة أمير المؤمنين، ومَن فيكم من الحرورية وأهل الريب الذين رأيهم الخلاف والشقاق، فمَن كتبَهم لنا فبرئ، ومَن لم يكتب لنا أحداً، فليضمن لنا ما في عرافته أن لا يخالفنا منهم مخالف، ولا يبغِ علينا منهم باغٍ، فمَن لم يفعل برئت منه الذمّة، وحلال لنا ماله وسفك دمه، وأيما عريف وجد في عرافته من بغية أمير المؤمنين أحد لم يرفعه إلينا صُلب على باب داره، وأُلغيت تلك العرافة من العطاء...**»[1].

فلم يكتفِ ابن زياد بجواسيسه، وإنّما جعل من كلّ عريف على قومه جاسوساً يوافيه بأخبار كلّ داخلٍ ووافد، وإلّا يستحلّ دمَه وماله، وهذه إجراءات تخلق أجواءً من الرعب والرهبة والتحسّب من الكوفيين.

وفي نفس السياق، فإنّه عمل على إلقاء القبض على عدد من الذين كان يُعرف ولاؤهم لأهل البيت عليهم السلام ـ ومن بينهم المختار بن أبي عبيد وعبد الله بن الحارث[2] ـ حتى وصل تعداد مَن كان في سجن ابن زياد إبّان ثورة الإمام الحسين عليه السلام ما يقارب الأربعة آلاف وخمسمائة إنسان من خلّص أصحاب وشيعة الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام.

---

(١) الطبري، تاريخ الأُمم والملوك: ج٦، ص١٨٧. ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٣٨٩.

(٢) الطبري، تاريخ الأُمم والملوك: ج٦، ص٢٠١.

وفي ظلّ استهداف عبيد الله لمسلم بن عقيل كان لا بدّ من تغيير مكان إقامته، فلم يعد بقاؤه صالحاً في مكان معروف، فلجأ إلى دار أُخرى هي دار هانئ بن عروة المذحجي[1].

وعلى الرغم من كلّ التهديدات التي وجهها ابن زياد إلى العرفاء والشرطة والناس، فإنّه لم يتعرَّف على مكان مسلم إلّا عن طريق أحد جواسيسه، ممّا أدّى إلى استقدام هانئ إلى ابن زياد ومواجهته بذلك الجاسوس الذي كان يدخل دار هانئ ويلتقي بمسلم على أنّه من الموالين، ثمَّ أُهين هانئ وضُرب وحُبس[2].

وعندما علم مسلم بما صار من أمر هانئ خرج وعبّأ أربعة آلاف من قوّاته، سار بهم إلى قصر الإمارة حيث ابن زياد[3]، ويتبادر إلى الذهن سؤال له أهمّيته، وهو: لماذا لم يباغت مسلم عبيد الله بن زياداً في قصر الإمارة لاحتلاله وطرده منه قبل القبض على هانئ لاسيما وأنّ المصادر ذكرت أنّ مبايعيه من أهل الكوفة كانوا بعدد لا يُستهان به؟؟ ولماذا تحوّل مسلم إلى هذا الموقف من الهجوم متأخّراً؟ ولمّا لم يرد في المصادر التاريخية أي تفسير لهذا الموقف، فليس أمام الناظر المدقق إلّا أن يستنتج ذلك من ملابسات الحوادث؛ إذ يمكن القول إنّ مسلماً قد حاول أن يتجنّب إدخال المجتمع الكوفي في نزاع داخلي بين أطراف موالية وأُخرى معادية في الكوفة[4] قبل وصول الإمام الحسين عليه السلام، وربما يكون قد فكَّر في مناورة ابن زياد كما سبق مع

(١) يُنظر: أبو مخنف، مقتل الحسين عليه السلام: ص٣١. الدينوري، الأخبار الطوال: ص٢٣٣. اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي: ج٢، ص١٦٩. الطبري، تاريخ الأُمم والملوك: ج٦، ص١٨٩. ابن أعثم، الفتوح: ج٥، ص٤٠. ابن عبد ربّه، العُقد الفريد: ج٤، ص٣٧٨. الخوارزمي، مقتل الحسين عليه السلام: ج١، ص٢٩٠. ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٣٨٩.

(٢) يُنظر: أبو مخنف، مقتل الحسين عليه السلام: ص٣١ ـ ص٣٨. الدينوري، الأخبار الطوال: ص٢٣٥ ـ ص٢٣٨. الطبري، تاريخ الأُمم والملوك: ج٦، ص١٨٩ ـ ص١٩٢. ابن أعثم، الفتوح: ج٥، ص٤١ ـ ص٤٨. الخوارزمي، مقتل الحسين عليه السلام: ج١، ص٩٠ ـ ص٢٩٦.

(٣) يُنظر: أبو مخنف، مقتل الحسين عليه السلام: ص٤١ ـ ص٤٢. الدينوري، الأخبار الطوال: ص٢٣٨. الطبري، تاريخ الأُمم والملوك: ج٦، ص١٩٣. ابن أعثم، الفتوح: ج٥، ص٤٩. ابن طاووس، اللهوف: ص٣٣.

(٤) أشارت المصادر إلى وجود عناصر معادية للإمام الحسين عليه السلام وموالية للأُمويين في الكوفة. يُنظر: الطبري، تاريخ الأُمم والملوك: ج٦، ص١٨٧. المفيد، الإرشاد: ص٢٩٩. ابن طاووس، اللهوف: ص٢٤.

النعمان بن بشير والي الكوفة، حتى يتحقق من مقدم الإمام الحسين عليه السلام، لاسيما وأنّه غير مأمور من الإمام عليه السلام بأكثر من الاستطلاع، وقد يكون في حساب مسلم الفترة الزمنية التي يقتضيها وصول كتابه إلى الإمام الحسين عليه السلام مخبراً إياه باستعداد الكوفة لمقدمه، فإخراج والي يزيد من الكوفة والاستيلاء عليها قبل خروج الإمام الحسين عليه السلام من مكّة سيعرّض الإمام الحسين عليه السلام لخطر محقق وليس محتمل؛ إذ سيقود ذلك إلى إرسال السلطة لقوّة عسكرية شاميّة لتسيّطر على الكوفة ثانيةً، وتذيق أهلها ألواناً من التنكيل والأذى وقد نستطيع التدليل على هذا الاحتمال بأنّ مسلماً تحول إلى موقف الهجوم على قصر عبيد الله بعد انقضاء مدّة كافية لوصول رسالته إلى الإمام عليه السلام، فلا ريب أنّ عيون يزيد ستحتاج إلى فترة أُخرى لإخباره بتطوّرات الموقف في الكوفة وهي كفيلة بأن يصل ركب الإمام الحسين عليه السلام ويعزز وجوده قبل أي مواجهة عسكرية مع السلطة.

وقد تكون إجراءات عبيد الله في الكوفة التي هددت وجود مسلم، وسرت في أوساط الكوفيين عِبر تلك الإجراءات الشديدة تنذر بتضييق الحركة والعمل، وهي ما تكون قد دفعته إلى موقف الهجوم الذي حاول أن يتجنّبه، و«**لعل مسلم أراد أن يمتحن صدق أهل الكوفة في النزال والدفاع عن شعاراتهم وأفكارهم التغيرية قبل قدوم الإمام عليه السلام إليهم بحيث يتمكن من الوثوق بعهودهم في حال استقاموا معه وصدقوا، أو تحذير الإمام الحسين عليه السلام في حال نكصوا ونكثوا، فكانت حادثة حبس هانئ وتعذيبه أفضل فرصة لاختبار موقف الكوفيين وكشف حالتهم الحقيقية، ولم تحدث فرصة لاختبار ذلك في وجود مسلم قبل اعتقال هانئ**»[١]. ولم يكن يعلم أنّ ذلك التأييد ينقلب إلى الضدّ مع أول اختبار حقيقي[٢].

---

(١) جعفر، المشروع الستراتيجي: ص٢٦٠.

(٢) محمد، حضارة الدولة العربية: ص١٦٠. حسن، تاريخ الإسلام: ج١، ص٣٩٨.

ولعل دليل ذلك محاولة مسلم بن عقيل في ساعته الأخيرة ثني الإمام الحسين عليه السلام عن التوجّه إلى العراق حين أوصى محمد بن الأشعث أن يعمل لإخبار الإمام الحسين عليه السلام بتخاذل الكوفيين ونكوصهم، ثمَّ كرر هذا الطلب مع عمر بن سعد لمّا تأكَّد من حلول أجله على يد عبيد الله ابن زياد(١).

لقد استغلّ ابن زياد أشراف الكوفة الذين تسلّلوا إلى قصره بينما كان مسلم يحاصره، فدعاهم ليسيروا بالكوفة ويخذّلوا الناس عن مسلم بن عقيل، ويخوّفونهم الحرب، ويحذرونهم عقوبة السلطان، ويهددونهم بقدوم جيش من الشام، فبادر الأشراف إلى تنفيذ الأمر وقبضوا على عدد من أبناء عشائرهم ممَّن خرج لإمداد مسلم، فأتوا بهم ابن زياد، وخطبوا في الناس مثبطين لهم، ومرهبين بجنود يزيد القادمة إليهم، ومنذرين كلَّ من لا ينصرف في تلك العشية بأن تحرم ذرّيتهم العطاء، وتفرق مقاتلتهم في مغازي أهل الشام على غير طمع، وأن يؤخذ البريء بالسقيم، والشاهد بالغائب حتى لا يبقى فيهم بقيّة، فلمّا سمع الناس ذلك بدأوا بالتفرّق عن مسلم، وسرت فيهم روح التخاذل والهزيمة والاتّكالية حتى أنّ المرأة كانت تأتي ابنها أو أخاها فتقول: انصرفْ، الناس يكفونك، ويجيء الرجل إلى ابنه أو أخيه فيقول: غداً يأتيك أهل الشام، فما تصنع بالحرب والشرّ! انصرف. فما زال الناس يتفرَّقون حتى بقي مسلم وحيداً على باب امرأة تدعى طوعة، آوته حتى قبض عليه ابن زياد(٢).

ويفسر أحد الباحثين هذه المفارقة في سلوك الكوفيين على أنّها ليست غدر ونفاق وتقلّب وهوائية، وإنّما هي فقدان روح التضحية والفدائية، خاصّة حين تكون الفرصة

---

(١) يُنظر: الطبري، تاريخ الأُمم والملوك: ج٦، ص١٩٦ ـ ص١٩٨. الأصفهاني، مقاتل الطالبيين: ص١٠٧ ـ ص١٠٨. المفيد، الإرشاد: ص٣١٢، ص٣١٤.

(٢) يُنظر: أبو مخنف، مقتل الحسين عليه السلام: ص٤٤ ـ ص٤٥. الدينوري، الأخبار الطوال: ص٢٣٩. الطبري، تاريخ الأُمم والملوك: ٦، ص١٩٣ ـ ص١٩٥. ابن أعثم، الفتوح: ج٥، ص٥٠. الخوارزمي، مقتل الحسين عليه السلام: ج١، ص٢٩٨.

ضيّقة ميؤساً منها، فهم «**يسخطون ويتمنّون، ويبالغون في الأماني، ثمَّ يصدمون بالواقع، وهكذا تدور بهم الحياة، ولكن هذا كلّه لم يكن عن غدر أو تقلّب أو هوائية، وإنّما كان بسبب الظروف السياسية التي كانوا يمرّون بها، وهي ظروف كانت تجعل واقع الحياة أمامهم واقعاً مُرّاً تجري الرياح فيه دائماً بما لا تشتهي السفن**»(١).

بعث عبيد الله بن زياد بعد أن قتل مسلماً وهانئ بن عروة المذحجي برأسيهما إلى يزيد(٢)، فأظهر الأخير سروره وأطراه وصوّب عمله، وأعدّه للخطوة التالية وهي مواجهة الإمام الحسين عليه السلام، فكتب إليه: «... **بلغني أنّ الحسين بن علي قد توجّه نحو العراق، فضع المناظرَ والمسالح، واحترس على الظنّ، وخذ على التّهمة، غير ألّا تقتل إلّا مَن قاتلك، واكتب إليّ في كلّ ما يحدث من الخبر**»(٣).

وفي رواية أُخرى أنّه كتب: «**قد بلغني أنّ أهل الكوفة قد كتبوا إلى الحسين من مكّة متوجهاً نحوهم، وقد بُلي به بلدك من بين البلدان، وأيامك من بين الأيام، فإن قتلته، وإلّا رجعت إلى نسبك وإلى أبيك عبيد، فاحذر أن يفوتك**»(٤).

وقد تجاهل أغلب الكتّاب والباحثين ذكر إجراءات عبيد الله بن زياد في الكوفة وفي محيطها، ولم يشيروا إلى مَن قُتل وسُجن(٥)، وخفف أحدهم من وحشية إجراءاته، فلم يُشر

---

(١) خليف، يوسف، حياة الشعر في الكوفة إلى نهاية القرن الثاني للهجرة، ط القاهرة، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م: ص١٣٠. ويُنظر: ص١٣١ ـ ص١٣٢.

(٢) أبو مخنف، مقتل الحسين عليه السلام: ص٥٩. الطبري، استشهاد الحسين: ص٧١. الطبري، تاريخ الأُمم والملوك: ج٦، ص٢٠٠. ابن أعثم، الفتوح: ج٥، ص٦٢.

(٣) أبو مخنف، مقتل الحسين عليه السلام: ص٦٠. الدينوري، الأخبار الطوال: ص٢٤٢ الطبري، تاريخ الأُمم والملوك: ج٦، ص٢٠٠، ابن أعثم، الفتوح: ج٥، ص٦٣، ولم يذكر قول يزيد: «لا تقتل إلاّ مَن قاتلك». ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٣٩٨. النويري، نهاية الإرب: ج٢٠، ص٤٠٣.

(٤) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي: ج٢، ص١٦٩، ويُنظر: الخوارزمي، مقتل الحسين عليه السلام: ج١، ص٢٨٨.

(٥) ومنهم مَن ذكر تهديده للعرفاء، منهم: العقّاد، أبو الشهداء: ص١٧٧. الخضري، محاضرات: ج٢، ص١٢٦. رضا، الحسن والحسين: ص٦٧ ـ ص٦٨. أبو السعود، الشيعة: ص٧١.

إلى قتل وتنكيل، وإنّما عدّها أُسلوباً في قمع الفتنة! فقال: «**وقبض عبيد الله على كبار الشيعة وخاصّة مسلم بن عقيل وأنصاره، فقضى بذلك على بوادر الفتنة**»[١].

وقد بدأ عبيد الله بن زياد بتنفيذ توجيهات يزيد بسد المنافذ في وجه الإمام الحسينعليه السلام، ووجّه الخارجين إليه، فبعث الحصين بن نمير صاحب شرطته، فنزل القادسية[٢]، إلى خفان[٣]، ومن القادسية إلى القطقطانة وإلى جبل لعلع[٤] لينشر قواته في هذه المناطق[٥]، وأمر أن يؤخذ الطريق ما بين واقصة[٦]، على طريق الشام إلى طريق البصرة، فلا يدعون أحداً يلج أو أحداً يخرج[٧].

وقد استهدفت هذه السياسة علاوة على سدّ المنافذ بوجه مَن يحاول اللّحاق بالإمام الحسينعليه السلام، منع اتّصال الإمام الحسينعليه السلام بالكوفيين، أو وصول مبعوثيه، وهذا ما تحقق فعلاً إذ استطاعت هذه القوات إلقاء القبض على رسول الإمام الحسينعليه السلام إلى الكوفة قيس بن مسهر الصيداوي وتمّ قتله[٨]، ثمّ أُلقي القبض على مبعوث الإمامعليه السلام إلى مسلم: عبد الله بن يقطر فقُتل أيضاً[٩].

---

(١) حسن، التاريخ الإسلامي العام: ص٢٨٤.

(٢) بينها وبين الكوفة خمسة عشر فرسخاً، وفي هذا الموضع حصلت المعركة المشهورة مع الفرس أيام الخليفة عمر. ياقوت، معجم البلدان: ج٤، ص٢٩١.

(٣) موضع قرب الكوفة يسلكه الحاج أحياناً، وقيل هو فوق القادسية. المصدر نفسه: ج٢، ص٣٧٩.

(٤) جبل من آخر السواد إلى البر ما بين البصرة والكوفة، وهي من منازل بني تميم. البكري، معجم ما استعجم: ج٤، ص١١٥٦.

(٥) يُنظر: الطبري، تاريخ الأُمم والملوك: ج٦، ص٢٠٩. ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٤٠٢.

(٦) منـزل بطريق مكّة، يقال لها واقصة الحزون. ياقوت، معجم البلدان: ج٥، ص٣٥٤.

(٧) الطبري، تاريخ الأُمم والملوك: ج٦، ص٢٠٧.

(٨) وكان الإمام الحسينعليه السلام قد أرسله بكتاب إلى الكوفة، فأخذه الحصين في القادسية، وبعث به إلى عبيد الله الذي أمره بسب الإمام الحسينعليه السلام من أعلى القصر، فصعد فسبّ يزيداً وابن زياد؛ فرُمي من أعلى القصر فتقطع ومات. المصدر نفسه: ج٦، ص٢١٠. المفيد، الإرشاد، ص٣٢٠ ـ ص٣٢١.

(٩) وهو أخو الإمام الحسينعليه السلام من الرضاعة، أُرسل إلى مسلم قبل أن يُعلم بمقتله، فتلقّاه الحصين في القادسية وبعث به إلى ابن زياد فقتله. الطبري، تاريخ الأُمم والملوك: ج٦، ص٢١١ ـ ص٢١٢.

وقد استكمل عبيد الله حالة الاستعداد لوصول الإمام الحسين‏عليه السلام بإرهاب الكوفيين، وممارسة القتل العنيف ببعض الشيعة في الكوفة ليكونوا نكالاً لغيرهم، فقتل عبد الأعلى الكلبي وعمارة بن صلخب الأزدي(١)، وفي رواية أنّ من بين مَن طاله تعسّف ابن زياد فقُتل كان رُشيد الهَجَري(٢) ـ وهو من كبار أصحاب الإمام أمير المؤمنين علي‏عليه السلام(٣) ـ وقد شمل القتل آخرين لم يستطع ابن زياد ردهم عن مناصرة الإمام الحسين‏عليه السلام، ومنهم ميثم بن يحيى التمّار الأسدي(٤) الذي صلبه ابن زياد عاشر عشرة في الكوفة، فجعل يحدث بفضائل بني هاشم، فقيل لابن زياد قد فضحكم هذا العبد، فأمر بلجمه، ثمَّ طعن بحربة بعد ثلاثة أيام من صلبه، وكان ذلك قبل مقدم الإمام الحسين‏عليه السلام إلى العراق بعشرة أيام(٥)، وبذلك هيّأ عبيد الله الوضع الداخلي في الكوفة للتخاذل والتخذيل.

وإذا كان الوالي الأُموي قد زرع الخوف في مجتمع لاقى من قهر السلطة وبطشها ما جعله يتردد في البقاء على صموده، وإن ظلّ على ولائه القلبي لحركة الإمام الحسين‏عليه السلام وثورته، فما بال الأشراف في الكوفة؟ تذكر المصادر المتقدِّمة على لسان أحد الكوفيين أنّ

---

(١) الطبري، تاريخ الأُمم والملوك: ج٦، ص١٩٩. وقد آخذهما بنصرتهما لمسلم فقطع رأس الأول، وضربت عنق الثاني في مضارب قومه.

(٢) ويقال الفارسي مولى بني معاوية من الأنصار، ثمَّ من الأوس، وفي رواية أنّه من أصحاب النبي‏صلى الله عليه وآله، شهد معه معركة أُحد، وكنّاه النبي‏صلى الله عليه وآله أبا عبد الله. ابن الأثير، أُسد الغابة: ج٢، ص١٧٦. ابن حجر، الإصابة: ج١، ص٥١٦.

(٣) الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن (ت٤٠٦هـ/١٠٦٧م)، أمالي الشيخ الطوسي، ط قم، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م: ص١٦٥.

(٤) عدّه ابن حجر من الصحابة، نزل الكوفة وله بها ذرّية، وكان عبداً لامرأة من بني أسد، فاشتراه الإمام أمير المؤمنين علي‏عليه السلام منها وأعتقه، حبسه عبيد الله مع المختار، ثمَّ أمر بقتله.
يُنظر: ابن حجر، الإصابة: ج٣، ص٥٠٤ ـ ص٥٠٥.

(٥) المفيد، الإرشاد: ص٢٤٦ ـ ص٢٤٨. ابن حجر، الإصابة: ج٣، ص٥٠٤ ـ ص٥٠٥.

«أشراف الناس قد أُعظمت رشوتهم، ومُلئت غرائرهم»[١].

ويُفسِّر أحد الباحثين إسراعهم إلى السلطان بأنّ أشراف الناس هؤلاء «**الذين يملكون الثروة لم يعد يهمهم في شيء أن يخرج حفيد النبي، بل لعل خروجه يهمهم من زاوية أُخرى، وهو أنّ هذا الحفيد يريد أن يغيّر مراكز القوى، وأن يعيد توزيع الثروة، وأن يمضي في نفس الطريق الذي مضى فيه أبوه، فهو من هذه الناحية عدو طبقي...، فمَن أراد أن يدافع عن ثروته وعن مركزه الاجتماعي فليشترك في دم الحسين**»[٢].

وقد علّل كاتب آخر أسباب إخفاق مسلم في الكوفة، فلم يردّها إلى سوء تنظيمه لقوّاته، إنّما على تفكك الكوفيين الذي دفعت إليه عوامل عدّة، إذ لم يصل ولاء الشيعة حتى تلك اللحظة إلى الدرجة التي تجعلهم يقدمون على التضحية، ومن ناحية أُخرى فقد وجد الشيعة أنّهم حتى وإن حققوا نصراً عسكرياً آنياً، فإنّ النصر لن يدوم؛ لأنّ جنود يزيد لا يلبثوا أن ينتزعوا منهم هذا النصر، إضافة إلى قطع العطاء عنهم، وكلّ هذه العوامل تجعلهم في موقع الأدنى في الدولة بسبب الخروج على الحاكم، وقد ساعد الكوفيين على نقض نصرتهم لآل علي أنّ الأشراف الذين كاتبوا الإمام الحسين عليه السلام يحرضونه على القدوم، كانوا أول مَن نقض العهود وحرّض الناس على تفريق صفوف الشيعة في جيش مسلم وإخماد حماستهم[٣].

إنّ هذا التفسير يلقي ضوءاً على الدور المزدوج الذي أدّاه أشراف الكوفة، وأوضح مقدار التذبذب في مواقفهم والتطرّف في الولاء أو العداء حين كانوا بين «**خوف وغضب السلطة، والشكّ في ولائهم، ثمَّ للمصلحة الطبقية الواضحة، وبين أن يأثموا بدم الحسين**»[٤].

---

(١) الطبري، تاريخ الأُمم والملوك: ج٦، ص٢١٦.

(٢) صالح، اليمين واليسار: ص١٦٣.

(٣) أبو السعود، الشيعة: ص٧٤.

(٤) صالح، اليمين واليسار: ص١٦٣.

وإذا كان أهل الكوفة قد قصروا مع مسلم، فإنّ غاية التقصير في رأي كاتب آخر هو «**بعدم التخلّص من ابن زياد على الرغم من استطاعتهم على تنفيذ ذلك الأمر، فقد قدم ابن زياد إلى الكوفة بصحبة ثلاثين جندياً وعشرين من الأشراف، ولكنّهم لم يعملوا على الخلاص منه، ثمَّ إنّهم لم يُمكّنوا مسلماً من الهرب من الكوفة والرجوع إلى الحسين عليه السلام، وبدلاً من ذلك فرّطوا فيه وهو بين ظهرانيهم؛ فألقوا به في الجحيم، وأسلموه إلى عدوه ليلقى مصيره المحتوم**»(١).

إنّ هذه التفسيرات التي حملت أهل الكوفة المسؤولية التاريخية في تراجع موقف مسلم بن عقيل، ومن ثَمَّ الإمام الحسين عليه السلام، قد حصرت هذه المسؤولية في مكان واحد من العالم الإسلامي واستثنت من ذلك الأُمّة الإسلامية الراضية بالظلم والتي كان لها قصور واضح في ثورة الإمام الحسين عليه السلام الذي أعلن خروجه على الحاكم الظالم في أقدس مكان إسلامي، وفي أكبر محفل لتجمّع المسلمين ـ المدينة المنوّرة ومكّة المكرمة ـ فلم يلتفت منهم إلى ذلك النهوض سوى نخبة قليلة جداً بينما حرص كبار زعماء المسلمين على الظهور بمظهر الناصح المشفق على الإمام الحسين عليه السلام من هذا العمل، مفسحين المجال لَمن يريد الادعاء بأنّ خروج الإمام الحسين عليه السلام كان لشقّ صفّ المسلمين ونشر الفتنة! ومتخلّين عن مسؤولية العلماء في ألّا يقارّوا على ظلم ظالم.

فضلاً عن أنّ أصحاب الرأي الذي يُحمِّل أهل الكوفة مسؤولية قتل الإمام الحسين عليه السلام قد غضّوا النظر عن حقيقة مهمّة، وهي أنّ أهل الكوفة لم يكونوا جميعهم شيعةً وموالين للإمام الحسين وأهل البيت عليهم السلام، ومنذ عهد أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام، بل يمكن أن نُقسمهم في عهد الإمام الحسين عليه السلام إلى:

---

(١) النجار، الدولة الأُموية: ص٨٤ ـ ص٨٥.

١ـ حزب بني أُمية الذين عبّرت عنهم المصادر بشيعة يزيد تارة(١)، وشيعة آل أبي سفيان تارة أُخرى(٢)، وقد تكّرس ظهور هذه الفئة نتيجة للإفراغ العقائدي الذي مورس في الكوفة على مرحلتين:

المرحلة الأُولى: عقب تولي معاوية الحكم مباشرة. وكان «**حينَ أجمع عليه أهل العراق بعد علي عليه السلام يُخرج من الكوفة المستغرب في أمر علي ويُنزل داره المستغرب في أمر نفسه من أهل الشام وأهل البصرة وأهل الجزيرة، وهم الذين يُقال لهم النواقل في الأمصار...**»(٣)، وقد أدّى ذلك إلى نقل عشائر بكاملها إلى أماكن بعيدة ومتفرِّقة، وإدخال مجاميع بشرية معادية للإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام وموالية لمعاوية في الكوفة، وإنزالها منازل المهجرين من أتباع أهل البيت عليهم السلام. وقد كان الهدف هو تحويل الكوفة إلى منطقة أُموية الثقافة(٤).

المرحلة الثانية: وهي التي حدثت مع تولي زياد بن أبيه للكوفة، فكانت أول مهامّه القيام بعملية تهجير واسعة شملت كلّ مَن يُظنّ به الموالاة لآل البيت عليهم السلام سواء أكان عربياً أم أعجمياً، فبدأ بنقل المقاتلة الأعاجم من الكوفة إلى الشام والبصرة، فقال البلاذري: «**إنّ زياداً سيّر بعضهم إلى بلاد الشام بأمر معاوية، فهم يدعون بها الفرس، وسَيّر منهم قوماً إلى البصرة فدخلوا في الأساورة الذين بها**»(٥)، وكان سبب ذلك لأنّ الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام قد ساوى بينهم وبين المقاتلة العرب في العطاء فمالوا إليه، وكان سبب توجيههم

(١) ورد هذا التعبير على لسان يزيد عندما كتب إليه أعوانه في الكوفة بتحركات مسلم بن عقيل، فقال: «كتب إليّ شيعتي من أهل الكوفة يخبرونني أنّ ابن عقيل في الكوفة يجمع الجموع...». أبو مخنف، مقتل الحسين عليه السلام: ص٢٣.

(٢) ورد هذا التعبير على لسان الإمام الحسين عليه السلام عندما خاطب جيش عمر بن سعد في أرض الطف قائلاً: «ويحكم يا شيعة آل أبي سفيان، إن لم يكن لكم دين وكنتم لا تخافون المعاد، فكونوا أحراراً في دنياكم...». ابن أعثم، الفتوح: ج٥، ص١٣٤.

(٣) الطبري، تاريخ الأُمم والملوك: ج٣، ص١٦٩، حوادث سنة ١١هـ.

(٤) الحسني، الأنثروبولوجيا الاجتماعية الثقافية لمجتمع الكوفة: ص٤٨ ـ ص٥٠.

(٥) البلاذري، فتوح البلدان: ص٣٤٣.

إلى البصرة والشام لكونهما عثمانيتَي الهوى، فلا يمكنهم التحرّك فيهما، بعكس الأمر فيما لو نقلوا إلى بلادهم الأُم بلاد فارس(١).

وقد وسَّع زياد رقعة الإفراغ العقائدي في هذه المرحلة لتشمل إفراغ مدينتي الكوفة والبصرة من الموالين لأهل البيت عليهم السلام؛ إذ إنه حوّل زهاء خمسين ألفاً من مقاتلة أهل البصرة والكوفة مع عيالاتهم إلى خراسان(٢)، وأسكن في دورهم مقاتلة الشام وأهل البصرة من عثمانيي الهوى ومن الموالين للدولة الأُموية من سكان إقليم الجزيرة الفراتية.

وقد كانت آثار هذه السياسة وخيمة على ثقافة مجتمع الكوفة، إذ إنّه خلق طبقة من السكّان تدين بولائها للسلطة الأُموية ولاسيما المقاتلة منهم ـ وهم السواد الأعظم من أهلها ـ وهم الذين خرجوا لقتال الإمام الحسين عليه السلام في أرض كربلاء(٣)، وهم الذين وُصفوا في المصادر التأريخية على لسان يزيد بأنّهم شيعته في الكوفة، أو على لسان الإمام الحسين عليه السلام بشيعة آل أبي سفيان في واقعة الطفّ، كما ذكرنا آنفاً.

ولا يفوتنا أن نذكر أنّ الحزب الأُموي في الكوفة قد أظهر ولاءه ليزيد في كثير من المواقف، منها: إعلام يزيد بسكوت الوالي النعمان بن بشير عن نشاط مسلم بن عقيل إبان وصوله إليها تمهيداً لقدوم الإمام الحسين عليه السلام، وظهر ولاؤهم حين انظمّوا سريعاً إلى عبيد الله بن زياد حال وصوله إلى قصر إمارة الكوفة، فكانوا أداته في نشر الشائعات والأراجيف في الوسط الكوفي لتثبيط الناس عن مسلم، بل وفي التجسس عليه وتخذيل الناس عنه، ومن ثمَّ حشد الناس لحرب الإمام الحسين عليه السلام وقيادة الجيوش الخارجة لملاقاته.

٢ـ الخوارج: وهم كيان ظاهر الوجود والنشاط في المجتمع الكوفي، ولا يُحسب على

---

(١) الحسني، الأنثروبولوجيا الاجتماعية الثقافية لمجتمع الكوفة: ص٥١.

(٢) البلاذري، فتوح البلدان: ص٥٠٧.

(٣) الحسني، الأنثروبولوجيا الاجتماعية الثقافية لمجتمع الكوفة: ص٥١.

جبهة الإمام الحسين عليه السلام في حال من الأحوال، بل كانوا ممَّن قاد العساكر ضده في واقعة الطف، مثل: شبث بن ربعي، ومحمد بن الأشعث، وشمر بن ذي الجوشن، وغيرهم[١].

٣ـ الشيعة الموالين لأهل البيت عليهم السلام، ويصحّ أن نُقسّمهم إلى أصناف:

أ) الخُلّص من الشيعة، ثابتي العقيدة، وهؤلاء دعموا ثورة الإمام الحسين عليه السلام من بدايتها وحتى استشهادهم أو استشهاده، مثل: هانئ بن عروة المرادي، وميثم التمّار، وحبيب بن مظاهر الأسدي، ومسلم بن عوسجة وسواهم. وقد تمّ القضاء على قسم كبير من هؤلاء، أو أُوقف نشاطهم قُبَيل وصول الإمام الحسين عليه السلام إلى الكربلاء من قِبل عبيد الله بن زياد الذي لم يكتفِ بمحاصرة الكوفة ومنع الداخل والخارج منها، والأخذ على التهمة والظنّة، وإنّما قام بتصفية الشخصيات المعروفة بولائها العلوي عن طريق القتل بأبشع صورة، مثل: صلب ميثم التمّار ولجمه، وضرب عنق عبيد الله الكندي، وعبيد الله بن الحارث، وعبد الأعلى الكلبي، والعباس الجدلي، وعمارة بن صلخب الأزدي[٢]، وفي الغالب كان يتمّ هذا القتل بين ظهراني قومهم؛ لأنّه أوجع وأفجع وأنجع في تخويف سواهم، وأكمل عبيد الله ابن زياد هذه السياسة بجملة اعتقالات واسعة طالت كثير من القيادات الشيعيّة التي يخاف من تحرّكها في المجتمع الكوفي، مثل: سليمان بن صرد والمختار بن أبي عبيد، وعبد الله بن نوفل بن الحارث، وغيرهم[٣].

ب) الشيعة ضعيفي النية والعمل ممَّن أثّرت فيهم سياسة العنف وأرهبتهم الشائعات الأُموية؛ فسكتوا على مضض، وربما انضمّوا إلى معسكر ابن زياد، فإذا ما أمكنتهم الفرصة

---

(١) يُنظر لأعمال هؤلاء الخوارج: الميلاني، مَن هم قتلة الحسين عليه السلام: ص٣٢٠ ـ ص٣٢١، ص٣٦٤ ـ ص٣٦٨.

(٢) يُنظر: الطبري، تاريخ الأُمم والملوك: ج٦، ص١٩٩. الميلاني، مَن هم قتلة الحسين عليه السلام: ص٣٣٩ ـ ص٣٤٩.

(٣) الطبري، تاريخ الأُمم والملوك: ج٦، ص٢٠١.

هربوا إلى معسكر الإمام الحسين عليه السلام[١]، وفي أضعف الأحوال كانوا يقفون على التلّ يبكون[٢].

ج) الفئة الثالثة من الشيعة ممَّن يصحّ أن نصفهم بوصف الفرزدق: (قلوبهم مع الحسين، وسيوفهم مع بني أُمية)[٣]، فهؤلاء يملكون المودّة القلبية، إلّا أنّهم غير مستعدّين لتقديم ما يحتاجه الولاء والحبّ من تضحية.

نخلص ممَّا تقدَّم إلى أنّ من الخطأ القول أنّ شيعة الإمام الحسين عليه السلام ومواليه هم مَن قتلوه، أو أنّ أهل الكوفة جميعاً كانوا ضدّه، بل أنّ أهل الكوفة ظلوا مادّة الحركات الثورية ضدّ بني أُمية كلّما سنحت لهم فرصة، فكان هلاك يزيد ورفع سيف الظلم والطغيان عن رقابهم إيذاناً ببدء نشاط كلّ الحركات والثورات التي قامت ضدّ الدولة الأُموية والتي كان مادّتها الأساسية أهل الكوفة، مثل حركة التوّابين وثورة المختار الثقفي وهلُّم جرّا، حتى أذِن الله بسقوط الدولة الأُموية عام ١٣٢هـ.

---

(١) يُنظر لإحصاء عدد منهم: الملاني، مَن هم قتلة الحسين: ص٣٥٤ ـ ص٣٥٥.

(٢) نقل الطبري هذه الرواية: «قال الحصين: وحدَّثني سعد بن عبيدة، قال: إنّ أشياخاً من أهل الكوفة لوقوفٌ على التلّ يبكون ويقولون: اللهم أنزل نصرك [على الحسين]، قال: قلت: يا أعداء الله، ألا تنزلون فتنصرونه؟!». الطبري، تاريخ الأُمم والملوك: ج٦، ص٢٠٨.

(٣) التقى الإمام الحسين عليه السلام الفرزدق بن غالب ـ الشاعر ـ في بعض مراحل الطريق إلى الكوفة، فقال له: «بيّن لنا نبأ الناس خلفك. فقال له الفرزدق: من الخبير سألت، قلوبهم معك، وسيوفهم مع بني أُمية...» المصدر نفسه: ج٦، ص٢٠٤.

شبهة: لم يكن إسراع الإمام الحسين عليه السلام بالخروج عن مكّة مخافة انتهاك الأُمويين للحرم

لقد ألمح الإمام الحسين عليه السلام عندما كان في مكّة إلى عدم تورُّع بني أمية عن انتهاك حرمة البيت الحرام والشهر الحرام والإقدام على قتله في هذا المكان والزمان المقدَّس، وصرّح بنيته في الخروج إلى العراق، فلم تتوقف نصائح المشفقين عليه من هذا الوجه الذي توقعوا فيه مقتله ومنهم عبد الله بن الزبير الذي أكثر من التردد على الإمام الحسين عليه السلام، ينصحه بالتريّث، قال له الإمام عليه السلام: «**إنّ أبي حدَّثني أنّ بها كبشاً يستحلّ حرمتها، فما أُحبّ أن أكون أنا ذلك الكبش**»[1].

وفي رواية أُخرى له عليه السلام: «**لإن أُدفن بشاطئ الفرات أحبّ إليّ من أن أُدفن بفناء الكعبة**»[2].

ولم يكتفِ الإمام الحسين عليه السلام بالتلميح إلى نوايا بني أُمية بقتله في مكّة، وإنّما صرَّح في نصّ أكثر دلالة، فقال لابن الزبير: «**والله، لئن أُقتل خارجاً منها بشبر ـ يعني مكّة ـ أحبُّ إليّ أن أُقتل داخلاً منها بشبر، وأيم الله، لو كنت في جحر هامة من هذه الهوام لاستخرجوني حتى يقضوا فيّ حاجتهم، ووالله ليعتدينَّ عليّ كما اعتدت اليهود في**

(١) أبو مخنف، مقتل الحسين عليه السلام: ص٦٦. الطبري، استشهاد الحسين: ص٧٦. ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٤٠٠. النويري، نهاية الإرب: ج٢٠، ص٤٠٧.

(٢) ابن قولويه، أبو القاسم جعفر بن محمد (ت٣٦٧هـ/٩٧٧م)، كامل الزيارات، صححه وعلّق عليه: عبد الحسين الأميني، ط النجف، ١٣٥٦هـ/١٩٣٧م: ص٧٢. ويُنظر: ص٧٣.

السبت»[١].

وأوضح بأنّه سيقصد الكوفة، وعلل ذلك بأنّ شيعته هناك قد كتبوا إليه[٢].

وقد علّق أحد الباحثين على رواية خروج الإمام الحسين عليه السلام من مكّة مخافة الاغتيال على يد بني أُمية فيها، قائلاً: إنّ كلّ الروايات التي أُشيعت في بعض كتب التاريخ أو التلميحات التي وردت فيها حول مسؤولية الأُمويين عن دفع الإمام الحسين عليه السلام إلى ثورة ميؤوس منها للتخلّص منه ما هي إلّا مزاعم قد وضعها رواة الشيعة بعد مقتل الإمام الحسين عليه السلام، ليردّوا انتقاد بعض الناس له على خروجه، وليضيفوا للإمام الحسين عليه السلام مجداً جديداً، إذ ضحّى بنفسه، ولم يستحلّ القتال في الحجاز، وقد جاءت هذه المزاعم من الرواة العراقيين ليدفعوا عن أهلها وصمة تخاذلهم، وليوحوا بأنّ الإمام الحسين عليه السلام لم يجد غيرهم ناصراً له، بعد أن خذله أهل الحجاز وضيّق عليه بنو أُمية الخناق، وبالتالي فإنّ أهل العراق لم يكونوا يستطيعون تحقيق النصر له إزاء قهر بني أُمية لهم، فهم بتلك الروايات يدفعون عن أنفسهم أولاً، ثمَّ عن إمامهم الشهيد[٣].

وبغضّ النظر عن الرغبة المحمومة في الدفاع عن بني أُمية في لهجة هذا الباحث، فإنّ ما أورده بدون أي دليل علمي لا يثبت أمام النقد، كما أنّه تضمّن خلطاً بين سبب تعجيل الإمام الحسين عليه السلام بالخروج من مكّة، ودوافع قرار التوجّه إلى العراق أصلاً؛ إذ إنّ أسباب الثورة قائمة، ونية الإمام الحسين عليه السلام بالذهاب إلى العراق معقودة قبل ذلك ومنذ انتقاله من المدينة المنوّرة إلى مكّة، ولم تكن ضغوط الأُمويين سوى أسباب للتعجيل، أمّا أن يكون الإمام الحسين عليه السلام قد ثار وضحى بنفسه لئلاّ يستحلّ القتال في الحجاز، فهو أيضاً تمويه

---

(١) يُنظر: أبو مخنف، مقتل الحسين عليه السلام: ص٦٧. البلاذري، أنساب الأشراف: ج٣، ص٣٧٥. الطبري، تاريخ الأُمم والملوك: ج٦، ص٢٠٣. النويري، نهاية الإرب: ج٢٠، ص٤٠٧.

(٢) يُنظر: الطبري، تاريخ الأُمم والملوك: ج٦، ص٢٠٢. ابن كثير، البداية والنهاية: ج٨، ص١٦٠.

(٣) شاهين، الدولة الأُموية المُفترى عليها: ص٣١٢ ـ ص٣١٣.

على كلّ ما ورد عن الإمام الحسين عليه السلام من رغبة في الخروج لطلب الإصلاح في أُمّة جدِّه، وأمرٍ بمعروف ونهي عن منكر، فما أحراه وهو يقصد هذه الغاية أن يمنع المنكر ويحرص على حرمة بيت الله الحرام من أن ينتهكها بنو أُمية الذين سفكوا الدماء المحرّمة، وأن يصون حرمة مكّة التي تواترت الآيات القرآنية والأحاديث النبويّة في وجوب الحفاظ عليها، كقوله تعالى: ﴿... أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿... وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾[2] بمعنى أن تستحلّ في الحرم من الحرام ما حرّم الله عليك من لسان أو قتل فتظلم مَن لا يظلمك وتقتل مَن لا يقتلك، فمَن فعل ذلك فقد وجب له عذاب أليم[3]. وقوله تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام: ﴿... **رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ**...﴾[4]. وما ورد عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله إذ بيّن في أقوال كثيرة حرمة البيت الحرام ومكّة المكرّمة، فورد عنه قوله: «**إنّ هذا البلد حرّمه الله، لا يعضد شوكه، ولا ينفر صيده، ولا يلتقط لقطته إلّا مَن عرفها**»[5]، ووقف بوجه أيّ تأويل لاستحلال حرمتها، فقال: «**إنّ مكّة حرّمها الله تعالى ولم يحرّمها الناس، ولا يحلّ لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر، أن يسفك فيها دماً، أو يعضد بها شجرة، فإن أحد ترخص بقتال رسول الله صلى الله عليه وآله فيها، فقولوا له: إنّ الله أذن لرسوله صلى الله عليه وآله ولم يأذن لك، وإنّما أذن لي في ساعة من النهار، وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس، وليُبلغ الشاهدُ الغائبَ**»[6]. وأكّد في حجّة الوداع قدسية المكان، والشهر ـ وهو ذات المكان والشهر الذي حافظ عليه الإمام الحسين عليه السلام ـ: «**إنّ**

---

(١) القصص: الآية٥٧.
(٢) الحج: الآية٢٥.
(٣) الطبري، جامع البيان: ج١٧، ص١٦٥.
(٤) البقرة: الآية١٢٦.
(٥) البخاري، صحيح البخاري: ص٢٨٤. النسائي، سنن النسائي: ص٤٨٤.
(٦) الترمذي، سنن الترمذي، ص٢٣٩.

دماءكم وأموالكم عليكم حرام، كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا»[١].

أمّا ما عدّه شاهين من أنّ إسراع الإمام الحسين عليه السلام من مكّة لخشيته بني أُمية، إنّما هو مزاعم رواة عراقيين ليدفعوا عن أهل الكوفة وصمة التخاذل، فيُردّ عليه بأنّ هذه الروايات قد وردت لدى ابن كثير[٢] وهو ذو ميول أُموية، وقد ذكر أنّه استقى روايات مقتل الإمام الحسين عليه السلام من أئمّة هذا الشأن[٣]. فضلاً عن أنّ الرواة الشيعة لم يخفوا في رواياتهم ما وقع من خذلان أهل الكوفة للإمام الحسين عليه السلام، وذكروا في رواياتهم ما قاله الإمام الحسين عليه السلام من توبيخ أهل الكوفة، ثمَّ ما قاله أهل بيته لهم بعد مقتل الإمام الحسين عليه السلام، وفيه اتّهام لهم بالتقصير والخذلان للإمام الحسين عليه السلام[٤]، وهذا لا يعفي الأمصار الإسلامية الأُخرى من مسؤولية التقصير تجاه ثورة الإمام الحسين عليه السلام، والحجاز أولها، لأنّها كانت معنية قبل غيرها بالحفاظ على رسالة النبي صلى الله عليه وآله، وأُمّته، وأنّ الواقع التاريخي يشير إلى تخاذل أهل الحجاز وعدم انضمامهم لدعوة الإمام الحسين عليه السلام العلنية بالخروج على الظالم، فلم يلحق به سوى عدد محدود جداً منهم[٥].

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية: ج٤، ص١٨٦. ابن ماجة، سنن ابن ماجة: ص٥٢٥.

(٢) يُنظر: ابن كثير، البداية والنهاية: ج٨، ص١٦١، ص١٦٥، ص١٦٦.

(٣) المصدر نفسه: ج٨، ص١٧٢.

(٤) يُنظر: الطبري، تاريخ الأُمم والملوك: ج٦، ص٢١٥. ابن طاووس، اللهوف: ص٩٤ ـ ص٩٥.

(٥) يُنظر: المفيد، الإرشاد: ص٣١٨.

شبهة: اختيار الإمام الحسين عليه السلام للعراق كان اغتراراً برسائل الكوفيين المؤيدة له

ويمكن أن نردَّ على هذه الشبهة بما يوضح أنّ الخروج إلى العراق كان ضرورة ستراتيجية في تحرّك الإمام الحسين عليه السلام؛ إذ إنّ التوجّه إلى العراق هو أفضل الخيارات المطروحة، وانسبها للقيام بثورته، لذلك صرّح لابن عباس الذي طلب منه الشخوص إلى اليمن بأنّه: «**لا بدّ من العراق**»[1].

فقد ضعفت قدرات الحجاز البشرية والاقتصادية نتيجة التفريغ المستمرّ لطاقاته ـ عِبر دعم جبهات القتال والهجرة إلى الأمصار ـ وافتقد الأهمّية التجارية التي تمركزت في جزء أساسي منها في البصرة[2]، فضلاً عن أنّ أهل مكّة وفيهم القرشيون ليسوا من انصار الإمام الحسين عليه السلام، وهواهم ليس مع بني هاشم، وأهل المدينة وإن كانوا يجلّونه، وفيهم الأنصار الذين جاهدوا في صفوف أبيه، فإنّ في المدينة عدداً كبيراً من قريش بعامّة، وبني أُمية بخاصّة، وليس في المدينة قوّة تحزم أمرها خلفه، فضلاً عن أنّ عجز الحجاز[3] عن الدفاع عن نفسه قد ظهر من قَبل ضد أية قوّة تأتيه من الخارج[4]. فالإمام الحسين عليه السلام لا

---

(١) الخوارزمي، مقتل الحسين: ج١، ص٣١٠.

(٢) بيضون، الحجاز والدولة الإسلامية: ص٢٥٥.

(٣) ليس أدلّ على ذلك من مقتل عثمان بأيدي عدد قليل من ثوّار الأمصار الإسلامية، دون أن تكون في يد عثمان ـ وهو حاكم المسلمين ـ قوّة عسكرية كافية لردّهم.

يُنظر: ابن قتيبة، الإمامة والسياسة: ج١، ص٣٥ ـ ص٣٦. البلاذري، أنساب الأشراف: ج٦، ص١٧٤.

(٤) الشريف، دور الحجاز: ص٤٢١.

يستطيع في ظلّ هذه الظروف الاعتصامَ في الحجاز أو الاعتماد عليه في دعم خروجه على السلطة.

أمّا اليمن، فلم تكن معقودة الولاء على أهل البيت عليهم السلام حصراً، ولا على موالاة أبناء أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام، وإنّما «**كان الناس بها أحزاباً وشِيَعاً، فشيعة ترى رأي عثمان، وأُخرى ترى رأي علي**»[1]. وفي ذلك دليل على انقسامها بين شيعة موالية للإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام وأبنائه، وأُخرى موالية لبني أُمية، فضلاً عن أنّ اليمن قد ظهر عجزها، وعجز شيعة أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام فيها حين قدمت إليها قوّات معاوية في خلافة الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام، إذ لم يقاتلوا سوى قتالاً ضعيفاً، وتخاذلوا وقالوا: «**لا طاقة لنا بمَن جاءنا**»[2].

فالاتّجاه إلى اليمن مع قلّة وضعف الناصر أمر محفوف بالمخاطر، ولاسيما أنّ يد السلطة قادرة على الوصول إليه متى شاءت وبقوّة كبيرة.

وقد تحاشى الإمام الحسين عليه السلام البقاء في مكّة، وحرص على صيانة حرمة بيت الله الحرام من أن ينتهكها بنو أُمية بقتله، وقد بقي فيها ما ينيف على الثلاثة أشهر، أقام فيها الحجّة على الأُمّة الإسلامية، وأعلن استعداده للخروج على ظلم بني أُمية، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والدعوة إلى الإصلاح، فلم تجبه إلى ذلك سوى فئة قليلة سارت معه حين لم يبقَ ثمَّة خيار سوى الاتّجاه نحو العراق، وخاصّة الكوفة لأنّ فيها «**إرادة جماهيرية تطلب التغيير، وتستحثّ الإمام الحسين للمبادرة إلى قيام الحركة، وكان موقع هذه الإرادة في الكوفة، تمثّلت في رسائل البيعة القادمة من أهلها**»[3].

وقد كان تعامل الإمام الحسين عليه السلام مع رسائل أهل الكوفة تعاملاً طبيعياً، فلو قُرِأَتْ

---

(١) الثقفي، الغارات: ج٢، ص٤٣٣.

(٢) الثقفي، الغارات: ج٢، ص٤٢٥. الشريف، دور الحجاز: ص٤٢١.

(٣) النفيس، على خطى الحسين: ص٩٤.

خطابات الكوفيين والبصريين لوجد أنّها تمثل حالة ثورية، لو لم يستثمرها الإمام الحسين عليه السلام لاتُّهم بالقعود والهروب عن تحمِّل دوره التاريخي؛ فالعراق موطن من مواطن الشيعة ومهد للتشيِّع الذي وقف بوجه الحكم الأُموي، وتمنّى أهله زوال هذا الحكم، فكاتبوا الإمام الحسن عليه السلام، ثمَّ الإمام الحسين عليه السلام بعده للوقوف بوجه ظلم بني أُمية وذكر الإمام الحسين عليه السلام أثر ذلك في اتّخاذه قرار التوجّه إليهم بالقول: «**والله، لقد حدثت نفسي بإتيان الكوفة، ولقد كتب إليّ شيعتي**»[١].

وفي محاورة جرت بينه وبين أحد الصحابة في الأبواء[٢] سأله فيها الصحابي عن وجهته، فقال الإمام الحسين عليه السلام «**العراق وشيعتي**»[٣].

ولم تكن كتابتهم إليه السبب الوحيد لاتّجاه الإمام الحسين عليه السلام نحو شيعته في الكوفة، بل لأنّ العراق كان يمثّل بلا شك أنسب أرضية اجتماعية تتنامى فيه جماهير الثورة فيما بعد الشهادة بالرغم من أنّ المجتمع الكوفي قد نفذ إرادة السلطة الحاكمة في قتال وقتل الإمام عليه السلام نظراً إلى وجود شريحة واعية لقضية أهل البيت عليهم السلام مع قلّتها، إلّا أنّها تمثّل النواة لتنامي هذا الخطّ مع مرور الأيام[٤].

إنّ الإمام الحسين عليه السلام قد وجد من الحكمة أن يختار لمصرعه أفضل الظروف الزمانية والمكانية والاجتماعية المساعدة على كشف مظلوميته، وفضح أعدائه ونشر أهدافه، فالإمام الحسين عليه السلام بمنطق الشهيد الفاتح كان يريد العراق، ويصرّ على التوجّه إليه، لأنّه أفضل أرض للمصرع المختار؛ لما ينطوي عليه من استعداد للتأثّر بالحدث والتغيير نتيجة له؛ لأنّ

(١) الطبري، تاريخ الأُمم والملوك: ج٦، ص٢٠٢.

(٢) قرية من أعمال المدينة المنوّرة بينها وبين الجحفة ممّا يلي المدينة ثلاثة وعشرون ميلاً، وتقع على يمين الطريق إلى مكّة من المدينة، وفيها قبر أُمّ النبي صلى الله عليه وآله. ياقوت، معجم البلدان: ج١، ص٧٩.

(٣) ابن عساكر، ترجمة ريحانة رسول الله: ص٢٠١.

(٤) الهديبي، قراءات في بيانات الثورة: ص١٦٩.

شيعته كانوا في العراق أكثر من وجودهم في أي أقليم إسلامي آخر، ولأنّ العراق لم يكن قد انغلق إعلامياً ونفسياً لصالح الأُمويين كما هو في الشام[1].

فإذا أضفنا لذلك أنّ النبي صلى الله عليه وآله قد ذكر موضع قتل الإمام الحسين عليه السلام بكربلاء[2]، وتصريحات الإمام الحسين عليه السلام بأنّه خرج منفِّذاً لقدرٍ إلهي، وأمر رسول الله صلى الله عليه وآله له بذلك عِبر رؤيا رآها[3] نجد أنّ عوامل عديدة تضافرت في هذا الاختيار الذي لم يحبّذه عدد من الصحابة الذين أوصوه بعدم الوثوق بأهل الكوفة[4]، بحيث وصفت بعض المصادر التأريخية بأنّ الإمام الحسين عليه السلام اغترّ برسائل الكوفيين أهل الغدر والخيانة وخرج إليهم بغير تأنٍ واستماع لنصائح الناصحين[5]، ويرد على هذا الإشكال القديم الجديد ـ وحسب ما قدَّمناه من قراءة لأهداف الثورة الحسينية ـ بأنّ اتّهام الكوفيين بالخيانة، والتخلّي عن الإمام الحسين عليه السلام بعد وصوله إليهم، كان سيبقى مجرَّد رأي بلا دليل حتى يتحقق في الواقع، بينما كانت رسائلهم التي تعلن البيعة والولاء هي واقع ملموس[6]، أو بعبارة أُخرى: الولاء أمر قائم، والخيانة أمر متوقّع قد يحدث أو لا يحدث.

ولم يكن بوسع الإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام أن يقف موقف المتفرِّج الهارب بنفسه من ساحة الوغى، أو الفارّ بدينه إلى ساحات الاعتزال والانعزال، وهي جميعها أشكال

---

(١) الطبسي، مع الركب الحسيني، (وقائع الطريق): ص١٩ ـ ص٢٠.

(٢) يُنظر: المفيد، الإرشاد، ص٣٦٤ ـ ص٣٦٥.

(٣) أبو مخنف، مقتل الحسين عليه السلام: ص٦٩. ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٤٠٢. ابن كثير، البداية والنهاية: ج٨، ص١٦٣.

(٤) جاء ذلك على لسان عبد الله بن عباس، والمسور بن مخرمة، وبكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، وعبد الله بن جعفر، وعبد الله بن مطيع، وغيرهم. يُنظر: الطبري، تاريخ الأُمم والملوك: ج٦، ص٢٠٢. ابن كثير، البداية والنهاية: ج٨، ص١٦٢ ـ ص١٦٣.

(٥) يُنظر: السيد، سيرة آل بيت النبي صلى الله عليه وآله: ص٣٢٥، الجبري، حوار مع الشيعة: ص٢٤٨ ـ ص٢٤٩. ناصر الدين شاه، العقائد الشيعيّة: ص٧٢. خليف، حياة الشعر في الكوفة: ص٦٧.

(٦) يُنظر: جعفر، المشروع الاستراتيجي: ص٢٥٣.

مختلفة من الهروب والتهرُّب من تحمُّل المسؤولية، وهو مسلك فضلاً عن ضرره البليغ على الواقع في تلك اللحظة، فإنه يعطي مبرراً لكلّ مَن تعرَّض لهذه الظروف، أو ما شابهها أن يهرب بنفسه حتى يستوفي الأجل المحتوم، ويبقى في وجدان الأُمّة رمزاً من رموز الكهنوت الهارب من مواجهة الشيطان في أرض الواقع واللائذ بالنصوص والتبريرات[1].

وقد وضع الإمام الحسين عليه السلام نصب عينيه هدف التضحية والشهادة[2] لإيقاظ الأُمّة من رقدتها المميتة، وتجديد روح الجهاد ومقاومة الفساد والانحراف، ولتبقى هذه الروح سارية المفعول في حياة الأُمّة بكلّ أجيالها، وإنّ هذا الهدف وذلك التصميم لديه لم تبعثه رسائل أهل الكوفة، وإنّما الباعث هو الشعور بالمسؤولية أمام الله والإسلام والأُمّة، لأنّه تكليف ربّاني اندفع الإمام الحسين عليه السلام للقيام به وامتثاله[3].

---

(١) النفيس، على خطى الحسين: ص٩٤.

(٢) لم يكفِ الإمام الحسين عليه السلام عن التصريح بأنّه مقتول لا محالة عند وصوله إلى العراق، وقد استقرأ مصيره عدد من الصحابة أيضاً كابن عباس وعبد الله بن عمر.

يُنظر: البلاذري، أنساب الأشراف: ج٣، ص٢٧٥. الخوارزمي، مقتل الحسين: ج١، ص٣١١. ابن عساكر، ترجمة ريحانة رسول الله: ص٢١١.

(٣) الهديبي، قراءات في بيانات الثورة: ص١٦٩.

شبهة: تخطئة الإمام الحسين عليه السلام في اصطحابه عياله معه إلى كربلاء

إنّ دُعاة هذه الشبهة قالوا: إنّ الإمام الحسين عليه السلام قد عَرَّض بعِرضه إلى الهتك، وليس في تعريضه هذا شيء من الحسن العقلي المعنوي يوازي قبح الهتك[1].

كان اعتياد القتل في عهد بني أُمية قد صار أمراً مألوفاً لا يُثير غرابة أو فضاعة، بل إنّ التخلُّص من المعارضين بالقتل أصبح أمراً ميسوراً دون أن يُثير حركة واسعة في المجتمع الإسلامي ضدّهم[2]. فإذا كان يزيد بن معاوية وعبيد الله بن زياد مستعدّان لقتل الإمام الحسين عليه السلام، فإنّه أراد أن يبرزها منهم إلى الوجود «**وهل من سبيل إلى الكشف عن نفسيّة يزيد وخسّة طبعه، وعدم أهليته من حيث لؤم عنصره وخبث سريرته وقبح سيرته ـ مع قطع النظر عن الدين والشرع ـ أقرب وأصوب وأعمق أثراً في النفوس عامّة والعرب خاصّة والمسلمين بالأخصّ من هتك حرم النبوّة وودائع الرسالة، وحملهم أُسارى من بلد**

---

(١) وردت هذه الشبهة في رسالة مكتوبة من أحد المشككين الناقدين لثورة الإمام الحسين عليه السلام، أُرسلت هذه الرسالة إلى الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء للإجابة على هذا الإشكال، وقد نُشر السؤال وإجابة الشيخ التي جاءت مطولة وطبعت على شكل كتاب تحت عنوان (من السياسة الحسينيّة) في النجف الأشرف عام ١٣٦٨هـ/١٩٤٨م، وقد أُعيد نشره في طبعة لطيفة عن دار المحجّة البيضاء في بيروت سنة ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م تحت عنوان (نبذة من السياسة الحسينيّة)، وعلى هذه الطبعة اعتمدنا في كتابنا هذا.

(٢) في جريمة مقتل حجر بن عدي مثالاً صارخاً على ذلك.

إلى بلد ومن قفر إلى قفر؟؟ وهل أعظم فظاعة وشناعة من التشفّي والانتقام بالنساء والأطفال بعد قتل الرجال؟؟ وأيُّ ظَفَر وغلبة على يزيد أعظم من إشهار هذه الجرائم عنه؟؟»[١].

وحينما تبرز أخلاقية الهزيمة وتترسّخ وتتعمّق تتحوّل كلّ محاولة جِدِّية لمقابلة الظلم والظالمين إلى نوع من السفك والقتل في نظر المثبِّطين والمجمِّدين، هذه الأخلاقية التي يريد الإمام الحسين عليه السلام أن يحوِّلها إلى أخلاقية التضحية والإرادة، إلى الأخلاقية الإسلامية الصحيحة التي تمكِّن الإنسان المسلم من أن يقف موقفه الإيجابي والسلبي على وفق ما تقرّره الشريعة الإسلامية إيجاباً وسلباً، وفي عملية التحويل هذه كان الإمام الحسين عليه السلام يواجه أدقّ مراحل عمله[٢]، وكان يحاول أن يخلق ردود الفعل المناسبة لكي يتحرَّك، وكان من الأساليب التي اتّخذها الإمام الحسين عليه السلام أنّه حشَّد كلّ القوى والامكانيات، فلم يكتفِ بأن يعرِّض نفسه للقتل عسى أن تقول أخلاقية الهزيمة: (إنه شخص حاول أن يطلب سلطاناً فقُتل)، بل أراد أن يعرِّض أولاده وأهله للقتل، ونساءه للسبي[٣]، أراد أن يجمع على نفسه كلّ ما يمكن أن يجتمع على إنسان من مصائب وتضحيات وآلام، لأنّ أخلاقية الهزيمة مهما شككت في مشروعية أن يخرج إنسان للقتل، فهي لا تشكك في أنّ هذا العمل الفظيع الذي قامت به جيوش بني أُمية.. ضدّ بقية النبوّة لم يكن عملاً صحيحاً على كلّ المقاييس، وبكلّ الاعتبارات، كان لا بدّ للإمام الحسين عليه السلام من أن يُدخل في المعركة دمَه وأولاده وأطفاله ونساءه وحريمه، وكلّ الاعتبارات العاطفية... لكي يسدّ على أخلاقية الهزيمة كلَّ منفذ، وكلّ طريق إلى التعبير عن هزيمتها وعن نوع من أنواع

---

(١) كاشف الغطاء، نبذة من السياسة الحسينية: ص١٠ ـ ص١١.

(٢) الصدر، الحسين يكتب: ص٨٦ ـ ص٨٧.

(٣) ردّ الإمام الحسين عليه السلام على مَن ساءل عن حمله للنساء معه بالقول: «إنّ الله قد شاء أن يراهُنّ سبايا». ابن طاووس، اللهوف: ص٤١.

الاحتجاج على هذا العمل لكي يهزّ بذلك ضمير ذلك الإنسان المسلم المهزوز الذي تميّعت إرادته[١].

فإن قال المشكك: إنّه لا يجوز في الدين أن يُعرِّض الإمام الحسين عليه السلام نساءه للهتك مهما كان الأمر، فإنّ هذا ممّا ينبعث من بساطة التفكير لدى هذا المشكك، فإنّ الذي لا يُساعد عليه الدين ـ بل لا تسمح به الغيرة ـ هو تعريض الإنسان عِرضه للهتك الموجب لما يمسّ الشرف ويخدش رواق العفّة والصيانة، وسرادق النجابة والحصانة، أمّا الهتك الذي تستحكم به عُرى القدس والطهارة والعزّة والمنعة، فذلك ممّا لا يشين ولا يهين تلك الحرائر (صلوات الله عليهن) مهما سفرن فهن محجبات[٢].

ويرجّح كثيراً أنّ الإمام الحسين عليه السلام قد رأى في وجود العائلة معه إكمالاً لما سيبدأ هو من ثورة؛ إذ سيقع على عاتقها جزء لا يستهان به من ديمومة الثورة، فقد كان يمكن للسلطة الأُموية أن تشيع براءتها من قتل الإمام الحسين عليه السلام، إلّا أنّ اصطحابه لعائلته معه ومقتله، وسبي العائلة بالصورة التي نقلها المؤرِّخون لم تدع أيّ مجال للسلطة الأُموية للتبرؤ من قتله. ولاسيما أنّ السبايا قاموا بعمل دعائي ضاهى أجهزة الدعاية الأُموية، بل تفوَّق عليها في شرح وقائع المأساة في الأمكنة التي حلّ فيها الأسرى، مبطلين زيف الدعاية الأُموية في أنّ هذا السبي من الخوارج على السلطة الأُموية ، إذ لم يكن من السهل على أكبر رجل باسل أن يقف ليكشف الحقيقة، ويتعقَّب القضية، ويخطب في النوادي الحاشدة كما فعل أهل بيت النبوة عليهم السلام ـ السيدة زينب عليها السلام، والإمام زين العابدين عليه السلام ـ ودليل ذلك ما جرى على عبد الله بن عفيف[٣]، وزيد بن أرقم[١] عندما اعترضا على عبيد

---

(١) الصدر، الحسين يكتب: ص١٠٩ ـ ص١١٠.

(٢) كاشف الغطاء، نبذة من السياسة الحسينة: ص١٢.

(٣) من شيعة الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام، ذهبت عينه اليسرى يوم الجمل، وضرب يوم صفين ضربتين على رأسه وحاجبيه فذهبت عينه الأُخرى، فكان لا يفارق المسجد الأعظم في الكوفة يصلي

الله بن زياد في مجلسه، إذ مُنعا من الاعتراض ولوحق أحدهما حتى قُتل، بل رغب ابن زياد في قتل الإمام زين العابدين عليه السلام.

فعلى مَنْ يعتمد الإمام الحسين عليه السلام في تفنيد ضلالة الأُمويين؟ ومَن يقوم بهذه المهمّة بعد قتله؟ ومَن الذي يقرع الحجّة بالحجّة ويوضِّح المحجّة ويكشف الحقيقة ويتعقَّب القضية، ويخطب تلك الخطب البليغة؟ ثمَّ أي رجالات ذلك العصر كان يقدر على القيام بتلك المهمّة ويقوى على النهوض بذلك العبء؟ أليس قصارى أمره مهما كان من البسالة والجرأة أن يقول الكلمتين والثلاث، فيقال: خذوه فاقتلوه، أو اصلبوه في السبخة أو في الكناسة[٢]، كما حصل مع ابن عفيف.

لذا؛ فإنّ الإمام الحسين عليه السلام لم يجد بُدّاً من حمل نساء بيت النبوّة معه لتكميل ذلك المشروع الذي بذل نفسه ونفوس أعزّته في سبيله، وعلم أنّ بني أُمية مهما بلغوا من هتك الحرمات والشرائع الإسلامية، والتجاوز على الشناشن العربية لا يقدرون على قتل امرأة مفجوعة تكلَّمت بشيء من الكلام تبريداً لغلتها وتسكيناً للوعتها، ولا يستطيع ابن زياد مهما طغى أن يقتل ساعة السلم امرأة عزلاء أسيرة بين يديه لا تحمل السلاح[٣].

فيه ليلاً، ثمَّ ينصرف. الطبري، تاريخ الأُمم والملوك: ج٦، ص٢٤٩.

(١) الأنصاري الخزرجي، شهد مع الرسول صلى الله عليه وآله سبع عشرة غزوة، سكن الكوفة، شهد مع الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام صفين، وهو معدود في أصحابه، توفّي في الكوفة سنة ٦٨هـ/٦٨٧م. ابن عبد البر، الاستيعاب: ج١، ص٥٥٦ ـ ص٥٥٨. ابن حجر، الإصابة: ج١، ص٦٠.

(٢) كاشف الغطاء، نبذة من السياسة الحسينيّة: ص١٨، ص٢١. ويُنظر: الطبري، تاريخ الأُمم والملوك: ج٦، ٢٤٩ ـ ص٢٥٠.

(٣) كاشف الغطاء، نبذة من السياسة الحسينيّة: ص٢٣.

شبهة: إنّ الإمام الحسين عليه السلام همّ بالرجوع عن الثورة وبلوغ العراق بعد وصول خبر استشهاد مسلم بن عقيل عليه السلام

وصل خبر استشهاد مسلم بن عقيل عليه السلام إلى الإمام الحسين عليه السلام وهو في طريقه إلى العراق من رجلين أسديين أشفقا على الإمام الحسين عليه السلام من مواصلة السير، فقالا: **«ننشدك الله في نفسك وأهل بيتك إلّا انصرفت من مكانك هذا، فإنّه ليس لك بالكوفة ناصر ولا شيعة، بل نتخوّف أن تكون عليك. قال: فوثب عند ذلك بنو عقيل بن أبي طالب... قالوا: لا والله، لا نبرح حتى ندرك ثأرنا، أو نذوق ما ذاق أخونا»**[1].

وفي رواية ثانية[2] أنّ الحرّ بن يزيد التميمي هو الذي لقي الحسين عليه السلام بالخبر، فقال له: **«ارجع، فإنّي لم ادعُ لك خلفي خيراً أرجوه، فهمَّ أن يرجع، وكان معه إخوة مسلم بن عقيل، فقالوا: والله لا نرجع حتى نصيب ثأرنا أو نُقتل. فقال: لا خير في الحياة بعدكم!»**.

وفي رواية ثالثة وردت لدى الشيخ المفيد[3] والخوارزمي[4] أنّ الإمام الحسين عليه السلام بعد

---

(١) الطبري، تاريخ الأُمم والملوك: ج٦، ص٢١١. وباختلاف بسيط في الألفاظ: البلاذري، أنساب الأشراف: ج٣، ص٣٧٩. الدينوري، الأخبار الطوال: ص٢٤٧. الأصفهاني، مقاتل الطالبيين: ص١١١. ابن كثير، البداية والنهاية: ج٨، ص١٦٨ ـ ص١٦٩.

(٢) الطبري، تاريخ الأُمم والملوك: ج٦، ص٢٠٥. ابن عبد ربّه، العقد الفريد: ج٤، ص٣٧٩. ابن حجر، الصواعق المحرقة: ص٢٩٨.

(٣) المفيد، الإرشاد: ص٣٢٣.

(٤) الخوارزمي، مقتل الحسين عليه السلام: ج١، ص٣٢٨.

أن سمع بمقتل مسلم وهانئ نظر إلى بني عقيل، فقال: «**ما ترون فقد قُتل مسلم؟ فقالوا: والله، لا نرجع حتى نصيب ثأرنا**».

ونرجِّح الرواية الأُولى الواردة لدى البلاذري والدينوري والطبري والأصفهاني وابن كثير، وهي لا تذكر رغبةً للإمام الحسين عليه السلام بالعودة، وإنّما تنصّ على نُصح الأسديان، ورفض بني عقيل للعودة. وهذا يتّفق مع كلِّ ما قدَّمناه من عزم الإمام الحسين عليه السلام على الشهادة والمضي في طريقه على كثرة وعظمة التضحيات.

ويبدو أنّ الخلل الذي وقع فيه نقل الرواية الثانية ـ ودفعهم إلى القول بأنّ الإمام الحسين عليه السلام همّ بالرجوع، كما ورد لدى ابن عبد ربّه، وابن حجر ـ يعود إلى ورود عبارة: «**فاسترجع الحسين**»[1] عندما سمع بمقتل مسلم وهانئ، وهي عبارة قد توهم بأنّ المقصود هو الرغبة بالرجوع، لاسيما وأنّ بني عقيل يقولون بعدها: لا نرجع والله أبداً.

وفي رواية الشيخ المفيد والخوارزمي اللذين زادا كلمة الإمام الحسين عليه السلام لبني عقيل: «**ما ترون فقد قُتل مسلم؟ فقالوا: والله لا نرجع...**» قد توحي بمعنى الرجوع أيضاً، وممّا يَردُّ ذلك أنّ الحسين عليه السلام لم يقل: ما ترون؟ على سبيل استشارة بني عقيل في المضي أو الرجوع عن العراق، وإنّما يُفهم منها أنّها كانت تخييراً لهم في المضي معه أو تركه، لاسيما وأنّ المصادر[2] صرَّحت أنّه توجّه إلى الناس مخبراً إياهم بحراجة موقفه، وتاركاً لهم حرية البقاء معه أو التفرّق عنه. ومنهم بني عقيل أنفسهم الذين قال لهم: «**حسبكم من القتل بصاحبكم مسلم، اذهبوا فقد أذنت لكم**»[3].

---

(١) الأصفهاني، مقاتل الطالبيين: ص١١١. وقد كان ابن كثير أكثر وضوحاً عندما ذكر أنّ الإمام الحسين عليه السلام قال: «إنّا لله وإنّا إليه راجعون مراراً». ابن كثير، البداية والنهاية: ج٨، ص١٦٨.

(٢) يُنظر: الطبري، تاريخ الأُمم والملوك: ج٦، ص٢١٢. ابن كثير، البداية والنهاية: ج٨، ص١٦٩.

(٣) ابن طاووس، اللهوف: ص٥٨.

ثمَّ ألم يكن القتل متوقعاً لمسلم ولبني عقيل، بل ولجميع مَن لَحِقَ بركب الإمام الحسين عليه السلام الذي كتب لبني هاشم قبل أن يغادر مكّة: «**أمّا بعد، فإنّه مَن لَحِقَ بي منكم استشهد، ومَن تخلَّف عنّي لم يبلغ الفتح**»[1].

والإمام الحسين عليه السلام لم يُخفِ عمَّن استقطبه في الطريق من أصحاب غايته ووجهته وهدفه، والمقبل عليه من الشهادة، وفي ما فعله زهير بن القين دليل صارخ؛ إذ طلَّق امرأته وأخبر صحبه أنّه آخر عهده بهم[2].

لماذا إذن يكون ردّ الذاهب إلى الشهادة، والغاية العظيمة، الهِمّة بالرجوع لأول شهيد، فلا يعيده إلى طريقه إلّا غاية ـ ما عرفت سبيلها إلى بيت النبوّة يوماً غايةً ـ قبلية مقيتة حاربها الإسلام وأدانها وهي الثأر؟!.

وأجد نفسي هنا مشاطراً لرأي أحد الباحثين المصريين المنصفين؛ إذ فسَّر مضمون الرواية الثانية بالقول: إنّ ما تحاول هذه الرواية إثباته أنّ الإمام الحسين عليه السلام قرّر العودة فور علمه بنبأ مقتل مسلم، وفي هذا إشارة إلى أنّ خروجه لم يكن بهدف الثورة كما أنّه لم يكن يقوم على أساس خطّة منظمة، ثمَّ إنّ إصرار إخوة مسلم على مواصلة السير للأخذ بثأر أخيهم يُظهر أنّ موقفهم كان ردّة فعلٍ لمقتل مسلم، ولم يكن نابعاً من إيمانهم بالإسلام النبوي الذي يقاتلون تحت لوائه، وبالإمام الحسين عليه السلام قائدهم[3].

ومع رجحان الوضع في هذه الرواية، فقد انساق كاتب آخر وراءها ليتّخذها دليلاً على ضعف قيادة الإمام الحسين عليه السلام بحيث يقوده بنو عقيل إلى التهلكة، فتأخذ الكاتب الدهشة من موقفهم في الثأر لأخيهم، «**فهم يعلمون أنّ الذي قتل أخاهم الدولةُ، فهل كان**

---

(١) المصدر نفسه: ص٤٢.

(٢) يُنظر: أبو مخنف، مقتل الحسين عليه السلام: ص٧٣ ـ ص٧٥. الدينوري، الأخبار الطوال: ص٢٤٦ ـ ص٢٤٧. الطبري، تاريخ الأُمم والملوك: ج٦، ص٢١٠. ابن طاووس، اللهوف: ص٤٥ ـ ص٤٦.

(٣) الورداني، السيف والسياسة: ص١٤٦.

في مقدورهم ـ وهم على قلَّتهم ـ أن يتصدّوا للدولة ليثأروا منها؟ الحقّ أنّه منطق عجيب، فقد عرَّضوا أنفسهم وابن عمِّهم للهلاك»[1].

وقد أصاب الكاتب من حيث أخطأ، فما نقله دليل فعليٌّ على خطل هذه الرواية واضطرابها، ومع ذلك فقد اعتمدها عدد من الكتّاب والباحثين للقول بأنّ الإمام الحسين عليه السلام همَّ بالرجوع بعد أن علم بمقتل مسلم وهانئ في الكوفة[2].

وعلى الرغم من أنّ العديد من الباحثين تجاهلوا مراحل الطريق التي سار فيها الإمام الحسين عليه السلام، والأحداث التي جرت فيها، باستثناء عدد محدود منهم[3]، فإنّهم أجمعوا على أمرين فيها:

الأول: هو لقاء الإمام الحسين عليه السلام وحديثه مع الفرزدق[4].

---

(١) عبد اللطيف، العالم الإسلامي: ص٤٧٥.

(٢) يُنظر: الخربوطلي، عشر ثورات: ص٨١. عبد اللطيف، العالم الإسلامي: ص٤٧٤ ـ ص٤٧٥. حسن، تاريخ الإسلام: ج١، ص٣٩٩. شاهين، الدولة الأُموية المفترى عليها: ص٣١٦. سرور، الحياة السياسية: ص١٣٦ ـ ص١٣٧. صالح، العرب والإسلام: ص٣١٦. محمد، حضارة الدولة العربية: ص١٦٠. الجمل، سيرة الحسين: ص٨٤.

(٣) يُنظر: غنيم، الثورات العلوية: ص١٦٨. أبو السعود، الشيعة: ص٧٧ ـ ص٨١. عويس، شهيد كربلاء: ص١٥٠ ـ ص١٦٥. أبو النصر، الحسين بن علي: ص٨٢ ـ ص١٠٨. أبو علم، الحسين بن علي: ص١٢٠ ـ ص١٣٠. ونقل بعض مراحل الطريق كلٌّ مِن: شلبي، موسوعة التاريخ الإسلامي: ج٢، ص١٩٩ ـ ص٢٠١. إبراهيم، أيام العرب: ص٤١٤ ـ ص٤١٦. قرون، عظمة الإمام الحسين: ص٦٤ ـ ص٧٠.

(٤) يُنظر: حسن، تاريخ الإسلام: ج١، ص٣٩٩. الجبري، حوار مع الشيعة: ص٢٤٧. شاهين، الدولة الأُموية: ص٣١٢. لطفي، الشهيد الخالد: ص٤٤. عبد العليم، سيدنا الإمام الحسين: ص٨٣. سعد، السيدة زينب: ص٤٢. عيسى، دم الحسين: ص٣٢. صالح، العرب والإسلام: ص٣١٥، أبو كف، آل بيت النبي: ص٢٤. محمد، أهل البيت في مصر: ص٦٧. أبو علم، الحسين بن علي: ص١٢٠. النجار، الدولة الأُموية في الشرق: ص٦٨. غريب، الإمام الحسين: ص٧٦ ـ ص٧٧. ماجد، التاريخ السياسي: ج٢، ص٧٣. خالد، أبناء الرسول: ص١٠٤ ـ ص١٠٥. إبراهيم، أيام العرب: ص٤١٤. وقد أجمعوا على هذا اللقاء دون تحديد مكانه.

الثاني: هو إصرار إخوة مسلم على الاستمرار بالمسير إلى الكوفة بعد وصول خبر مقتل أخيهم، ونزول الإمام الحسين عليه السلام على رأيهم(١).

ويبدو أنّ التركيز على ذلك ـ من بعضهم ـ كان لغرض تحميل أطراف عديدة مقتلَ الإمام الحسين عليه السلام، لكي لا يتحمَّل الأُمويون ويزيد خاصّة وزر هذه الرزية الإسلامية. فأهل الكوفة مُلامون، وإخوة مسلم، والإمام الحسين عليه السلام نفسه مُلام عندهم، لأنّه لم يأخذ بنصائح الصحابة في مكّة أولاً، وبنصيحة الفرزدق في الطريق ثانياً، ومن ثَمَّ ألقى بنفسه للتهلكة ليأخذ بثأر مسلم ثالثاً(٢)!!

---

(١) يُنظر: سرور، الحياة السياسية: ص١٣٧. صالح، العرب والإسلام: ص٢١٦. محمد، حضارة الدولة العربية: ص١٦٠. عبد اللطيف، العالم الإسلامي: ص٤٧٥. شاهين، الدولة الأُموية المفترى عليها: ص٣١٦. الجمل، سيرة الحسين: ص٨٤. أبو النصر، الحسين بن علي: ص٩٦، منصور، الشقيقان في كربلاء: ص٥٢. لطفي، الشهيد الخالد: ص٤٦. عبد العليم، سيدنا الإمام الحسين: ص٨٦. سعد، السيدة زينب: ص٤٣. محمد، أهل بيت النبي في مصر: ص٦٨. النجار، الدولة الأُموية في الشرق: ص٨٦. قرون، عظمة الإمام الحسين: ص٦٦. عويس، شهيد كربلاء: ص١٥١. أبو السعود، الشيعة: ص٧٨. حسن، التاريخ الإسلامي: ص٤٧٥.

(٢) يُنظر على سبيل المثال: صالح، العرب والإسلام: ص٣١٥، السيد، سيرة آل بيت النبي صلى الله عليه وآله: ص٣٢٥. فرحات، دراسة في تحقيق كتاب قيد الشريد: ص٧٦.

شبهة: إنّ الإمام الحسين عليه السلام فكّر بالرجوع عن دخول الكوفة بعد لقائه بالحُرّ الرياحي

لقد سار الإمام الحسين عليه السلام إلى العراق مارّاً بـ واقصة[1]، ومنها انتهى إلى القرعاء[2]، ثمّ نزل في شراف[3]. فلمّا كان السحر أمر فتيانه فاستقوا الماء فأكثروا، ثمّ إنّ رجلاً من أصحابه كبَّر، فكبَّر الإمام الحسين عليه السلام، وسأله عن سبب تكبيره، فقال الرجل: رأيت النخيل، فقيل: إن لا نخيل في هذا الموضع إن هي إلّا أسنّة الرماح وآذان الخيل، فاختار الإمام الحسين عليه السلام أن يلتجأ إلى مرتفع من الأرض ليجعله خلف ظهره يُدعى ذو حسم ليستقبل مَن أتاه من وجه واحد[4].

نزل الإمام الحسين عليه السلام بإزاء ذي حسم، فأمر بأبنيةٍ فضُربت، وجاء الحُرّ بن يزيد الرياحي مبعوثاً من عبيد الله بن زياد في ألف فارس في حَرِّ الظهيرة، فأمر الإمام الحسين عليه السلام

(١) منزل في طريق مكّة، وهي دون زبالة بمرحلتين. ابن عبد الحقّ البغدادي، مراصد الاطّلاع: ج٣، ص١٤٢١. (لم ترد في المصادر التاريخية في مسار الحسين عليه السلام).

(٢) سُمِّيت بذلك لقلّة نباتها، وهي منزل في طريق مكّة من الكوفة قبل واقصة. ياقوت، معجم البلدان: ج٤، ص٣٢٥.

(٣) تقع بين واقصة والقرعاء على ثمانية أميال من الأحساء وفيها ثلاثة آبار، ماؤها كثير عذب. المصدر نفسه: ج٣، ص٣٣١.

(٤) أبو مخنف، مقتل الحسين عليه السلام: ص٨١. البلاذري، أنساب الأشراف: ج٣، ص٣٨٠. الدينوري، الأخبار الطوال: ص٢٤٨. وسمّاها شراة وليس شراف. الطبري، تاريخ الأُمم والملوك: ج٦، ص٢١٣. الخوارزمي، مقتل الحسين عليه السلام: ج١، ص٣٢٩.

فتيانه أن يسقوا القوم ويرشفوا خيولهم[١]، رغم علمه أنّ هذه القوّة هي مقدِّمة جيش ابن زياد، وأنّ قائدها الحُرّ عليه وليس له[٢]، فلمّا حضرت صلاة الظهر وأذّن مؤذن الإمام الحسين عليه السلام خرج الإمام الحسين عليه السلام في إزار ورداء ونَعلين، فخطب فيهم: **«أيها الناس، إنّها معذرةٌ إلى الله وإلى مَن حضر من المسلمين، إنّي لم أقدم إلى هذا البلد حتى أتتني كتبكم، وقدمت عليّ رسلكم أن أقدم إلينا ليس علينا إمام، فلعل الله أن يجمعنا بك على الهدى، فإن كنتم على ذلك فقد جئتكم فإن تعطوني ما يثق به قلبي من عهودكم ومن مواثيقكم دخلت معكم على مصركم، وإن لم تفعلوا وكنتم كارهين لقدومي عليكم، انصرفت إلى المكان الذي أقبلت منه إليكم. فسكتوا عنه»**[٣].

ثمَّ صلّى الإمام الحسين عليه السلام وصلّى الحرُّ وأصحابه بصلاته، فلمّا انتهى انصرف إلى القوم بوجهه فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال: **«أمّا بعد، أيها الناس، فإنّكم إن تتّقوا وتعرفوا الحقّ لأهله يكن أرضى لله، ونحن أهل البيت أولى بولاية هذا الأمر عليكم من هؤلاء المدَّعين ما ليس لهم، والسائرين فيكم بالجور والعدوان، وإن انتم كرهتمونا، وجهلتم حقنا، وكان رأيكم غير ما اتتني كتبكم، وقدمت به عليّ رسلكم انصرفت عنكم»**[٤]، فلمّا تساءل الحرُّ عن هذه الكتب أمر الإمام الحسين عليه السلام أحد أصحابه، فأخرج خرجين مملوءين صُحفاً فنشرها بين أيديهم، فقال الحرُّ: فإنّا لسنا من هؤلاء الذين كتبوا إليك، وقد أُمرنا إذا نحن لقيناك ألّا نفارقك حتى نُقدمك على عبيد الله بن زياد، فقال له الإمام الحسين عليه السلام: **«الموتُ أدنى إليك**

(١) البلاذري، أنساب الأشراف: ج٣، ٣٨٠. الدينوري، الأخبار الطوال: ص٢٤٩. الطبري، تاريخ الأُمم والملوك: ص٦، ص٢١٣. ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٤٠٧.

(٢) ابن أعثم، الفتوح: ج٥، ص٧٦. الخوارزمي، مقتل الحسين عليه السلام: ج١، ص٣٣٠.

(٣) أبو مخنف، مقتل الحسين عليه السلام: ص٨٣. البلاذري، أنساب الأشراف: ج٣، ص٣٨٠. الدينوري، الأخبار الطوال: ص٢٤٩. الطبري، تاريخ الأُمم والملوك: ج٦، ص٢١٤. ابن كثير، البداية والنهاية: ج٨، ص١٧٢.

(٤) الطبري، تاريخ الأُمم والملوك: ج٦، ص٢١٤. المفيد، الإرشاد: ص٣٢٧.

من ذلك»[1]، لأنّ ليس وراء عبيد الله سوى مطالبة الإمام الحسين عليه السلام بالبيعة ليزيد، وهو ما لا يعطيه الإمام الحسين عليه السلام، ولا يهادن فيه، وإنّما الموت الكريم أهون ممّا يطلبون.

ولمّا ركب الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه للانصراف حال الحرُّ بينه وبين ذلك، وأصرّ على مرافقة الإمام الحسين عليه السلام لينطلق به إلى عبيد الله بن زياد، فلمّا أبى الإمام الحسين عليه السلام ذلك طلب من الإمام عليه السلام أن يأخذ طريقاً لا تدخله الكوفة، ولا تردّه إلى المدينة حتى يكتب بشأنه إلى ابن زياد، فتياسر الإمام الحسين عليه السلام عن طريق العُذيب والقادسية، وبينه وبين العُذيب ثمانية وثلاثون ميلاً، وسار في أصحابه، والحرّ يسايره[2].

وقد علّق أحد الكتّاب على موقف الإمام الحسين عليه السلام هذا، فقال: إنّ الحسين عندما علم من الحُرّ ما أجمع عليه أهل الكوفة داخَلَه الشكّ وهمَّ بالرجوع[3]. وانساق معه كاتب آخر، فقال: عندما أحس الإمام الحسين عليه السلام بالخطر، واحدقت به سيوفُ الحُرّ بدأ يفكِّر في الانصراف بأصحابه، ولكن الانصراف لم يكن له من سبيل، لأنّ التعليمات كانت قد صدرت للحُرّ بعدم مفارقته حتى إقدامه على ابن زياد[4].

والحقّ أنّ الإمام الحسين عليه السلام لم يخشَ سيوف الحرّ وظلّ حتى ذلك الوقت يقيم الحجّة على أهل الكوفة، بأنّه قَدِم على بلدٍ كاتبه أهلُه، وأتته رسله، وشكى إليه الجور والعدوان، وأكّد على أنّ أهل البيت عليهم السلام أحقّ بولاية أمرهم من بني أُمية السائرين فيهم بالظلم والإثم، وهو إذ يقول ذلك فهو يعلنه أمام كوفيين عرفوا من منزلة أهل البيت عليهم السلام

---

(١) أبو مخنف، مقتل الحسين عليه السلام: ص٨٤. البلاذري، أنساب الأشراف: ج٣، ص٣٨٠. الدينوري، الأخبار الطوال: ص٢٤٩. الطبري، تاريخ الأُمم والملوك: ج٦، ص٢١٤. ابن أعثم، الفتوح: ج٥، ص٧٨. الخوارزمي، مقتل الحسين عليه السلام: ج١، ص٢٣٢. ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٤٠٨.

(٢) أبو مخنف، مقتل الحسين عليه السلام: ص٨٤ ـ ص٨٥، البلاذري، أنساب الأشراف: ج٣، ص٣٨١. الدينوري، الأخبار الطوال: ص٢٥٠. الطبري، تاريخ الأُمم والملوك: ج٦، ص٢١٤. ابن أعثم، الفتوح: ج٥، ص٧٨ ـ ص٧٩. ابن طاووس، اللهوف: ص٥١.

(٣) حسن، تاريخ الإسلام: ج١، ص٣٩٩.

(٤) شلبي، موسوعة التاريخ الإسلامي: ج٢، ص٢٠١.

وسيرتهم ما يغنيه عن التفصيل، أمّا عَرضه الانصراف عنهم، فلم يكن كما حسبه بعض الكتّاب والباحثين بأنّه فرار من سيوف الحُرّ التي لم يُفاجأ الإمام الحسين عليه السلام بها، بل علم بأنّ عبيد الله بن زياد يُعِدّ له قوّاتاً مضاعفة من كلّ مَن قدم عليه في مراحل الطريق الذي انذروه بأنّه مقتول لا محالة، وإنّما كان ذلك العرض إعذاراً لله ولهم، وسُنّةً لأبيه الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام الذي لم يُكره الناس على القبول به أو السير معه في أقسى ظروفه السياسية، وإنّما حرص على أن يكون ولاء الناس له قائماً على القناعة لا الإكراه[1]، فالإمام الحسين عليه السلام يقف مخيِّراً الناس ليتّخذوا الموقف المسؤول، وليتولوا مسؤوليتهم الشرعية، والإمام الحسين عليه السلام يمنح الفرصة للتبَّصر فيخاطبهم بالنصيحة والتوجيه، والتشجيع والتوبيخ، وبكلّ أساليب الحوار لتحريكهم لاتّخاذ الموقف المطلوب، فلم ييأس منهم، وعندما اتّخذ طريقه إلى البيضة[2] والحُرّ يسايره، خطب فيهم قائلاً: «**أيها الناس، إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: مَن رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله، ناكثاً لعهد الله، مخالفاً لسنّة رسول الله، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، فلم يُغيِّر عليه بفعل ولا قول، كان حقّاً على الله أن يُدخله مُدخله. ألا وإنّ هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان، وتركوا طاعة الرحمن، وأظهروا الفساد، وعطّلوا الحدود، واستأثروا بالفيء، وأحلّوا حرام الله، وحرّموا حلاله، وأنا أحقّ مَن غيَّر، قد أتتني كتبكم، وقدمتْ عليّ رسلُكم ببيعتكم أنّكم لا تُسلموني ولا تخذلوني، فإن تممتم على بيعتكم تصيبوا رشدكم، فأنا الحسين بن علي، وابن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، نفسي مع أنفسكم، وأهلي مع أهليكم، فلكم فيّ أُسوة، وإن لم تفعلوا ونقضتم**

---

(١) يُنظر على سبيل المثال: موقف الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام عندما ترك معتزلي بيعته طالما أنّ ذلك الاعتزال لا يؤثر على إرادة الرأي العام، فقال لِمَن طالبه بإكراه الناس على البيعة: «لا حاجة لنا فيمَن لا يرغب فينا». ابن أعثم، الفتوح: ج٢، ص٢٥٦. ويُنظر: الحسناوي، المعارضة: ص٣٣٣ ـ ص٣٤٧.

(٢) ماء بين واقصة إلى العُذيب متّصلة بأرض الحزن من ديار بني يربوع. ياقوت، معجم البلدان: ج١، ص٥٣٢.

عهدكم، وخلعتم بيعتي من أعناقكم، فلعمري ما هي لكم بنُكر، لقد فعلتموها بأبي، وأخي وابن عمّي مسلم، والمغرور مَن اغترّ بكم، فحظكم أخطأتم، ونصيبكم ضيعتم، ومَن نكث فإنّما ينكث على نفسه، وسيغني الله عنكم»(١).

وقد خطب الإمام الحسين عليه السلام في أصحابه موطّناً أنفسهم على الشهادة والتضحية، فحمد الله وأثنى عليه، ثمَّ قال: «**إنّه قد نزل من الأمر ما قد ترون، وإنّ الدنيا قد تغيَّرت وتنكَّرت، وأدبر معروفها واستمرّت جداً، فلم يبقَ منها إلّا صَبابة كصبابة الإناء، وخسيس عيش كالمرعى الوبيل. ألا ترون أنّ الحقّ لا يعمل به، وأنّ الباطل لا يتناهى عنه؟ ليرغب المؤمن في لقاء الله محقّاً، فإنّي لا أرى الموت إلّا سعادة، ولا الحياة مع الظالمين إلّا برماً**»(٢)

فلمّا سمع أصحاب الإمام الحسين عليه السلام ذلك، خرجوا فتكلّموا بما يؤيّد ولاءهم، وتأكيد عهدهم ومساندتهم له على القتال بين يديه حتى تقطع أعضاؤهم(٣).

وأقبل الحرّ الرياحي يُساير الإمام الحسين عليه السلام ويثبطّه عن المضي، فيقول: «**يا حسين، إنّي أذكّرك الله في نفسك، فإنّي أشهد لئن قاتلت لتُقتلّن...، فقال له الحسين عليه السلام: أفبالموت تخوّفني؟! وهل يعدو بكم الخطب أن تقتلوني؟! ما أدري ما أقول لك! ولكن أقول كما قال أخو الأوس لابن عمّه، ولقيه وهو يريد نصرة رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال له: أين تذهب فإنّك مقتول؟ فقال:**

سأمضي وما بالموت عارٌ على الفتى   إذا مـا نـوى حّقـاً وجاهـد مسـلماً

---

(١) أبو مخنف، مقتل الحسين عليه السلام: ص٨٥ ـ ص٨٦. الطبري، تاريخ الأُمم والملوك: ج٦، ص٢١٥، ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٤٠٨. ولم يذكر ابن الأثير مكان خطاب الإمام الحسين عليه السلام.

(٢) أبو مخنف، مقتل الحسين عليه السلام: ص٨٤. الطبري، تاريخ الأُمم والملوك: ج٦، ص٢١٥. ابن عساكر، ترجمة ريحانة رسول الله: ص٢١٤، وذكر أنّ هذه الخطبة قيلت عندما نزل بالإمام الحسين عليه السلام جيش عمر بن سعد. واتّفق معه الأربلي، كشف الغمة: ج١، ص٥٧٦.

(٣) يُنظر: الطبري، تاريخ الأُمم والملوك: ج٦، ص٢١٥. الخوارزمي، مقتل الحسين عليه السلام: ج١، ص٣٣٧. ابن طاووس، اللهوف: ص٥٠ ـ ص٥١.

وآسى الرجال الصالحين بنفسه وفارق مثبوراً يغشّ ويُرغما

... فلما سمع ذلك منه الحرّ تنحّى عنه... حتى انتهوا إلى عُذيب الهجانات[١]»[٢].

وفي هذا الموضع أقبل أربعة نفر من الكوفة[٣] على رواحلهم وانضمّوا إلى عسكر الإمام الحسين عليه السلام، فأراد الحرّ منعهم، فأصرّ الإمام عليه السلام على أن يمنعهم ممّا يمنع منه نفسه؛ لأنّهم أنصاره وأعوانه، فكفّ الحرّ عنهم ولحقوا بالإمام الحسين عليه السلام[٤]، وقد أخبر القادمون الإمام الحسين عليه السلام بحال أهل الكوفة ومقتل رسوله قيس بن مسهر الصيداوي، فبكى الإمام عليه السلام لمصرعه، وقال: «﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا﴾[٥]، **اللهم اجعل لنا ولهم الجنّة نزلاً، واجمع بيننا وبينهم في مستقر رحمتك ورغائب مذخور ثوابك**»[٦].

وأعقب ذلك إجراءات أُخرى بعد وصول الركب الحسيني إلى كربلاء في الثاني من محرّم، ولتلك الإجراءات أهمّيتها البالغة في رسم صورة حيّة لوضع الكوفة آنذاك، فأرسل عمر بن سعد قائداً على رأس أربعة آلاف جندي من أهل الكوفة، وأمر ابن زياد الناس ـ ممّن بقي خارج معسكر عمر بن سعد ـ أن يعسكروا بالنخيلة[٧]، وألّا يتخلّف منهم أحد،

---

(١) ماء طيّب بين القادسية والمغيثة، وهو واد لبني تميم من منازل حاجّ الكوفة، وكان مسلحة للفرس. ياقوت، معجم البلدان: ج٤، ص٩٢.

(٢) الطبري، تاريخ الأُمم والملوك: ج٦، ص٢١٥. وبتفاوت بسيط: البلاذري، أنساب الأشراف: ج٣، ص٣٨٢، وزاد بيتاً آخر:

فإن عشت لم أذمم وإن مت لم ألم كفى لك ذلاً أن تعيش وترغما

(٣) وهم: نافع بن هلال المرادي، وعمرو بن خالد الصيداوي، وسعد مولاه، ومجمع بن عبد الله العائذي من مذحج. البلاذري، أنساب الأشراف: ج٣، ص٣٨٢.

(٤) أبو مخنف، مقتل الحسين عليه السلام: ص٨٧ ـ ص٨٨. الطبري، تاريخ الأُمم والملوك: ج٦، ص٢١٦. ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٤٠٩.

(٥) الأحزاب: الآية٢٣.

(٦) أبو مخنف، مقتل الحسين عليه السلام: ص٨٨. الطبري، تاريخ الأُمم والملوك: ج، ص٢١٦. ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٤٠٩ ـ ص٤١٠. ابن كثير، البداية والنهاية: ج٨، ص١٧٣ ـ ص١٧٤.

(٧) تصغير نخلة: بالكوفة، وهي التي كان الإمام أمير المؤمنين عليّ عليه السلام يخرج إليها إذا أراد أن يخطب الناس. البكري، معجم ما استعجم: ج٤، ص١٣٠٥.

وخطب فيهم فقرّظ معاوية وذكر إحسانه وإدراره الأعطيات، وعنايته بأُمور الثغور، وذكر اجتماع الألفة به وعلى يده، وعدّ يزيد ابنه سالكاً لمناهجه، ومحتذياً لمثاله، فأبلغ الكوفيين أنّه زاد أُعطياتهم مائة مائة، وحثّ على أثر هذا الترغيب على الخروج لقتال الإمام الحسين عليه السلام، فأمر ألّا يبقى رجل من العرفاء والمناكب والتجّار والسكان إلّا خرج فعسكر معه، وأيّ رجل وُجد بعد ذلك اليوم متخلّفاً عن العسكر برئت منه الذمّة(١).

وأورد ابن أعثم خطبة ابن زياد، وأضاف أنّ يزيداً بعث لابن زياد أربعة آلاف ألف ومائتي ألف درهم، وأمره أن يفرّقها بينهم، وانفرد ابن أعثم بقوله: إنّ جيش ابن زياد ضمّ مقاتلين من أهل الشام، وأنّ ابن زياد وضع العطاء، فأعطاهم حال نزوله من المنبر(٢). وهذا يخالف ما ورد في بعض المصادر التاريخية من أنّ قتال الإمام الحسين عليه السلام لم يحضره أحد من أهل الشام، واقتصار ذلك على أهل الكوفة(٣)، كما نرجح أنّ توزيع العطاء أو المبالغ المالية التي أرسلها يزيد قد اقتصر على الأشراف فقط الذين أُعظمت رشوتهم لضمان سيطرتهم على أفراد قبائلهم، ولا يُستبعد أنّ الناس قد اكتفت خلال هذا الوقت بالوعد بزيادة العطاء دون أن يأخذوا منه شيئاً(٤).

وقد استكمل ابن زياد إجراءاته بأن أمر أشراف الكوفة بالطواف فيها ليأمروا الناس بالطاعة والاستقامة، ويخوِّفونهم عواقب الفتنة والمعصية، ويحثونهم على الالتحاق بمعسكر ابن زياد، وأمد معسكر عمر بن سعد بأربعة آلاف آخرين كانوا مع الحصين في القادسية، ووجّه حجّار بن أبجر العجلي في ألف، وشبث بن ربعي في ألف، ويزيد بن الحارث بن يزيد

---

(١) البلاذري، أنساب الأشراف: ج٣، ص٣٨٦ ـ ص٣٨٧. الخوارزمي، مقتل الحسين عليه السلام: ج١، ص٣٤٤.
(٢) ابن أعثم، الفتوح: ج٥، ص٨٩.
(٣) المسعودي، مروج الذهب: ج٣، ص٢٥٧. سبط بن الجوزي، تذكرة الخواص: ج٢، ص١٦١.
(٤) لضآلة المبلغ الذي ذكره ابن أعثم عن أن يفي بأعداد مَن جيّشهم ابن زياد لملاقاة الإمام الحسين عليه السلام.

بن رويم في ألف أو أقل، ثمَّ استخلف على الكوفة عمرو بن حريث، وترك مَن يطوف بالكوفة ـ في غيابه ـ في خيل، فوجد رجلاً من همدان قد قدم يطلب ميراثاً له بالكوفة، فأتى به إلى ابن زياد فقتله، فلم يبقَ بالكوفة محتلم إلّا وخرج إلى المعسكر بالنخيلة(١).

وتبيِّن هذه الروايات للمتمعِّن حرصَ عبيد الله بن زياد على حشد أكبر قدر ممكن من الكوفيين، وحشدهم للقتال على الرغم من معرفته المسبقة بتعداد الإمام الحسين عليه السلام الضئيل(٢) الذي لا يمكن أن يصمد أمام قوّة الحرّ الرياحي، فكيف بمعسكر عمر بن سعد والقوات التي أمدّته بعد ذلك، وفي هذا ما يشير إلى تحسُّب ابن زياد وبشدّة لأي عملية نكوص كوفي، أو أيّ انضمام محتمل لجانب الإمام الحسين عليه السلام، وفي هذا دليل بيِّن على صعوبة الاطمئنان إلى تألُّب الناس ضدّ الإمام الحسين عليه السلام في الكوفة، ومن الأطراف الموالية له على الأقل والتي كانت بأعداد لا يُستهان بها مقارنة بمَن كانوا ضدّه(٣)، ولاسيما أنّ قسماً من الذين لم يُحسبوا في ولائهم على أتباع الإمام الحسين عليه السلام قد أظهروا التأثم من القتال، وكرهوا البقاء في الكوفة لئلا يجبروا على القتال ضدّ الإمام الحسين عليه السلام أو معه(٤).

وإنّ جهود ابن زياد الترغيبية والترهيبية، ومهما قيل فيها من أنّها أثمرت في انقلاب الكوفيين ضدّ الإمام الحسين عليه السلام، إلّا أنّنا يمكن أن نقول إنّها لا تعني أنّ الناس تحوّلوا جميعاً من دائرة الولاء إلى العداء، وإنّما أصبحوا في خوف ورعب من إظهار ذلك الولاء بدليل ما ورد من أنّ ابن زياد كان يبعث الرجل «**في ألف فلا يصل إلّا في ثلاثمائة أو أربعمائة وأقل من**

(١) البلاذري، أنساب الأشراف: ج٣، ص٣٨٧. الدينوري، الأخبار الطوال: ص٢٥٤ ـ ص٢٥٥.

(٢) استنتج شمس الدين من خلال دراسة معمّقة للروايات التي ذكرت عدد أصحاب الإمام الحسين عليه السلام، أنّ عددهم لم يكن يزيد على المئة إلاّ قليلاً، آخذاً بنظر الاعتبار تحوّل بعض جنود الجيش الأُموي إلى معسكر الإمام الحسين عليه السلام. يُنظر: أنصار الحسين: ص٣١ ـ ص٤٢.

(٣) تلمسنا ذلك من الأعداد التي بايعت مسلم بن عقيل قبل استشهاده.

(٤) مثل: عبيد الله بن الحرّ الجعفي، وأنس بن الحارث الكاهلي. البلاذري، أنساب الأشراف: ج٣، ص٣٨٤.

ذلك كراهة منهم لهذا الوجه»[١]. فعلى الرغم من شدّة ابن زياد وفتكه بكلّ مُتخلِّف عن القتال، إلّا أنّ عدداً من الكوفيين كانوا يفرّون في طريقهم إلى القتال بعد أن ضاق عليهم التخفّي في الكوفة، فاحتاط ابن زياد؛ لئلاّ يجوز أحد منهم فيلحق بالإمام الحسين عليه السلام ويغيثه، بوضع المناظر والمسالح على الكوفة وحولها[٢]. فضلاً عن أنّ بعضهم كانوا يتأثمون من ارتكاب تلك الجريمة الشنعاء بحقّ الله وحقّ سيد المرسلين صلى الله عليه وآله، فقد كان عبد الله بن يسار في الكوفة يحث ببطولة على ضرب الأُمويين، ونصرة ابن رسول الله صلى الله عليه وآله، ويخذّل الناس عن مناصرة الحكم اللامشروع، فطورد واختفى، ثمَّ قبض عليه وقتل[٣].

وفي النخيلة حيث كان ابن زياد يهيمن على شؤون الناس حاول عمار بن أبي سلامة الدلاني القيام باغتياله والتخلّص منه، فلم يتمكن من ذلك، فلحق بالإمام الحسين عليه السلام واستشهد معه[٤].

وفي ساحة القتال كانت الرجال تنكشف عن يمين وشمال الإمام الحسين عليه السلام انكشاف المعزى إذا شدّ فيها الذئب، ويهربون أمامه[٥]. وفي ذلك دلالة على كراهة مواجهة الإمام الحسين عليه السلام بالقتال من أشخاص قد يكونوا قد جنّدوا ترغيباً وترهيباً، ناهيك عمّا ورد من أنّ بعضهم قد وقف وقوف العاجز في ساحة المعركة، عاجز عن التضحية مع الإمام الحسين عليه السلام، وعاجز عن مواجهة عبيد الله بن زياد بالفرار أو التخلّي عن القتال، فلم يكن في أيديهم سوى البكاء والدعاء للإمام الحسين عليه السلام بالنصر[٦].

---

(١) البلاذري، أنساب الأشراف: ج٣، ص٣٨٧. ويُنظر: الدينوري، الأخبار الطوال: ص٢٥٤ ـ ٢٥٥.

(٢) البلاذري، أنساب الأشراف: ج٣، ص٣٨٨.

(٣) المصدر السابق: ج٣، ص٣٧٧. ويُنظر: عابدين، محمد علي، الدوافع الذاتية لأنصار الحسين، ط٣، قم، ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م: ص٢١٠.

(٤) البلاذري، أنساب الأشراف: ج٣، ص٣٨٨.

(٥) الطبري، تاريخ الأُمم والملوك: ج٦، ص٢٤٠، ص٢٤٥. المفيد، الإرشاد: ص٣٥٠ ـ ٣٥١. ابن طاووس، اللهوف: ص٧٥.

(٦) الطبري، تاريخ الأُمم والملوك: ج٦، ص٢٠٨.

إنّ النماذج التي ذُكرت والتي أشارت لها بعض المصادر باختصار دون تركيز وتعليل، تدعم وجهة نظرنا بطبيعة المناخ الذي ساد الإعداد لقتال الإمام الحسين عليه السلام، والاتّجاهات المتناقضة التي سادت في معسكر أعدائه، وأعطت فكرة عن عدم إمكانية القول بتألّب الناس جميعاً ضدّ الإمام الحسين عليه السلام، وإنّ إجراءات التضييق على الكوفيين قد شهدت محاولات انفلات ربما لم يحفظ التاريخ منها إلّا تلك النماذج المحدودة.

وقد فَسَّر أحد الكُتّاب هذا التضارب في الموقف الكوفي بكونه حالة اضطرارية في حالة تهديد بالقتل، عاجلة أو آجلة من الأُمويين، وأنّهم مالوا إلى الخيار الذي يضمن حياتهم، من منطلق نظرة نفعية، فقال: «**لم يكن مَن حارب ضدّ الحسين ـ سواء ممّن كتب له أو لم يكتب ـ كارهاً له، ولكن وجد أنّ الانضمام إلى حزب الحسين لن يجلب عليه النفع، فحتى إذا دخل الحسين الكوفة، فإنّ يزيد بن معاوية لن يلعب دور المتفرِّج، ولكن سيرسل إليه جنود الشام فيقتله ومَن شايعه، فمَن سينضم إلى الحسين لن ينال إلّا خسران مركزه، بل وحياته أيضاً؛ لأنّ الانقلاب لن ينجح بأي حال من الأحوال، وسيظلّ كلّ من ينضمّ الخائن الأول للسلطة القائمة، ومِن المحرِّضين على قلب نظام الحكم، وكلّ مَن وُضع اسمه بالقائمة السوداء لن يُمحى اسمه إلّا بالقتل؛ لذا كان الأفضل لهم اللعب مع الحزب الأقوى حيث الجاه والنفوذ لا الجهاد ثم القتل**»[1].

لقد أنتجت هذه النظرة الدنيوية توجّه أعداد كبيرة من أهل الكوفة لمواجهة الإمام الحسين عليه السلام[2].

---

(١) أبو السعود، الشيعة: ص٨٣ ـ ٨٤.

(٢) تفاوتت الروايات في إحصاء العسكر الذي خرج لحرب الإمام الحسين عليه السلام بين ستّة آلاف أو ٢٢ ألفاً أو ٣٠ ألفاً أو غير ذلك. ينظر: ابن أعثم، الفتوح: ج٥، ص٨٩ ـ ٩٠. الخوارزمي، مقتل الحسين عليه السلام: ج١، ص٣٤٤. ابن طاووس، اللهوف: ص٧٥. سبط بن الجوزي، تذكرة الخواص: ص٢٢٦.

شبهة: مفاوضة الإمام الحسين عليه السلام لعمر بن سعد في ساحة النزال بأن يبايع يزيد أو يرجع عن الثورة؟!

روي أنّ الإمام الحسين عليه السلام بعث إلى عمر بن سعد قائد جيش عبيد الله بن زياد ليلتقيا بين العسكرين ليلاً، ونتج عن ذلك أنّ الإمام الحسين عليه السلام قد طلب من ابن سعد ثلاث خصال، وهي: إمّا أن يرجع إلى المكان الذي قدم منه، أو يقدم على يزيد فيضع يدَه في يده ويرى يزيد فيه رأيه، أو أن يسير إلى أي ثغرٍ من ثغور المسلمين، فيكون كأيّ رجل منهم[1]. وقد تصدّى شمر بن ذي الجوشن، وحرّض ابن زياد على عدم القبول إلّا بنزول الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه على حكمه[2].

وليس لنا أو لأي قارئٍ منصف للتأريخ إلّا أن يرفض هذه الرواية، فقد ذكر أبو مخنف ومَن أخذ عنه أنّ الإمام الحسين عليه السلام وابن سعد قدما بعشرين فارساً، وتنحّى هؤلاء عند اللقاء، «**فانكشفا عنهما بحيث لا تسمع أصواتهما ولا كلامهما، فتكلّما فأطالا حتى**

---

(١) أبو مخنف، مقتل الحسين عليه السلام: ص٩٩ ـ ١٠٠. ابن قتيبة، الإمامة والسياسة: ج٢، ص١٨٤. البلاذري، أنساب الأشراف: ج٣، ص٣٩٠. الطبري، تاريخ الأُمم والملوك: ج٦، ص٢٢١. ابن عبد ربّه، العُقد الفريد: ج٤، ص٣٧٩. ابن عساكر، ترجمة ريحانة رسول الله: ص٢٢٠. ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٤١٣. محبّ الدين الطبري، أحمد بن عبد الله (ت٦٩٤هـ/ ١٢٩٤م)، ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى، تقديم ومراجعة: جميل إبراهيم حبيب، ط بغداد، (بلا.ت): ص١٥٩. ابن كثير، البداية والنهاية: ج٨، ص١٧٥.

(٢) أبو مخنف، مقتل الحسين عليه السلام: ص١٠١. البلاذري، أنساب الأشراف: ج٣،٣٩٠. الطبري، تاريخ الأُمم والملوك: ج٦، ص٢٢٢. ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٤١٤.

ذهب من الليل هزيع، ثمَّ انصرف كلّ واحد منهما إلى عسكره بأصحابه»(١). ويضيف أبو مخنف أنّ الناس تحدَّثوا بما توصّل إليه الطرفان «**وشاع فيهم من غير أن يكونوا سمعوا من ذلك شيئاً ولا علموه**»(٢).

فالمفاوضات اقتصرت على الإمام الحسين عليه السلام، وعمر بن سعد دون غيرهما، ولم يسمع أحد ما دار من حديث، وقد تكون تلك الشائعة هي لون من ألوان الهروب النفسي ـ ولو إلى حين ـ من ثقل الاهتمام بحرب الإمام الحسين عليه السلام إلى أمل التخلُّص من الحرب ولو بمسألة الإمام الحسين عليه السلام المزعومة وقبوله بالإقرار ليزيد، والإبقاء على بني أُمية. وممّا يدعم نفي صدور مثل هذه الخيارات المطروحة ـ ولاسيما خيار بيعة يزيد ـ عن الإمام الحسين عليه السلام ما ذكره عقبة بن سمعان(٣) بوصفه شاهد عيان، وأحد الناجين ممّا حصل في كربلاء: «**صحبت حسيناً فخرجت معه من المدينة إلى مكّة، ومن مكّة إلى العراق، ولم أُفارقه حتى قُتل، وليس من مخاطبته الناس كلمة بالمدينة ولا بمكّة ولا في الطريق ولا بالعراق ولا في عسكر إلى يوم مقتله إلّا وقد سمعتها، ألا والله، ما أعطاهم ما يتذاكر الناس وما يزعمون من أن يضع يده في يد يزيد بن معاوية، وأن يسيِّروه إلى ثغر من ثغور المسلمين، ولكنّه قال: دعوني فلأذهب في هذه الأرض العريضة حتى ننظر ما يصير أمر الناس**»(٤).

ورواية عقبة هذه توافق تماماً ما ذكره الإمام الحسين عليه السلام في خطبته قبل نشوب

---

(١) أبو مخنف، مقتل الحسين عليه السلام: ص٩٩. الطبري، تاريخ الأُمم والملوك: ج٦، ص٢٢١.

(٢) أبو مخنف، مقتل الحسين عليه السلام: ص٩٩.

(٣) مولى الرباب بنت امرؤ القيس الكلبية زوجة الإمام الحسين عليه السلام، وأم ابنته سكينة، جيء به إلى عمر بن سعد بعد نهاية معركة الطف، فسأله عن نفسه، فقال عقبة: أنا مملوك. فخلى ابن سعد سبيله. البلاذري، أنساب الأشراف: ج٣، ص٤١٠. الدينوري، الأخبار الطوال: ص٢٥٩.

(٤) أبو مخنف، مقتل الحسين عليه السلام: ص١٠٠. الطبري، تاريخ الأُمم والملوك: ج٦، ص٢٢١. ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٤١٣. ابن كثير، البداية والنهاية: ج٨، ص١٧٥.

المعركة: «**أيها الناس، إذا كرهتموني فدعوني أنصرف عنكم إلى مأمن من الأرض**»(١). وهي غاية ما يستطيعه من إلقاء الحجّة على هذا الجمهور الذي أيده بالبيعة واستقدمه بالرسل، ثمَّ انضمّ إلى الأُمويين لقتله، وينسجم هذا الموقف مع رفض الإمام الحسين عليه السلام في وقت مبكّر لبيعة يزيد؛ إذ قال لَمن دعاه إلى النزول على حكم يزيد: «**لا والله، لا أُعطيهم بيدي إعطاء الذليل، ولا أُقرّ إقرار العبيد**»(٢)، ثمَّ تلا الآية القرآنية التالية متوجهاً إلى الله، وعازماً على ألّا يفتّ في عضده عن قرار الثورة أحد: ﴿وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ * وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَزِلُونِ﴾(٣).

وقد تكون هذه الخصال الثلاث هي أُمنيات من عمر بن سعد افتعلها في كتابه إلى عبيد الله ابن زياد(٤) في محاولة منه للتخلُّص من مسؤولية قتال الإمام الحسين عليه السلام، لاسيما وأنّ بعض المصادر قد أشارت إلى أنّ الإمام الحسين عليه السلام قد رغّبَ ابن سعد بترك معسكر ابن زياد ودعاه إلى اللحوق به(٥).

وأورد أحد الباحثين كتاب عمر بن سعد إلى عبيد الله بن زياد مشيراً إلى أنّ الإمام الحسين عليه السلام طلب الإمهال ليلة العاشر من ابن سعد، فاستحيى ابن سعد أن يقاتله، وكتب إلى ابن زياد بعروض الإمام الحسين عليه السلام عدا البيعة ليزيد، ويجد أن هذا الفعل يدلّ على حسن نية ابن سعد، وسلامة طويته، وتخوفه من مقاتلة الإمام الحسين عليه السلام، فألقى عن

---

(١) الطبري، تاريخ الأُمم والملوك: ج٦، ص٢٢٩. ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٤١٩. ابن كثير، البداية والنهاية: ج٨، ص١٧٩.

(٢) البلاذري، أنساب الأشراف: ج٣، ص٣٩٦ ـ ٣٩٧، وجعلها البلاذري «لا أفرّ فرار العبيد». الطبري، تاريخ الأُمم والملوك: ج٦، ص٢٢٩. الخوارزمي، مقتل الحسين عليه السلام: ج١، ص٣٥٨. ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٤١٩. ابن كثير، البداية والنهاية: ج٨، ص١٧٩.

(٣) الدخان: آية٢٠ ـ ٢١. وقد أورد البلاذري ذلك في أنساب الأشراف: ج٣، ص٣٩٧.

(٤) أبو علم، الحسين بن علي: ص١٣٦ ـ ١٣٧. وتُنظر: نسخة الكتاب: أبو مخنف، مقتل الحسين عليه السلام: ص١٠٠. ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٤١٤.

(٥) يُنظر: ابن أعثم، الفتوح: ج٥، ص٩٢. الخوارزمي، مقتل الحسين عليه السلام: ج١، ص٣٤٧ ـ ٣٤٨.

كاهله ما تجرّ عليه الأحداث من سوء القالّة، ووخز الضمير[1]. لكن الدقّة في قراءة الأحداث تثبت خطأ ما ذكره هذا الباحث في توقيت إرسال ابن سعد لتلك الشروط، فلم يكن ذلك ليلة العاشر من المحرّم، وإنّما في بداية نزوله لأرض كربلاء، وقبل أن يطلب الإمام الحسين عليه السلام الإمهال الذي لم يرضَ به ابن سعد في البداية، ولم يتم إلّا بعد مداولة ونقاش بين ابن سعد وصحبه[2]، ويبدو أنّ هذا الخطأ كان مقصوداً من هذا الباحث ليجعل القول بسلامة طويّة ابن سعد مقبولاً، وليلقي عن كاهله إثم مجاراة ابن زياد بقتال الإمام الحسين عليه السلام.

وقد أيَّد مجموعة من الكتّاب والباحثين المتأخِّرين رواية إعطاء الإمام الحسين عليه السلام الخصال الثلاث لابن سعد، ورأوا أنّه عليه السلام قدَّم عروضاً كريمة في منتهى العدل والنصفة، كانت كفيلة بمنع الحرب والقتال[3]، ورأى فيها عبد اللطيف مبادرة طيبة، برّأ فيها الإمام الحسين عليه السلام ذمته تماماً، ورجع إلى الصواب!! رغم خطأه أساساً في الخروج!!![4].

وذكر قسم آخر منهم خيارين فقط عرضهما الإمام الحسين عليه السلام، وتفاوتوا في اختيار هذين الخيارين من بين ثلاث خيارات ذكرتها الرواية الأصليّة في المصادر المتقدِّمة. فذكروا خيار الرجوع إلى المدينة، وخيار الذهاب إلى أي ثغر من ثغور المسلمين، وعللوا ذلك

---

(١) قرون، عظمة الإمام الحسين عليه السلام: ص٧٥ ـ ٧٦.

(٢) أبو مخنف، مقتل الحسين عليه السلام: ص١٠٤ ـ ١٠٧. البلاذري، أنساب الأشراف: ج٣، ص٣٩١ ـ ٣٩٣. الدينوري، الأخبار الطوال: ص٢٥٦. الطبري، تاريخ الأُمم والملوك: ج٦، ص٢٢٣ ـ ٢٢٤. الخوارزمي، مقتل الحسين عليه السلام: ج١، ص٣٥٣ ـ ٣٥٥. ابن كثير، البداية والنهاية: ج٨، ص١٧٦.

(٣) مشتهري، سيد شباب أهل الجنة: ص٥٦ ـ ٥٧. النجار، الدولة الأُمويّة: ص٨٨.

ويُنظر: إبراهيم، أيام العرب: ص٤١٧. الجندي، عبد الحليم، الإمام جعفر الصادق، ط القاهرة، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م: ص٤٩. شلبي، الدولة الأُمويّة: ج٠٤، ق٥، ص٢٨. حسين، الفتنة الكبرى (علي وبنوه): ج٢، ص٢٤٠. الحوفي، أدب السياسة: ص٤٠. سرور، الحياة السياسية: ص١٣٧. رضا، الحسن والحسين: ص٨٦. شلبي، موسوعة التاريخ الإسلامي ـ الدولة الأُمويّة ـ: ج٢، ص٢٠١.

(٤) عبد اللطيف، العالم الإسلامي: ص٤٧٥ ـ ٤٧٦.

بضيق الأمر على الإمام الحسين عليه السلام، واشتداد الكرب عليه، وانفضاض الناس عنه، ومنعه عن الماء؛ فاضطرّ أن يعرض على ابن سعد إحدى الخصلتين(١).

بينما ذهب حسن إبراهيم حسن إلى ذكر خيارين أيضاً، ولكنّه انتقى منهما خيار الذهاب إلى يزيد أو الرجوع إلى الحجاز؛ لأنّه رأى ضآلة قوّته، وعجزه عن القتال(٢). وإذا كنّا نسجّل هنا تهاون هؤلاء الكتّاب والباحثين في نقل الحقيقة التاريخية من مصادرها والسير بها عن قصد أو غير قصد إلى سبيل التحريف، فإنّ ذلك كان أشدّ وضوحاً، وبصورة لا تخلو من قدح بشخص الإمام الحسين عليه السلام لدى أحدهم إذ قال: إنّ الإمام الحسين عليه السلام حين حاصره جيش عمر بن سعد، ناشد ابن سعد وشمراً الله والإسلام أن يسيّروه إلى أمير المؤمنين يزيد؛ ليضع يده في يده، فأبوا إلّا نزوله على حكم ابن زياد(٣).

ومن ناحية أُخرى أوردت بعض المصادر التأريخية رواية عقبة بن سمعان التي كذّب فيها قضية الخصال الثلاث التي أعطاها الإمام الحسين عليه السلام لعمر بن سعد، وقد رجّحوا رواية عقبة تلك(٤)، لكن من أغرب ما قرأناه في هذا المجال محاولة العقّاد أن يجمع بين هذه الآراء جميعاً فيورد شهادة عقبة بن سمعان التي تُبرِّئ الإمام الحسين عليه السلام من طلب الذهاب أو مبايعة يزيد، ويعود ليضع احتمال وقوع الحادثة، فيؤوِّل قراءة الأحداث قائلاً: «**إنّ الحسين ربما اقترح الذهاب إلى يزيد ليرى رأيه، ولكنّه لم يعدهم أن يبايعه أو يضع يده في يده...، ولعلّ عمر بن سعد قد تجوّز في نقل كلام الحسين عمداً، ليأذنوا له في حمله إلى يزيد، فيلقي عن كاهله مقاتلته وما تجرّ إليه سوء القالّة ووخز الضمير**»(٥).

---

(١) ماجد، التاريخ السياسي: ٢، ص٧٤. عبد العليم، سيدنا الإمام الحسين: ص٩١.

(٢) علي إبراهيم، التاريخ الإسلامي العام: ص٢٨٤ ـ ٢٨٥.

(٣) السيد، سيرة آل بيت النبي: ص٣٣٣.

(٤) يُنظر: منصور، الشقيقان: ص٦٣ ـ ٦٤. غريب، الإمام الحسين: ص٩٨ ـ ٩٩. عويس، شهيد كربلاء: ص١٦٨. خالد، أبناء الرسول في كربلاء: ص١٢٠ ـ ١٢١. أبو النصر، الحسين بن علي: ص١١٠. لطفي، الشهيد الخالد: ص٥٠. أبو علم، الحسين بن علي: ص١٣٦ ـ ١٣٧.

(٥) العقّاد، أبو الشهداء: ص١٩٢.

وقد رأى باحث آخر أنّ رواية عقبة بن سمعان هي أقرب الأشياء إلى خُلق الإمام الحسين عليه السلام وإبائه، وإيثاره الموت على أن يعطي أعداءه بيده إعطاء الذليل، أو أن يقرّ لهم إقرار العبيد[1].

وفسّر باحث آخر وجود رواية الخصال الثلاث التي أعطاها الإمام الحسين عليه السلام على أنّها من أحاديث الإفك، فقال: إنّ البطل فور ما يموت، فإنّه تخرج أحاديث الإفك لتنسب له تنازلات وسقطات تشوِّه من الصورة النقية وتشكك في المواقف القاطعة، لمجرّد أن تشوِّه الفكرة لدى الناس وتأخذ بهم مأخذ الرد والإيجاب والنفي والجدل، والمنطق يرفض الرواية التي زعمت عروض الإمام الحسين عليه السلام على أعدائه من الخصال الثلاث جملة وتفصيلاً[2].

وجاء تفسير الورداني ليستكشف زوايا أُخرى في هذا التشويه وأحاديث الكذب التي نُسبت للإمام الحسين عليه السلام، فيذكر: إنّ هذه الرواية قد وجهت طعنة شديدة للإمام الحسين عليه السلام وأخيه وأبيه وخطّ آل بيته عليهم السلام، وللإسلام النبوي الذي يمثله في ذلك الطرح الانهزامي الخانع الذي يعكس شخصية منهارة قدَّمت التنازلات فور وقوع المواجهة ومن قبل وقوع الصدام، فهو يطلب تسييره إلى ثغر من الثغور ليقاتل تحت راية الأُمويين، فما دام لا يحمل أي صورة من العداء لبني أُمية فلِمَ كان خروجه إذن؟! وحين يطلب الرجوع إلى المدينة، فكأنّه ضحّى بكل القيم والمبادئ التي آمن بها وتبعه الناس على أساسها، فكأنّه يخدع أولئك الناس من أجل النجاة بنفسه، وحين يطلب منه أن يضع يده بيد يزيد، فكأنّه يضحِّي بالإسلام النبوي وجهاد أبيه وأخيه، وينفي وجود أيّ بوادر عداء وصراع بين الحقّ الذي يمثِّله والباطل المتمثِّل بيزيد وبني أُمية، وكيف للإمام عليه السلام أن يطلب أن يضع يده بيد يزيد

---

(١) غنيم، الثورات العلوية: ص١٧٥.

(٢) عيسى، دم الحسين: ص٦١.

ويقدِّم مثل تلك التنازلات وفي النهاية يرفض النزول على حكم ابن زياد ويقاتل؟!! إنّ الذي يُقدِّم مثل تلك التنازلات، لا يشكِّل له النزول على حكم ابن زياد حرجاً.

ويخلص الكاتب إلى أنّ مثل هذه الروايات هي من صنع السياسة، واخترعت خصيصاً لخدمة الأُمويين ونصرتهم، وضرب خط آل البيت عليهم السلام وتشويهه[1].

ويخالف شاهين الباحثين الأخيرين في أسباب وضع هذه الرواية عن الإمام الحسين عليه السلام، وينتقد القائلين بوضعها لهدف تشويه موقف الإمام الحسين عليه السلام، وإيهام الناس بأنّه قد خضع وأحنى رأسه للسلطان، فيرى أنّها وضعت للإساءة إلى عامل الأُمويين (عبيد الله بن زياد) على العراق، فصوّرته متعنتاً متصلِّباً متربصاً بالإمام الحسين عليه السلام، يسعى إلى إذلاله وقتله، وألمحت الرواية إلى ضعفه عندما جعلته يستشير لقبول تلك الخصال، أو رفضها أحد رجال القبائل المغامرين (شمر بن ذي الجوشن)، بينما أظهرت الإمام الحسين عليه السلام مسالماً باذلاً ما في وسعه لتجنُّب القتال، ومجدت موقفه، وجعلته شهيداً مظلوماً، وقد أنكر شاهين أن يكون الأُمويون وأعوانهم هم واضعوا هذه الرواية، فحسبَ ما قدمه شاهين، أنّ الرواية وردت في مصادر شيعيّة، وبرواية شيعيّة؛ فهي إذن شيعيّة الأصل[2].

وإنّ المتأمِّل في هذه الرواية يجد أنّ أول مَن أوردها ووصلت عن طريقه ـ في كتاب الطبري وغيره ـ هو أبو مخنف، وأنّه قد أورد أولاً عمَّن شهد قتل الإمام الحسين عليه السلام رواية لقاء الإمام الحسين عليه السلام بابن سعد، وذكر أنّ ذلك اللقاء لم يحضره أحد، وقد «**تحدَّث الناس فيما بينهم؛ ظنّاً يظنونه أنّ حسيناً قال لعمر بن سعد: اخرج معي إلى يزيد بن معاوية وندع العسكرين.. وشاع فيهم**»[3]، ثمَّ أورد رواية الخصال الثلاث برواية المحدِّثين[1]، وأعقب

(١) الورداني، السيف والسياسة: ص١٤٦ ـ ١٤٧.

(٢) شاهين، الدولة الأُمويّة المفترى عليها: ص٣١٧.

(٣) أبو مخنف، مقتل الحسين عليه السلام: ص٩٩. الطبري، تاريخ الأُمم والملوك: ج٦، ص٢١٩ ـ ٢٢٠.

ذلك برواية شاهد عيان هو عقبة بن سمعان النافية لحصول ذلك. ويتبيَّن من هذا النقل أمانة الراوي الشيعي وإحاطته بكلِّ ما قيل عن الحدث التاريخي حتى ذلك الذي انتشر على سبيل الشائعة، وأنّ خبر الخصال الثلاث قد ورد في حديث المحدِّثين، وليس شهود العيان الذين حضروا المقتل ورووا كلَّ ما ينفي وقوعها.

إنّ تسلسل النقل لدى أبي مخنف يوحي بانسجامه مع نفي هذه الرواية، فلم يؤكد عليها ليقال: إنّ رواة الشيعة قد وضعوها لتشويه صورة ابن زياد أو حشد التعاطف مع الإمام الحسين عليه السلام!

وقد استبعد شاهين نفسه رواية الخصال الثلاث لأسباب أُخرى، منها: إنّ عرض الإمام الحسين عليه السلام بالذهاب إلى يزيد لا يعني بالضرورة استعداده لمبايعة يزيد. ويتّفق هنا في هذا الاحتمال مع العقّاد(٢)، ولوجود رواية عقبة ابن سمعان التي تتّفق مع رواية شأُمية لما حدث، تظهر الإمام الحسين عليه السلام يأبى الاستسلام وهذا يتّفق مع طبيعة الإمام الحسين عليه السلام وإبائه وشممه الذي رفض أن يبايع ليزيد وعارض توليته منذ عهد معاوية واشتهر عنه ذلك في الحجاز والعراق، كما أنّ ترجيح عدم وقوع رواية الخصال الثلاث من الإمام الحسين عليه السلام أكثر منطقية في تفسير موقف ابن زياد الذي يصعب تبريره في الروايات الأُخرى إلّا بالرغبة في التشفّي والانتقام، وهي تتّفق مع المعروف من ذكاء ابن زياد السياسي الذي استطاع به تحويل موقف الكوفة، وجمعها خلفه في حرب مَن استدعاه أهلها ليبايعوه، ولم يكن ممَّا يتّفق مع ذلك الذكاء أن يرفض ابن زياد الخيارات السياسية التي تطرحها الروايات الأُخرى على لسان الإمام الحسين عليه السلام مع أنّ فيها على الأقل تخليصاً له من ذلك المأزق، وتحميلاً إياه على عاتق يزيد، كما أنّه ممّا لا يتّفق مع قدرات ابن زياد أن تُصوّره الرواية، من أنّ شمر بن ذي الجوشن قد تَلعّبَ به، فأحاله عن رأيه في

---

(١) أبو مخنف، مقتل الحسين عليه السلام: ص٩٩.

(٢) شاهين، الدولة الأُمويّة المفترى عليها: ص٣١٧ ـ ٣١٨، ويُنظر: العقّاد، أبو الشهداء: ص١٩٢.

موادعة الإمام الحسين عليه السلام إلى تصميم كامل على قتاله بغير حجّة ناصعة أو سبب قوي يعلل ذلك التحوّل، وابن زياد كان أحوج ما يكون إلى أن يقدِّم دليلاً على ولائه وإخلاصه للنظام ـ بسبب علاقته السيئة بيزيد قبل تولّيه العراق ـ ولن يتحقق ذلك إن ترك الإمام الحسين عليه السلام يمضي من حيث أتى ليثير معركة محتملة من جديد(١).

ومع رجحان ما ذكره شاهين من أسباب لرفض الرواية، إلّا أنّه بالغ في إعفاء شمر من توجيه النصح لابن زياد، أو حاجة الأخير إلى مثل تلك المشورة، وأخطأ فيما ذكره من أنّ مشورة الشمر لم تكن بحجّة ناصعة أو سبب قوي لصرف ابن زياد عن الموادعة إلى القتال بدليل ما قاله الشمر في تلك النصيحة: «**أتقبل هذا منه وقد نزل بأرضك إلى جنبك؟! والله لئن رحل من بلدك، ولم يضع يده في يدك، ليكونن أولى بالقوّة والعزّة، ولتكوننّ أولى بالضعف والعجز، فلا تُعطه هذه المنزلة فإنّها من الوهن، ولكن لينزل على حكمك هو وأصحابه، فإن عاقبت فأنت وليّ العقوبة، وإن غفرت كان ذلك لك**»(٢).

ففي هذا الرأي حجّة قاطعة، وسبب قوي ليركن إليها ابن زياد؛ إذ إنّ شمراً نبّه ابن زياد إلى أنّ السلام هو فرصة سياسية سانحة للإمام الحسين عليه السلام تساعده على حشد قوّته من جديد في الكوفة أو غيرها، في الوقت الذي تمكن منه وحاصره، وأنّ دعوته للنزول على حكم ابن زياد هي الموقف اللائق بقوّة الدولة التي إن شاءت عاقبت وإن شاءت غفرت، فعروضها يجب أن تكون من منطلق القوّة لا الضعف في مواجهة معارِض خارج عليها، ومنكِر لشرعيتها.

بعث ابن زياد بكتاب إلى ابن سعد مع شمر عنّفه فيه على لقائه بالإمام الحسين عليه السلام، وطلب منه أن يخيّر الإمام الحسين عليه السلام بين الاستسلام والنزول على حكم ابن زياد أو

(١) شاهين، الدولة الأُمويّة المفترى عليها: ص٣١٨ ـ ٣١٩.

(٢) أبو مخنف، مقتل الحسين عليه السلام: ص١٠١. البلاذري، أنساب الأشراف: ج٣، ص٣٩٠. الطبري، تاريخ الأُمم والملوك: ج٦، ص٢٢٢. ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٤١٤.

القتال، فإن أبى إلّا القتال، فعلى ابن سعد أن يقتله وأصحابه ويُمثّل بهم؛ لأنّهم ـ في رأي ابن زياد ـ لذلك مستحقّون، وعليه أن يطأ الخيل صدر الإمام الحسين عليه السلام وظهره؛ لأنّه عاقٌّ مشاق، قاطع ظلوم، كما وصفه ابن زياد، ثمَّ أوصى شمراً أن يسمع لابن سعد ويطيعه إذا التزم بتنفيذ الأوامر، فإن خالف ذلك، فلشمر أن يقتله ويبعث برأسه إليه ويصبح أمير الجيش بدلاً عنه[1].

نهض عمر بن سعد إلى حرب الإمام الحسين عليه السلام، ولم يتخلَ عن إمرة الجيش، فأوامر ابن زياد تضعه على حافّة الاختيار الصعب والخطير الذي لا مجال معه للتردد، وكاد القتال أن ينشب لولا أنّ الإمام الحسين عليه السلام طلب إمهاله إلى صباح اليوم التالي. وبعد محاورة بين ابن سعد وأشراف الكوفة أُجيب الإمام الحسين عليه السلام إلى طلبه[2].

جمع الإمام الحسين عليه السلام في ليلة العاشر من محرَّم أصحابه، وأثنى عليهم وجزّاهم عنه خيراً، وقال: «... **فإنّي لا أعلم أصحاباً أولى ولا خيراً من أصحابي، ولا أهل بيت أبرّ ولا أوصل من أهل بيتي، فجزاكم الله عني جميعاً خيراً، ألا وإنّي أظنّ يومنا من هؤلاء الأعداء غداً، ألا وإنّي قد رأيت لكم فانطلقوا جميعاً في حلّ، ليس عليكم منّي ذمام، هذا ليلٌ قد غشيكم فاتّخذوه جملاً**»[3].

وقد تكون هذه آخر مرّة وضع فيها الإمام الحسين عليه السلام أصحابه على محكّ الاختبار،

(١) أبو مخنف، مقتل الحسين عليه السلام: ص١٠١. البلاذري، أنساب الأشراف: ج٣، ص٣٩١. الطبري، تاريخ الأُمم والملوك: ج٦، ص٢٢٢. ابن أعثم، الفتوح: ج٥، ص٩٣. الخوارزمي، مقتل الحسين عليه السلام: ج١، ص٣٤٨. ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٤١٤.

(٢) أبو مخنف، مقتل الحسين عليه السلام: ص١٠٤ ـ ١٠٧. البلاذري، أنساب الأشراف: ج٣، ص٣٩١ ـ ٣٩٣. الدينوري، الأخبار الطوال: ص٢٥٦. الطبري، تاريخ الأُمم والملوك: ج٦، ص٢٢٣ ـ ٢٢٤. الخوارزمي، مقتل الحسين عليه السلام: ج١، ص٣٥٣ ـ ٣٥٥. ابن كثير، البداية والنهاية: ج٨، ص١٧٦.

(٣) يُنظر بتفاوت في الألفاظ: أبو مخنف، مقتل الحسين عليه السلام: ص١٠٩ ـ ١١٠. البلاذري، أنساب الأشراف: ج٣، ص٣٩٣. الطبري، تاريخ الأُمم والملوك: ج٦، ص٢٢٤ ـ ٢٢٥. ابن أعثم، الفتوح: ج٥، ص٩٥. الخوارزمي، مقتل الحسين عليه السلام: ج١، ص٣٤٩ ـ ٣٥١.

وترك لهم اختيار طريق النجاة أو الشهادة، واستصفى بطريق غير مباشر كلّ مَن آمن بمبدئه، واستعدّ للبذل في سبيله، وآثر الآخرة على العاجلة، بعد أن نقّى ذلك المعسكر الضئيل من كلّ راغبٍ في دنيا، أو مصاحبٍ لطمع، أو مُتّبعٍ لنصرٍ عاجل.

وقد رفض أصحابه وأهل بيته أن يتفرّقوا عنه، وأبدوا استعدادهم للموت والتضحية[1].

لقد كانوا على أعظم معنويات، وأرفع طاقات شهدها تاريخ الأبطال البواسل. لم يستوحشوا من قلتهم، أو يخشوا كثرة العدو اللدود، ولم يستاؤوا لندرة عددهم[2]، ولذلك قيّم العقاد موقفهم في البذل، فقال: «**وإنّما تكون الندرة هنا أدلّ على جلالة المرتقى الذي تطيقه النفس الواحدة أو الأنفس المعدودات، ولا تطيقه نفوس الأكثرين**»[3].

---

(١) يُنظر: أبو مخنف، مقتل الحسين عليه السلام: ص١٠٩ ـ ١١٠. البلاذري، أنساب الأشراف: ج٣، ص٣٩٣. الطبري، تاريخ الأُمم والملوك: ج٦، ص٢٢٤ ـ ٢٢٥. ابن طاووس، اللهوف: ص٥٧ ـ ص٦٠.

(٢) عابدين، الدوافع الذاتية: ص٢٤٧.

(٣) العقّاد، أبو الشهداء: ص٨٨.

شبهة: استبعاد استخدام الجيش الأُموي لأساليب القسوة مع الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته في أرض المعركة

لقد مارس الجيش الأُموي ألوان القسوة تجاه الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته عليهم السلام، فقد أمر ابن سعد بتقويض مضارب الإمام الحسين عليه السلام وإحراق خيامه[1]. وعندما أتى الإمام عليه السلام بولده الرضيع عبد الله فوضعه في حجره، رموه وقتلوه وهو في حجر أبيه[2].

وظلّ الإمام الحسين عليه السلام وحيداً يناجز القوم ويدعو عليهم:

«اللّهم أمسك عنهم قطر السماء، وامنعهم بركات الأرض، اللّهم فإن متعتهم إلى حين ففرِّقهم فِرَقاً، واجعلهم طرائق قدداً، ولا تُرضي عنهم الولاة أبداً، فإنّهم دعونا لينصرونا، فعدوا علينا فقتلونا»[3].

ثمَّ نادى شمراً بالناس التي كانت تتحاشى أن يتولّوا قتله: ويحكم ماذا تنتظرون بالرجل؟ اقتلوه ثكلتكم أُمهاتكم، فحمل القوم عليه من كلّ جانب، ومال عليه الرجال

---

(١) أبو مخنف، مقتل الحسين عليه السلام: ص١٤١. البلاذري، أنساب الأشراف: ج٣، ص٤٠٢. ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٤٢٥.

(٢) أبو مخنف، مقتل الحسين عليه السلام: ص١٧١ ـ ١٧٣. البلاذري، أنساب الأشراف: ج٣، ص٤٠٧. الدينوري، الأخبار الطوال: ص٢٥٨. اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي: ج٢، ص١٧٠، ابن أعثم، الفتوح: ج٥، ص١١٥. سبط بن الجوزي، تذكرة الخواص: ج٢، ص١٦٤.

(٣) أبو مخنف، مقتل الحسين عليه السلام: ص١٩٣. الطبري، تاريخ الأُمم والملوك: ج٦، ص٢٤٥. ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٤٣١.

رمياً بالسهام وطعناً بالرماح وضرباً بالسيوف حتى هوى عليه السلام إلى الأرض، فقال سنان بن أنس النخعي لخولي بن يزيد الأصبحي احتزّ رأسه، فأراد أن يفعل فضعف وأرعد، فقال سنان: فتَّ الله عضديك وأبان يديك. فنزل إليه وذبحه واحتزّ رأسه، وسلب ما كان عليه، ومال الناس إلى متاع الإمام الحسين عليه السلام، فانتهبوه، ثمَّ ما لوا إلى نسائه وثقله ومتاعه، فإن كانت المرأة لتنازع ثوبها عن ظهرها حتى تُغلَب عليه فيُذهب به منها[1].

وقد استبعد أحد الباحثين المعاصرين حصول الأساليب التي سبق ذكرها في عملية قتل الإمام الحسين عليه السلام، فلم يُصدّق سلب الإمام الحسين عليه السلام بعد قتله، أو سلب ما كان مع نسائه من ثقل ومتاع، أو أن يأمر عمر بن سعد أن يوطأ الإمام الحسين عليه السلام بالخيل، وقد اعتمدَ في هذا الاستبعاد على عدّة مسوغات، منها: أنّ «**هؤلاء الرجال المتقاتلين كانوا مسلمين اجتهدوا فاختلفوا فتقاتلوا، ولم يكونوا ليخرجوا عن دائرة الإسلام وقيَمه إلى هذا الحدّ الذي يهوّن عليهم المثلة بجسد ابن بنت نبيهم أو سلبه بعد موته، أو ارتكاب هذه الخسّة مع نساء عربيات، ناهيك عن نساء النبوة...، ولقد كان بعض هؤلاء الرجال منذ قليل يُصلّون خلف الحسين اعترافاً بقدره، وكان عمر بن سعد قائد الجيش كارهاً ذلك القتال، مؤثراً العافية، لولا أن اضطرّ إليه اضطراراً...**»[2].

وممّا يردّ رأي هذا الباحث عليه أنّه ذكر بداية أنّ بعض المؤرِّخين المحققين استبعدوا وقوع ذلك، ولم يشر لغير ابن كثير، وعندما راجعنا هذا المصدر لم نجد المؤرِّخ ابن كثير قد زاد على عبارة: «**ولا يصح ذلك والله أعلم**»[3]، وليس في ذلك أيّ دلالة علمية على عدم

---

(١) أبو مخنف، مقتل الحسين عليه السلام: ص٢٠٠ ـ ٢٠١. البلاذري، أنساب الأشراف: ج٣، ص٤٠٩ ـ ٤١٠. الطبري، تاريخ الأُمم والملوك: ج٦، ص٢٤٦. ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٤٣٢. النويري، نهاية الإرب: ج٢٠، ص٤٥٩ ـ ٤٦٠.

(٢) شاهين، الدولة الأُمويّة المفترى عليها: ص٣٢٠.

(٣) ابن كثير، البداية والنهاية: ج٨، ص١٨٩.

وقوع تلك الفعال بحقّ الإمام الحسينعليه السلام.

أمّا ما ذكره شاهين من أنّ المتقاتلين مسلمين لا يقع منهم ما وقع، فيُردّ بالقول: إنّ قائد ذلك الجيش والموجّه هو عبيد الله بن زياد، وقد ارتكب المُثلة البشعة قبل ذلك بمِيثم التمّار، وهانئ، ومسلم(١) ورسولَي الإمام الحسينعليه السلام (عبد الله بن يقطر والصيداوي)؛ إذ صُلب البعض ثلاثة أيام، وقطع رؤوس البعض الآخر، وألقى بأجساد الشهداء من القصر العالي، وسحب جسدي هانئ ومسلم في طرق الكوفة، فما المانع أن يوصي قائد جيشه بأن يفعل مع الإمام الحسينعليه السلام ما فعله؟؟ وما الذي يمنع عمر بن سعد من تنفيذ ذلك وقد أطاعه لتنفيذ ما هو أنكى وأكثر إثماً وهو قتل الإمام الحسينعليه السلام؟؟

ثمَّ إنّ عمر بن سعد سرح برأس الإمام الحسينعليه السلام من يومه إلى ابن زياد، وأقام هو وعيال الإمام الحسينعليه السلام التي سبيت إلى غده، ثمَّ أذن بالرحيل إلى الكوفة، فحمل معه بنات الإمام الحسينعليه السلام وأخواته، ومن كان معه من الصبيان، ومعهم الإمام علي بن الحسين السجّادعليه السلام وهو مريض(٢)، وساقوهم من كربلاء كما تساق الأُسارى(٣) على أقتاب الجمال، بغير وطاء ولا غطاء كما يساق سبي الترك والديلم(٤).

ومرّ ابن سعد ومعه السبايا على مصرع الإمام الحسينعليه السلام وأصحابه، فتوجعت السيدة زينبعليها السلام وناحت وناجت رسول اللهصلى الله عليه وآله، وهي تقول: «**يا محمداه، صلّى عليك ملائكةُ السماء، هذا حسين بالعراء، مرمّل بالدماء، مقطّع الأعضاء، يا محمداه وبناتك**

---

(١) وممّا قاله مسلم بن عقيل لابن زياد ـ الذي هدده بقتله قتلةً لم يُقتلها أحد في الإسلام ـ: «أما أنّك أحق من أحدث في الإسلام ما ليس فيه، أما أنّك لا تدع سوء القتلة، وقبح المُثلة، وخبث السريرة، ولؤم الغلبة، ولا أحد من الناس أحقّ بها منك». الطبري، تاريخ الأُمم والملوك: ج٦، ص١٩٨. الأصفهاني، مقاتل الطالبيين: ص١٠٩.

(٢) أبو مخنف، مقتل الحسينعليه السلام: ص٢٠٣. الخوارزمي، مقتل الحسينعليه السلام: ج٢، ص٤٤.

(٣) ابن أعثم، الفتوح: ج٥، ص١٢٠.

(٤) ابن طاووس، اللهوف: ٩١.

سبايا، وذريتك مُقتّله، تسفى عليها الصبا...، فأبكت والله كلّ عدو وصديق»(1).

وبعد مغادرة جيش ابن سعد، عمد أهل الغاضرية من بني أسد إلى الإمام الحسين عليه السلام، فكفّنوه وأصحابه وصلّوا عليهم ودفنوهم(2).

وممّا يُلفت نظرنا في هذا المجال ما ورد في روايات المقتل من ذلك الازدواج واللامبالاة، والنفاق البغيض وضعف الوعي الديني والعقيدي عند الذين حضروا القتال، فعلاوةً على ما تجسَّد من تمرُّدهم وانهزاميتهم باجتماعهم مع ابن زياد ضدّ الإمام الحسين عليه السلام فقد بدى بعض مَن حضروا القتال بصورة متزمتة لا ترعوي لنصح أو تذكير(3)، وبدأ آخرون بازدواجية باردة، كبكاء عمر بن سعد على الإمام الحسين عليه السلام وهو يُقتَل(4)، أو تأسّف شبث بن ربعي على قتل مسلم بن عوسجة الأسدي، ورده الشمر عن نساء الإمام الحسين عليه السلام، واعترافه على نفسه بالضلال(5)، أو قول سنان وهو يحزّ رأس الإمام الحسين عليه السلام **«والله، إنّي لأحتزّ رأسك، وأعلم أنّك ابن رسول الله، وخير الناس أباً وأمّاً»!!!**(6).

---

(1) يُنظر بتفاوت بسيط في الألفاظ: أبو مخنف، مقتل الحسين عليه السلام: ص٢٠٣ ـ ٢٠٤. البلاذري، أنساب الأشراف: ج٣، ص٤١١ ـ ٤١٢. الطبري، تاريخ الأُمم والملوك: ج٦، ص٢٤٨. الخوارزمي، مقتل الحسين عليه السلام: ص٢، ص٤٤ ـ ص٤٥. ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٤٣٤.

(2) البلاذري، أنساب الأشراف: ج٣، ص٤١١. الطبري، تاريخ الأُمم والملوك: ج٦، ص٢٤٧. المسعودي، مروج الذهب: ج٣، ص٢٥٩. الخوارزمي، مقتل الحسين عليه السلام: ج٢، ص٤٤. ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٤٣٣.

(3) يُنظر: موقف كعب بن جابر بن عمرو الأزدي الذي حمل على برير بن حضير القارئ ـ من أصحاب الإمام الحسين عليه السلام ـ ليقتله فذكّره رجل معه بالقول إنّه: هذا برير بن حضير القارئ الذي كان يُقرؤنا القرآن في المسجد، فلم يُبال، وحمل عليه بالرمح حتى وضعه في ظهره. الطبري، تاريخ الأُمم والملوك: ج٦، ص٢٣٣.

(4) يُنظر: المصدر نفسه: ج٦، ص٢٤٥. ابن طاووس، اللهوف: ص٨٦.

(5) وممّا قاله متأسفاً على قتل مسلم بن عوسجة: «ثكلتكم أُمّهاتكم! إنّما تقتلون أنفسكم بأيديكم، وتذللون أنفسكم لغيركم، تفرحون أن يُقتل مثل مسلم بن عوسجة!» الطبري، تاريخ الأُمم والملوك: ج٦، ص٢٣٥ ـ ٢٣٦. ويُنظر باختلاف بسيط: البلاذري، أنساب الأشراف: ج٣، ص٤٠٠ ـ ص٤٠٢.

(6) ابن طاووس، اللهوف: ص٨٠.

إنّ هذا النوع من الفعل القبيح اللامتوازن الذي حفلت به أخبار مقتل الإمام الحسين عليه السلام دعت بعض الكتّاب والباحثين المتأخّرين إلى الوقوف عنده، فعلّق أحدهم على ذلك قائلاً:

«إنّ الذين حاربوا الحسين لم يحاربوه محاربة شريفة.. يُتَّبع فيها تقاليد الحرب كما جاء بها الإسلام الذي نهاهم عن الإجهاز على الجريح أو قتل الأطفال، ولكنهم فعلوا كلّ شيء، بل إنّهم منعوا الماء عن آل بيت الرسول صلى الله عليه وآله، وحرقوا الخيام ومثّلوا بالجثث، وطافوا برؤوس الضحايا على أسنّة الرماح، فكانوا وحوشاً في أثواب آدمية تقتل وتسلب وتنهب بلا عقل ولا ضمير»[1].

وقد اجتهد أحد الباحثين في تفسير هذا الموقف وتأوله لقتل الإمام الحسين عليه السلام كما ذكر ابن العربي[2] وابن تيمية[3]. وتساءل عن الأسباب التي تجعل الأشخاص يقترفون الآثام دونما شعور بالإثم، ويأتون بأكبر الكبائر وكأنّها لم تبلغ حدّ الصغائر مع أنّهم ليسوا بمغيبين، وإنّما مدركون لمعنى الخطيئة، وواعون بحدّ الكبيرة، وعلل ذلك بالتبرير الذي مارسه الإنسان على مرّ الأزمان، وهو التمويه على الباطل بما يشبه الحقّ، وعقلنة الضلال، وإضفاء الشرعية على المحرَّمات، والحيلة الدفاعية التي يُلجأ إليها لخداع الذات ـ قبل الآخرين ـ بغرض التنصل من الالتزامات، ونفياً للقيم والضوابط ذاتها لحساب المتعارض معها من مصالح وأهواء[4].

وذكر البلاذري أنّ سنان لمّا جاء مفتخراً بقتل الإمام الحسين عليه السلام قال عمر بن سعد: أدخلوه إليّ، فلمّا دخل حذفه بالقضيب، ثمَّ قال: يا أحمق، أتتكلم بهذا، والله لو سمعك ابن زياد لضرب عنقك. أنساب الأشراف: ج٣، ص٤٠١.

(١) غريب، بطلة كربلاء: ص١٢٨.

(٢) ابن العربي، العواصم من القواصم: ص١٥٦ ـ ١٥٧.

(٣) يُنظر: ابن تيمية، رأس الحسين: ص٢٠٤.

(٤) الصدفي، أبداً حسين: ص٤٠٢.

ويمضي هذا الباحث للولوج إلى أسباب ظهور هذا التبرير، فيُرجع ذلك إلى البداية الأُولى في مخالفة رسول الله صلى الله عليه وآله وهو حي في قضية بعث جيش أُسامة، وفي عدم الانصياع لأمره بموافاته بدواة وقرطاس ليكتب للأُمّة كتاباً لا يُضلّ بعده، ثمَّ توالت التبريرات في السقيفة، ثمَّ على يد حكّام الدولة الإسلامية الثلاثة مثل قضية خالد بن الوليد ومالك بن نويرة على يد أبي بكر، ومخالفة النصوص المحكمة على يد عمر، والانحراف المالي والإداري في عهد عثمان، ثمَّ أخطاء عثمان.. حتى كانت كارثة كربلاء، ففي مجتمع ساد فيه نظام شديد المركزية كالمجتمع الإسلامي الأول، تتضح فيه المشابهة بين نظام الدولة والسلطة الأُموية.. بما يعنيه ذلك من مسايرة غير منطقية، وإذعان وولاء وطاعة غير معقولة للسلطة، حتى وإن لم تفِ تلك السلطة بشرط الطاعة الحاسم ـ وهو الإشباع ـ فها هنا تعمل عملها العلاقات غير المرئية من التقليد والعادة، فلمّا مورس التبرير وبتكرار من السلطة الأُموية ، وعلى مدى طويل نسبياً ـ بالنظر إلى مجتمع إسلامي وليد لم يتمثّل بعدُ واقعياً محدداته النظرية ـ انساب هذا المدرك من عَلٍ، وتخلل خلايا المجتمع، وصار أحد مكونات اللاوعي الجماعي، ليُستحضر في أوقات الأزمات، ويُستظهر في أنماط السلوك الطُفَيليّة تجاهها[1].

وقد ضرب لذلك أمثلة صارخة من أقوال قاتلي الإمام الحسين عليه السلام إبّان المعركة، فشمر بن ذي الجوشن يقول: «**يا حسين، استعجلت النار في الدنيا قبل يوم القيامة**»[2]، وعبد الله بن حوزة يقول: «**يا حسين، أبشر بالنار**»[3]، وعلي بن قريظة ينادي: «**يا حسين، يا**

---

(١) الصدفي، أبداً حسين: ص٤٠٣. إنّ أشدّ الناس إلحاحاً على التفسير السوسيولوجي للظواهر يتّفقون وهذه النتيجة، فالنظرية الماركسية تؤيد فكرة أنّ الإذعان للسلطة تعتمد على العادات والتقاليد والقبول النفسي لسيطرة طبقة ما، نتيجة عمليات التربية الموجهة والتطبيع الاجتماعي والتدعيم. المصدر نفسه: ص٤٠٣ ـ ٤٠٤. د. اوسبورن، الماركسية والتحليل النفسي، ترجمة: د. سعاد الشرقاوي، ط٢، القاهرة، ١٤٠١هـ/١٩٨٠م: ص١٤٣.

(٢) الطبري، تاريخ الأُمم والملوك: ج٦، ص٢٢٨.

(٣) المصدر نفسه: ج٦، ص٢٣٢.

كذّاب ابن الكذاب»[١]. ويرى أنّ الغلو والإسراف والفحش في تلك الأقوال يبلغ مداه في التمثيل بالإمام الحسين عليه السلام بحزّ الرأس، والإصرار على دكّه بسنابك الخيل، وهذه خصيصة بارزة للتبرير تأكيداً لحاجةٍ في النفس إمعاناً في الزيف وخداع الذات، وكأن مَن يقوم بالتبرير يؤكِّد لنفسه أنّه صاحب قضية جديرة بالاستغراق فيها، كما أنّ مبرر التبرير المصلحة الشخصية المباشرة ذات المدى الواسع الذي يشمل كلاً حسب طاقته[٢].

ولا يفوت الصدفي ـ وهو يفسِّر الموقف الكوفي ـ أن يؤكّد على تأثير الأساليب التي اتّبعتها السلطة مع الكتلة الشعبية للإبقاء على إذعانها بالتعامل مع عوامل الاهتزاز في بنائها النفسي من مخاوف وقلق وأطماع وتردد، فأثّرت خطّة ابن زياد في أصحاب مسلم وانفضّوا من حوله، لأنّ القاعدة لم تكن على مستوى الوعي الذي يؤهلها للانفلات ممّا اعتادت عليه، فضلاً عن الطموح لاستشراف مستقبل أفضل، بالإضافة إلى استشراء الخراب في أعمال بنائها الداخلي.. فتحققت كارثة كربلاء من سيطرة النخبة القبلية التقليدية وهي قيد قبضة الحاكم ذي السيطرة المادّية والنفسية، إلى قاعدة شعبية مردت على الإذعان، إلى انحسار الوعي والنضج في فئة قليلة للغاية كان من المفترض أن تكون الطليعة عن طريق تعظيم أعليتها في محيطها، ولكنها تمتعت بمثالية لم يدعمها في الغالب حنكة ومراس[٣].

وقد قسّم بعض الكتّاب والباحثين المتأخرين مسؤولية قتل الإمام الحسين عليه السلام على طرفين هما أهل الكوفة، وعبيد الله بن زياد ليخرج يزيد بريئاً ـ كما أراد ابن تيمية ـ مرجعيتهم فيما كتبوه.

---

(١) الطبري، تاريخ الأُمم والملوك: ج٦، ص٢٣٤.

(٢) الصدفي، أبداً حسين: ص٤٠٤. ويتّضح ذلك فيما تقدَّم من أنّ عمر بن سعد كان طامعاً في ولاية الري، وأنّ حامل رأس الإمام الحسين عليه السلام إلى ابن زياد قال لامرأته: جئتك بغنى الدهر. يُنظر: الطبري، تاريخ الأُمم والملوك: ج٦، ص٢١٩ ـ ص٢٤٧.

(٣) الصدفي، أبداً حسين: ص٤٠٦ ـ ص٤٠٧.

فأهل الكوفة هم القتلة الحقيقيون على حدّ زعم أولئك الكتّاب، يشاركهم في ذلك عبيد الله الذي رفض عرض الإمام الحسين عليه السلام بالسلام والانسحاب من المعركة، ويزيد راعه ما حدث وأكّد لآل الإمام الحسين عليه السلام لّما ذهبوا!! إلى دمشق أنّه لو كان صاحب الإمام الحسين عليه السلام ما قتله!! في نظر شاهين(١) جرياً على ما كتبه ابن تيمية.

وتعجّب آخر من ظاهرة القتل والتمثيل بجثث القتلى، وقطع الرؤوس والطواف بها من مكان إلى آخر، مع أنّ الإسلام حرّم هذه الظاهرة الجاهلية وأبطلها، ثمَّ علّل ما حدث بالقول:

«**ولكن لا عجب، فإنّ هوى النفس وحبّ الذات والتشبّث بالمناصب، كانت أقوى من الدين لدى الحكّام وأولى من أيّ اعتبار، بهذه القسوة والهمجية التي أفزعت قلوب المسلمين. في عهد الأُمويين أُستذل المسلمون، وفقدوا كرامتهم، وشاع النفاق والكذب، ونأى الصالحون من الناس عن الاشتراك في تسيير أُمور الدولة، وبهت الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وشاعت السلبية**»(٢).

لقد كانت إجراءات قمع ثورة الإمام الحسين عليه السلام وسحقها تشتمل على تصرفات شاذّة لا تقضي بها أية ضرورة عسكرية، فقد أرادت السلطة أن تجعل هؤلاء الثائرين عبرة لغيرهم، وأرادت أن تحدث تأثيراً نفسياً محطماً في العناصر (الشاذّة) في القبائل، لقد أرادت أن تحطم المناعة النفسية في البؤر الثورية في كلّ العرب، في عرب اليمن ـ وهم الذين كبرت على السلطة ثورتهم، وهم المقرّبون من الدولة وأهل السلطان ـ وفي عرب الشمال. وهدف النظام الأُموي من هذا كلّه تبديد الهالة القدسيّة التي تحيط بالإمام الحسين عليه السلام وأهل البيت عليهم السلام، وإفهام الثائرين الذين لم يتح لهم أن يشاركوا في ثورة كربلاء أنّ إجراءات

(١) شاهين، الدولة الأُمويّة المفترى عليها: ص٣٢٨ ـ ٣٢٩.

(٢) عياد، عبد الرحمن، نظام الحكم والصحوة الإسلامية، ط القاهرة، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م: ص٢٢٥ ـ ص٢٢٦.

السلطة في حماية نفسها لا تتوقف عند حدّ، ولا تحترم أيّة قداسة وأيّ مقدَّس وأيّ عُرف ديني واجتماعي، ويأتي قطع الرؤوس، وحملها من بلد إلى بلد، والطواف بها في المدن ـ وخاصّة الكوفة ـ جزءاً من هذه الخطّة العامّة، ولتبديد إمكانات الثورة وتحطيم المناعة النفسية لدى المعارضة، وإفهامها بأنّ الثورة قد انتهت بالقضاء عليها، ولقطع الطريق على الشائعات بالأدلّة المادية الملموسة وهي رؤوس الثائرين، وفي مقدمتها رأس الإمام الحسين عليه السلام، وإذن؛ فقد كان ثمّة هدف سياسي لقطع الرؤوس بالإضافة إلى كونه عملاً انتقامياً[1].

(١) شمس الدين، أنصار الحسين: ص١٨٤، ص٢١٣.

شبهة: غلو الشيعة في ذكر الظواهر التي أعقبت شهادة الإمام الحسين عليه السلام

وقد نقلت المصادر التاريخية المتقدّمة العديد من الظواهر الغريبة بعد مقتل الإمام الحسين عليه السلام، فقد روي أنّ الناس مكثوا شهرين أو ثلاثة كأنّما تلطخ الحوائط بالدماء ساعة تطلع الشمس حتى ترتفع[1]، وروي قولهم: مُطرنا دماً أيام قتل الإمام الحسين عليه السلام[2]، وورد لدى البلاذري: أنّه ما رفع حجر بالشام يوم قتل الإمام الحسين عليه السلام إلّا عن دم[3]، وأنّه لم يرفع حجر إلّا وجد تحته دم عبيط[4].

وروي أنّ الشمس انكسفت ثلاثة أيام[5] ـ أو بتعبير آخر أنّها اظلمت نهاراً ـ حتى رؤيت النجوم فيها[6]. ونُقل عن أُمّ سلمة زوج النبي صلى الله عليه وآله قولها: «إنّ الجنّ ناحت على الإمام الحسين عليه السلام، وأمطرت السماء عليه دماً، ولم تنح الجن بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله، إلّا ليلة مقتل

---

(١) البلاذري، أنساب الأشراف: ج٣، ص٤٢٤. ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٤٤٢. الشيرواني، ما روته العامّة: ص٢٤٧.

(٢) البلاذري، أنساب الأشراف: ج٣، ص٤١٣. القرطبي، أبو عمران موسى بن عبد الله (ت٦٠١هـ/١٢٠٤م)، الجامع لأحكام القرآن، ط بيروت، ١٣٠٥هـ/١٩٨٤م: ج١٦، ص١٤١. ابن حجر، الصواعق المحرقة: ص٢٩٤. الشيرواني، ما روته العامّة: ص٢٤٨.

(٣) البلاذري، أنساب الأشراف: ج٣، ص٤٢٥. ابن كثير، البداية والنهاية: ج٨، ص٢٠١.

(٤) الشيرواني، ما روته العامّة: ص٢٤٨. والعبيط: الطري. ابن منظور، لسان العرب، مادّة عبط.

(٥) ابن قولويه، كامل الزيارات: ص٧٧. ابن كثير، البداية والنهاية: ج٨، ص٢٠١.

(٦) البلاذري، أنساب الأشراف: ج٣، ص٤١٣. ابن حجر، الصواعق المحرقة: ص٢٩٤.

الإمام الحسين عليه السلام»[١]، وذُكر أنّ الجصاصين كانوا إذا أخرجوا في السحر سمعوا نوح الجن على الإمام الحسين عليه السلام بقولهم[٢]:

مسح الرسول جبينه   فله بريق في الخدود

أبواه في عليا قريـ   ـشٍ جدّه خير الجدود

وروى الطبري بإسناده أنّ صوتاً سُمع بالمدينة ينادي صبيحة مقتل الإمام الحسين عليه السلام[٣]:

أيها القاتلون جهلاً حسيناً   أبشروا بالعذاب والتنكيل

كل أهل السماء يدعو عليكم   من نبيٍ وملاك وقبيل

قد لُعنتم على لسان ابن داو   دَ وموسى حامل الإنجيل

وروي عن النوار بنت مالك زوج خولي ـ الذي أقبل برأس الإمام الحسين عليه السلام إلى الكوفة ليلاً، فلمّا وجد باب القصر مغلقاً أتى منزله فوضعه تحت إجانة فيه، وقد ذكرت النوار أنّها رأت نوراً يسطع مثل العمود من السماء إلى الإجانة، وطيوراً بيضاء ترفرف حولها[٤].

وإنّ الإبل التي غنموها من إبل الإمام الحسين عليه السلام حين طبخوها صار لحمها مرّاً مثل العلقم[٥].

وعلى الرغم من أنّ ابن كثير نقل معظم هذه الروايات بأسانيدها، فإنّه يعلّق على ذلك

---

(١) المحبّ الطبري، ذخائر العقبى: ص١٦٠.

(٢) ابن أبي الدنيا، كتاب الأشراف: ص٢٣٥. ابن كثير، البداية والنهاية: ج٨، ص٢٠٠.

(٣) الطبري، تاريخ الأُمم والملوك: ج٦، ص٢٥٥. ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٤٤١. ابن كثير، البداية والنهاية: ج٨، ص٢٠١.

(٤) الطبري، تاريخ الأُمم والملوك: ج٦، ص٢٤٧ ـ ص٢٤٨. ابن كثير، البداية والنهاية: ج٨، ص١٩٠.

(٥) ابن كثير، البداية والنهاية: ج٨، ص٢٠١.

بقوله: «**ولقد بالغ الشيعة في يوم عاشوراء، فوضعوا أحاديث كثيرة كذباً فاحشاً.. لا يصح منها شيء**»[١]. ولكنّه استدرك كلامه بالقول: «**وأمّا ما روي من الأحاديث والفتن التي أصابت مَن قتله فأكثرها صحيح، فإنّه قلّ مَن نجا من أولئك الذين قتلوه من آفة وعاهة في الدنيا، فلم يخرج منها حتى أُصيب بمرض، وأكثرهم أصابهم الجنون**»[٢].

وكلامه الأخير يوافق ما نقله البلاذري[٣] والطبري[٤] من مصادر مختلفة ورواة متفرِّقين عمّا أصاب كلّ مَن اعتدى على الإمام الحسين عليه السلام بمنع الماء، وتعمد إيذاءه بالعطش، أو سلب ما كان يرتديه من ملابس، بشتّى أنواع الآفات والعاهات والفقر. وهو اعتراف بإمكانية حصول بعض الظواهر غير المعتادة بسبب هذا الحادث الجليل. فضلاً عن أنّنا يمكننا أن نقطع بصحّة رواية إمطار السماء دماً التي وردت على لسان السيدة زينب عليها السلام عندما خطبت الكوفيين بعد قتل الإمام الحسين عليه السلام ـ وكما سيرد مفصلاً ـ والتي استنكرت أن يكون ذلك عجيباً بالقياس إلى عذاب الآخرة الذي ينتظر مَن أجرموا بحقّ أهل بيت النبوة[٥].

إنّما نقلته بعض الروايات الواردة التي حكت عنه النوّار يُستشّفُ في هذا الشأن كنوح الجن، وهاتفهم في المدينة بأبيات الشعر، أو تلك الطيور البيضاء التي حكت عنها النوّار والتي نستشف منها حالة الإحساس الشعبي الكثيف بالمأساة؛ إذ إنّ «**هذا الوقوع يصوّر الإحساس بالأثم، وبالرعب من فظاعة ما حدث... والإحساس الذي كان ينتاب أُناس ذلك العصر فيولّد لهم رؤى وأحداثاً هي ابنة الحالة التي كانوا يعيشونها ويعانون وطأتها،**

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) المصدر السابق: ج٨، ص٢٠١ ـ ٢٠٢.

(٣) يُنظر: البلاذري، أنساب الأشراف: ج٣، ص٣٨٩، ص٤٠٨.

(٤) الطبري، تاريخ الأُمم والملوك: ج٦، ص٢٢٠، ص٢٤٣، ص٢٤٤، ص٢٤٥، ص٢٤٧.

(٥) يُنظر: ابن أعثم، الفتوح: ج٥، ص١٢٢. الخوارزمي، مقتل الحسين عليه السلام: ج٢، ص٤٧. ابن طاووس، اللهوف: ص٩٥.

ولم يكن هذا الإحساس خاصّاً بالشيعة، وإنّما كان إحساساً عامّاً وصل إلى صميم النفس الإسلامية، وإلى لا وعيها، وقد تمّ التعبير عنه على شكل رؤى تجسد الحالة الشعبية»[١].

وعلى الرغم من أنّنا لا نشكّ لحظة في رواية نَوح الجنّ على الإمام الحسينعليه السلام لورودها في مصادر تأريخية معتبرة، وعلى لسان أُمّ سلمة زوج النبي محمدصلى الله عليه وآله ـ كما أسلفنا ـ فإنّ أحد الباحثين أراد أن يقلّل من شأن هذه الروايات، فقال بأنّه: قد يكون الشعراء أرادوا أن يبلغوا الغاية من الترميز والإثارة فراحوا يَعزون بعض أشعارهم إلى الجنّ، ويزعمون أنّهم يسمعون نشيجهم بها في ظلمات الليل[٢].

بل إنّنا وجدنا أنّ بعض الكتّاب المصريين قد ردد ما ذكره ابن كثير، وعدّوا كلّ ما روي في هذا المجال في المصادر المتنوعة هو خرافات وأساطير صنعها غلاة الشيعة، فالرسولصلى الله عليه وآله مات ولم نسمع عن كسوف الشمس أو أنّ الأرض أظلمت، ولم نسمع بهذه الأشياء عند مقتل الإمام أمير المؤمنين عليعليه السلام والإمام الحسنعليه السلام كما يقول وحيد عبد الحكيم الجمل[٣]. أو مَن قُتل في حرب مسيلمة الكذّاب، وكشهداء أُحد، والذين قُتلوا في بئر معونة، وكقتل عثمان وقتل أمير المؤمنين الإمام عليعليه السلام كما ذكر شاهين[٤] معتمداً على ابن تيمية في ذلك[٥]، وما تقدَّم من قول ابن كثير، ومعتبراً أنّ قولهما هو الفصل في هذه القضية، فالإمام الحسينعليه السلام لا يحتاج إلى مثل هذه الخرافات ـ كما يزعمون ـ التي لا تزيده شرفاً، فضلاً عن أنّ عدم وقوعها لا ينقص من قدره ومقامه، كما يقول باحث آخر[٦]. وهذه الآراء تنكر أن يكون ذلك خصيصة أو فضيلة للإمام لحسينعليه السلام، كما يراها باحث

---

(١) زراقط، عبد المجيد، دراسات في التراث الأدبي، ط بيروت، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م: ص٧١.

(٢) غنيم، الثورات العلوية: ص٢٠٦.

(٣) وحيد عبد الحكيم، سيرة الحسين: ص٩٩.

(٤) شاهين، الدولة الأُمويّة المفترى عليها: ص٣٢٦.

(٥) ابن تيمية، منهاج السنة: ج٢، ص٢٤٩ ـ ٢٥٠.

(٦) يوسف، سيد شباب أهل الجنة: ص٤٤٧ ـ ٤٤٩. الجمل، سيرة الحسين: ص١٠٠.

مصري ثالث[١].

ويرى آخر أنّ (غلو الشيعة في الأخبار عن مقتل الحسين) الذي جعله عنواناً لفصل في كتابه شمل أُموراً أُخرى علاوة على ما أورده من رواية الزهري: ببكاء السماء دماً، وانكساف الشمس ونوح الجنّ... إلخ، فالشيعة في نظره غالوا عندما ذكروا أنّ يزيد كتب لعبيد الله بن زياد يأمره بقتل الإمام الحسين عليه السلام، وغالوا في عدد الجيش الخارج لملاقاته[٢].

وممّا يُردّ به على هذا الكاتب أنّ ابن شهاب الزهري الذي ورد عنه بعض هذه الظواهر[٣]، لا يُعدّ في الشيعة وكان حضياً عند الأُمويين، بل كان كاتباً لواليهم على العراق، فهو ضمن منظومة السلطة الأُموية التي كانت لا تقدِّم عليه أحداً حتى توفّي، وعلى امتداد ما كتبه من سيرة النبي صلى الله عليه وآله ومغازيه لا تجد للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ذكراً إلّا حين لا ينطوي ذكره على فضيلة تميِّزه على غيره[٤]، أمّا المغالاة في تحميل يزيد مسؤولية قتل الإمام الحسين عليه السلام، فقد أوضحنا فيما تقدَّم توجيهات يزيد بهذا الخصوص، وفي المغالاة بتعداد الجيش الذي خرج لحرب الإمام الحسين عليه السلام، فيجب التنبيه إلى أنّ المصادر التاريخية الموثوقة لم تزد عدد الذين وصلوا لملاقاة الإمام الحسين عليه السلام فعلاً على ١٢ ألف[٥] بما فيهم من تسرَّب فارّاً أو الحشد الآخر الذي عسكر في النخيلة، فهو لا يعدو سوى تحسبٍ من ابن زياد لأي طارئ، ولم يصل إلى ساحة النزال، لأنّ جيش عمر بن سعد قد كفاهم مؤونة ذلك.

---

(١) يُنظر: صبيح، محمود السيد، أخطاء ابن تيمية في حقّ رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته، ط مصر، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م: ص١٢٠ ـ ١٢١.

(٢) رضا، الحسن والحسين: ص١٠٦.

(٣) يُنظر: البلاذري، أنساب الأشراف: ج٣، ص٤٢٥. المحب الطبري، ذخائر العقبى: ص١٦٠.

(٤) يُنظر: الصنعاني، عبد الرزاق بن همام (ت٢١١هـ/٨٢٦م)، المصنف، تحقيق: حبيب عبد الرحمن الأعظمي، ط بيروت، بلا.ت: ج٥، ص٣١٣ ـ ص٤٣٩. عبد الحميد، تاريخ الإسلام: ص٨٦.

(٥) يُنظر: البلاذري، أنساب الأشراف: ج٣، ص٣٨٧. الدينوري، الأخبار الطوال: ص٢٥٤ ـ ٢٥٥.

شبهة: إنكار الأخبار الواردة بسبي أهل بيت الإمام الحسين عليه السلام بعد استشهاده

وقد كذّب ابن تيمية قضية سبي أهل البيت عليهم السلام وحملهم على الجمال، ووصف القائلين بذلك ممَّن لا عقل لهم، وأضاف «... **ولا سبى أهل البيت أحد، ولا سُبي منهن أحد**»[1].

وذكر في منهاج السنة: «**وأمّا ما ذُكر من سبي نسائه والدوران بهم في البلدان، وحملهم على الجمال بغير أقتاب، فهذا كذب وباطل ما سبى المسلمون ولله الحمد هاشمية قط، ولا استَحلّت أُمّة محمد صلى الله عليه وآله سبي بني هاشم قط، ولكن أهل الهوى والجهل يكذبون كثيراً**»[2].

ثمَّ استأنف كلامه بلا دليل علمي، فقال: «... **وفي الجملة، فما يعرف في الإسلام أنّ المسلمين سبوا امرأة يعرفون أنّها هاشمية، ولا سبي عيال الحسين، بل لمّا دخلوا دار يزيد قامت النياحة في بيته، وأكرمهم وخيّرهم بين المقام عنده والذهاب إلى المدينة، فاختاروا الرجوع إلى المدينة، ولا طيف برأس الحسين، وهذه الحوادث فيها من الكذب ما ليس هذا موضع بسطه**»[3].

---

(١) ابن تيمية، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم (ت٧٢٨هـ/١٣٢٧م)، رأس الحسين، تحقيق ودراسة: السيد الجميلي، ط٢، بيروت، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م: ص٢٠٨.

(٢) ابن تيمية، منهاج السنّة: ج٢، ص٢٤٩.

(٣) المصدر نفسه: ج٢، ص٢٤٩.

ويتّضح نفي ابن تيمية لقضية السبي بلا أيّ دليل علمي، مع أنّه اعترف بوصول أهل بيت الإمام الحسين عليه السلام إلى الشام ودخولهم على يزيد، فلأي غرض كان هذا الذهاب؟ ولأي غاية؟ إذا لم يكن سبياً وتنكيلاً بأهل بيت النبوّة!

إنّ تكذيب ابن تيمية لخبر السبي هو تكذيب جريء بما نقله أوثق المؤرِّخين ـ بنظره ـ الذين أرَّخوا لهذا الحدث، كابن سعد، والزبير بن بكار، وابن أبي الدنيا الذين اعتمد عليهم ابن تيمية حين أراد أن يُثبت أنّ رأس الإمام الحسين عليه السلام لم يُنقل إلى القاهرة ولا إلى عسقلان، وجعلهم أعلم وأصدق من غيرهم؛ لأنّهم لا يذكرون نقل الرأس الشريف إلى القاهرة أو عسقلان![1] ولكنّهم جميعاً قد أثبتوا سبي أهل البيت عليهم السلام، ونهبهم وحملهم إلى الكوفة، ثمَّ من هناك إلى يزيد في الشام، ومعهم رأس الإمام الحسين عليه السلام، واثبتوا قصّة يزيد مع الرأس الشريف ونكتِهِ بالقضيب، وتمثّله بالشِعر، وقد نقله عنهم ابن الجوزي[2]. فلأي سبب جاز له أن يُكذّب من وثّقهم في قضيّة دون قضية؟

وقد توافق شاهين مع ابن تيمية في هذا التكذيب، ونقل رأي الأخير ورجّح أنّ ابن زياد بعد أن ذهبت عنه نشوة النصر أحسّ فداحة خطئه، وكان ذلك الشعور هو المسيطر على بعض أفراد أُسرته. ونقل هدم عبيد الله بن زياد دار رجل قَتَل ولدين لعبد الله بن جعفر كانا ممَّن اشتركا في الطف، ولجئا إليه خوفاً من بطش ابن زياد[3].

لكن ممّا نلاحظه أنّ الراوي الذي روى فعل ابن زياد بذلك الرجل هو نفس الراوي الذي ذكر إرسال رأس الإمام الحسين عليه السلام إلى يزيد ونكثه بالقضيب[4]، فلماذا تخيّر شاهين

---

(١) يُنظر: ابن تيمية، رأس الحسين: ص١٩٧ ـ ١٩٨.

(٢) ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت٥٩٧هـ/١٢٠٠م)، الرد على المتعصب العنيد، تحقيق: محمد كاظم المحمودي، (د.م)، ١٤٠٣هـ/١٩٨٢م: ص٤٥ ـ ٤٧. عبد الحميد، تاريخ الإسلام: ص٦٧٠ ـ ٦٧١.

(٣) شاهين، الدولة الأُمويّة المفترى عليها، ص٣٢٢ ـ ٣٢٣.

(٤) يُنظر: البلاذري، أنساب الأشراف: ج٣، ص٤٢٤.

خبراً وترك آخر؟!

وبنفس هذا اللون من التعصّب كذّب ابن تيمية وشاهين ما روي عن نكت يزيد لثنايا الإمام الحسين عليه السلام، واعتراض أبو برزة الأسلمي على ذلك، فقال ابن تيمية: «**ففي الحديث ما يدلّ على أنّه كذب، فإنّ الذين حضروا نكتَه بالقضيب من الصحابة لم يكونوا بالشام، وإنّما كانوا بالعراق، والذي نقله غير واحد أنّ يزيد لم يأمر بقتل الحسين، ولا كان له غرض في ذلك، بل كان يختار أن يُكرمه ويُعظمه**»(١).

أمّا شاهين، فأضاف بعد أن نقل رأي ابن تيمية: «**وليس معقولاً أن يتكرر هذا الحدث في العراق والشام معاً، أو أن يحدث في مجلس ابن زياد، ثمَّ يتكرر مثله تماماً في مجلس يزيد، ولكن الرواة استغلّوا ذلك ليشوّهوا صورة الرجلين معاً، وليزيدوا السخط على بني أُمية**»(٢).

وممّا يُردّ به على رأي ابن تيمية أنّ المصادر لم تصرّح بنفي وجود أبو برزة في هذا الوقت في بلاد الشام، وإن ذكرت مصادر ترجمته أنّه من سكنة البصرة(٣)، فما المانع أن يكون في هذا الوقت في بلاد الشام لأي حاجة؟ لاسيما وأنّنا لا نملك ما يثبت وجوده في الكوفة، أو نفي ذهابه إلى بلاد الشام.

أمّا شاهين، فقد انساق وراء غرضه من كتابه في نفي أيّ اتّهام موجّه لبني أُمية، فسعى جاهداً لتكذيب أيّ رواية تمسّ سيرتهم، فلا عجب أن ينفي تكرار اعتراض الصحابة ـ زيد بن أرقم في العراق، وأبو برزة الأسلمي في الشام ـ على نكت ثنايا الإمام الحسين عليه السلام، بل ينفي وجود معترضٍ من الأصل، فيقول: «**وأصل هذه الرواية الذي زيد عليه... أتى**

---

(١) ابن تيمية، منهاج السنة: ج٢، ص٢٤٩.

(٢) شاهين، الدولة الأُمويّة المفترى عليها: ص٣٢١.

(٣) ابن عبد البر، الاستيعاب: ج٤، ص٢٤. ابن الأثير، أُسد الغابة: ج٥، ص١٤٧. ابن حجر، الإصابة: ج٣، ص٥٥٧.

عبيد الله بن زياد برأس الحسين، فجُعل في طست، فجعل ينكت، وقال في حسنه شيئاً، فقال أنس: كان أشبههم برسول الله صلى الله عليه وآله، وكان مخضوباً بالوسمة[١]. فالتقط الرواة هذا القدر لينسجوا منه هذه القصّة، وليمزجوها بالخيال الخصب والعاطفة الحزنى»[٢].

لقد انبرت السيدة زينب عليها السلام لتفضح يزيد، ولتثبت في خطبتها في مجلسه في بلاد الشام عدّة وقائع تاريخية حاول البعض أن يخفوها من كتبهم أو يكذّبوها، كما فعل ابن تيمية، إذ خطبت فقالت:

«الحمد لله ربّ العالمين، والسلام على سيد المرسلين، صدق الله تعالى إذ يقول: ﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوءَى أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُون﴾[٣] أظننت يا يزيد، حين أخذت علينا أقطار الأرض وآفاق السماء، وأصبحنا نساق كما تُساق الأُسارى، أنَّ بنا على الله هواناً، وبك عليه كرامة؟ وأنّ ذلك لعظم خطرك عنده، فشمخت بأنفك، ونظرت في عطفك جذلان مسروراً، حين رأيت الدنيا لك مستوسقة، والأُمور متّسقة، وحين صفا لك ملكنا وسلطاننا، فمهلاً مهلاً! أنسيت قول الله تعالى ﴿ ثُمَّ كَانَ عَـٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَـٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ ﴾[٤] أمن العدل يا بن الطلقاء تخديرك حرائرك وإماءك، وسوقك بنات رسول الله سبايا؟! قد هتكت ستورهن، وأبديت وجوههن، يُحدى بهن من بلد إلى بلد، ويستشرفهن أهلُ المناهل والمناقل، ويتصفّح وجوههن القريب والبعيد، والدني والشريف، ليس معهن من رجالهن وليّ، ولا من حماتهن حميّ، وكيف تُرجى المراقبة ممَّن لفظ فوه أكباد السعداء، ونبت لحمه بدماء الشهداء؟

---

(١) البخاري، صحيح البخاري: ص٦٦٥. الترمذي، الجامع الصحيح: ص٩٩٠. ابن تيمية، منهاج السنة: ج٢، ص٢٤٨.

(٢) شاهين، الدولة الأُمويّة المفترى عليها: ص٣٢١.

(٣) الروم: الآية١٠.

(٤) آل عمران: الآية١٧٨.

وكيف يستبطأ في بغضنا أهل البيت مَن نظر إلينا بالشنف والشنئان والإحن والأضغان؟ ثمَّ يقول غير متأثم ولا مستعظم:

لأهلّوا واستهلّوا فرحاً ثمَّ قالوا يا يزيد لا تشل

منحنياً على ثنايا أبي عبد الله تنكتها بمخصرتك، وكيف لا تقول ذلك، وقد نكأت القرحة، واستأصلت الشأفة بإراقتك دماء ذرّية آل محمد، ونجوم الأرض من آل عبد المطلب؟ أتهتف بأشياخك؟ زعمت تناديهم، فلتردن وشيكاً موردهم، ولتودن أنّك شللت وبكمت، ولم تكن قلت ما قلت، اللّهم خذ بحقّنا، وانتقم ممَّن ظلمنا، واحلل غضبك بمَن سفك دماءنا، وقتل حماتنا، فوالله ما فريت إلّا جلدك، ولا جزرت إلّا لحمك، ولتردّن على رسول الله بما تحمّلت من سفك دماء ذريته، وانتهاك حرمته في لحمته وعترته، وليخاصمنّك حيث يجمع الله تعالى شملهم، ويلمّ شعثهم، ويأخذ لهم بحقهم، ﴿ وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ ﴾[1]، فحسبك بالله حاكماً، وبمحمد خصماً، وبجبرئيل ظهيراً، وسيعلم مَن سوَّل لك ومكّنك من رقاب المسلمين، أن بئس للظالمين بدلاً، وأيكم شرّ مكاناً وأضعف جنداً، ولئن جرت عليّ الدواهي مخاطبتك، فإنّي لأستصغر قدرك، واستعظم تقريعك، واستكبر توبيخك، لكن العيون عبرى، والصدور حرّى، ألا فالعجب كلّ العجب لقتل حزب الله النجباء، بحزب الشيطان الطلقاء، فتلك الأيدي تنطف من دمائنا، وتلك الأفواه تتحلّب من لحومنا، وتلك الجثث الطواهر الزواكي تنتابها العواسل، وتعفوها الذئاب، وتؤمها الفراعل، فلئن اتخذتنا مغنماً، لتجدنا وشيكاً مغرماً، حين لا تجد إلّا ما قدمت يداك، وأنّ الله ليس بظلاّم للعبيد، فإلى الله المشتكى، وعليه المعول، فكد كيدك، واسعَ سعيك، وناصب جهدك، والله لا تمحو ذكرنا، ولا تميت وحينا، ولا تدرك أمدنا، ولا ترحض عنك عارها، ولا تغيب منك شنارها، فهل

(١) آل عمران: الآية١٦٩.

رأيك إلّا فند، وأيامك إلّا عدد، وشملك إلّا بدد؟ يوم ينادي المنادي: ألا لعنة الله على الظالمين، فالحمد لله الذي ختم لأولنا بالسعادة والرحمة، ولآخرنا بالشهادة والمغفرة، وأسأل الله أن يكمل لهم الثواب ويوجب لهم المزيد وحسن المآب، ويختم بنا الشرافة أنّه رحيم ودود، وحسبنا الله ونعم الوكيل، نعم المولى ونعم النصير»(١)، وليس هناك مِن ردٍّ أبلغ مِن هذه الخطبة التي تحدثت بها السيدة زينب عليها السلام عن وقائع تاريخية عاصرتها بنفسها، تدحض أقوال الذين حاولوا الدفاع عن الدولة الأُموية وعن يزيد وطغمته.

---

(١) الخوارزمي، مقتل الحسين عليه السلام: ج٢، ص٧١ ـ ص٧٤. ابن حمدون، التذكرة: ج١، ص٢٦٢ ـ ص٢٦٤. ابن طاووس، اللهوف: ص١١٦ ـ ص١١٩.

شبهة: عدم إرسال رأس الإمام الحسين عليه السلام إلى يزيد في الشام

أجمعت أغلب المرويات التاريخية إرسال رأس الإمام الحسين عليه السلام مع سبايا أهل البيت عليهم السلام إلى يزيد في بلاد الشام، وقد اكتنف الغموض مصير الرأس الشريف بعد ذلك، فذكرت وفقاً لذلك عدّة مواضع على أنّها مقرّات دُفن فيها، منها: كربلاء[1]، والنجف[2]، والمدينة المنورة[3]، ومرو[4]، والرقّة[5]، وحلب[6]، ودمشق. وتؤكّد بعض الروايات أنّ الرأس لم يغادر دمشق بعد مقدمه إليها، وأنّه وضع في خزائن السلاح حتى عهد سليمان بن عبد

---

(١) البيروني، الآثار الباقية: ص٣٢١. سبط بن الجوزي، تذكرة الخواص: ج٢، ص٢٠٦.

(٢) ابن قولويه، كامل الزيارات: ص٣٦ ـ ٣٧.

(٣) الخوارزمي، مقتل الحسين عليه السلام: ج٢، ص٨٣.

(٤) مدينة بفارس معروفة، وهما مدينتان: مرو الروذ، ومرو الشاهجان، وبينهما خمسة أيام، والشاهجان هي مرو العظمى أشهر مدن خراسان وقصبتها. البكري، معجم ما استعجم: ج٤، ص١٢١٦. ياقوت، معجم البلدان: ج٥، ص١١٢، وقد ذكر المقدسي أنّ فيها مشهداً لرأس الإمام الحسين عليه السلام، أحسن التقاسيم: ص٥٢. محمد، مساجد مصر: ج١، ص٣٦٧.

(٥) مدينة مشهورة على الفرات بينها وبين حرّان ثلاثة أيام. ياقوت، معجم البلدان: ج٣، ص٥٨ ـ ص٥٩. وقد أورد سبط بن الجوزي رواية تذكر إرسال يزيد لرأس الحسين عليه السلام إليها، وأنّه دفن فيها، تذكرة الخواص: ج٢، ص٢٠٨.

(٦) مدينة عظيمة واسعة كثيرة الخيرات، طيبة الهواء، صحيحة الأديم والماء، وهي قصبة جند قنسرين في بلاد الشام. ياقوت، معجم البلدان: ج٢، ص٢٨٢، وقد قيل: أنّ رأس الإمام الحسين عليه السلام دفن بها. ابن تيمية، رأس الحسين: ص١٩٨.

الملك الذي صلّى عليه، ودفنه في مقابر المسلمين[1]. وذكر أنّ هناك مشهداً كبيراً في المسجد الأُموي كان فيه رأس الإمام الحسين بن علي عليه السلام[2]، ولا زال هذا المشهد معروفاً حتى يومنا هذا في المسجد الأُموي بدمشق.

وفي رواية أُخرى أنّ يزيد دفن الرأس الشريف في قبر أبيه معاوية[3]، وقد نفى ابن تيمية روايات دفن الرأس في دمشق، قائلاً: [إنّ ذلك] «**قول لا أصل له**»[4]، بل نفى نفياً قاطعاً وصول الرأس الشريف إلى يزيد في بلاد الشام، قائلاً: «**إنّ نقل رأس الحسين إلى الشام لا أصل له في زمن يزيد**»[5].

إنّ محاولة ابن تيمية هذه هي محاولة لتبرأة يزيد من الممارسات التي قام بها تجاه رأس الإمام الحسين عليه السلام، وحصر هذه الممارسات بعبيد الله بن زياد في الكوفة فحسب[6]. والواقع أنّ ابن تيمية انفرد بهذه الرؤية، وقد اضطرّ تلميذه ابن كثير إلى رفض رأيه عندما تناول قضية رأس الإمام الحسين عليه السلام، وتبنّى رأياً مغايراً[7] رغم حرصه على عدم نقل أيّ من المرويات التي يُتّهم أصحابها بالتشيّع.

إنّ الموقف الذي اتّخذه ابن كثير وهو أكثر المؤرّخين تعصباً لابن تيمية وأفكاره ربما

---

(١) الخوارزمي، رأس الحسين: ج٢، ص٨٣. ابن حجر، الصواعق المحرقة: ص٣٠٨.

(٢) البلاذري، أنساب الأشراف: ج٣، ص٤١٦. ابن جبير، اعتبار الناسك: ص٢١٨. سبط بن الجوزي، تذكرة الخواص: ج٢، ص٢٠٧ ـ ٢٠٨.

(٣) يُنظر: سبط بن الجوزي، مرآة الزمان: ص١٠٢. أمير جواد كاظم، الحائر الحسيني دراسة تاريخية (ت٦١هـ/٦٥٦م ـ ٦٨٠هـ/١٢٥٨م)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الكوفة، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م: ص٣٤.

(٤) ابن تيمية، رأس الحسين: ص١٩٨.

(٥) المصدر نفسه: ص٢٠٧.

(٦) ابن تيمية، رأس الحسين: ص٢٠٦.

(٧) وممّا قاله ابن كثير في هذا المجال: «فالمشهور عند أهل التاريخ وأهل السير أنّه بعث به ابن زياد إلى يزيد بن معاوية، ومن الناس مَن أنكر ذلك. وعندي أن الأول أشهر». البداية والنهاية: ج٨، ص٢٠٤.

يعود لإدراكه مدى ضعف الوعي التاريخي لدى أُستاذه، وهو ما يجعل ابن تيمية جريئاً في إنكار الحوادث التاريخية المتّفق عليها في ردوده على مخالفيه العقائديين ـ وبدون سند علمي ـ الأمر الذي يسبب حرجاً بالغاً لتلامذته، وقد اضطرّ ابن كثير إلى عدم التصريح باسم ابن تيمية ـ عند استعراضه لرأيه ـ بإنكار إرسال الرأس الشريف إلى يزيد ربما خجلاً من هذا الرأي(١).

ومن المواضع التي ذُكرت لدفن الرأس الشريف:

* **عسقلان**(٢): إذ روي أنّ جماعة حضروا دخول الرؤوس على يزيد، وكان بحضرته جماعة من أهل عسقلان، فسألوه أن يُدفن عندهم، فسلَّمه إليهم فدفنوه بمدينتهم، وبنوا عليه مشهداً يُزار يعرف بمشهد الرأس(٣).

ويؤكّد سبط ابن الجوزي(٤): أن الرأس الشريف نقل من دمشق إلى عسقلان، وأشار المقريزي إلى مكوثه في عسقلان(٥)، فيما علّق ابن تيمية على هذا القول: «**بل نعلم ونجزم بأنّه ليس رأس الحسين، ولا كان ذلك المشهد العسقلاني مشهداً للحسين**»(٦)، ورجّح أن يكون قبراً نصرانياً لبعض النصارى أو بعض الحواريين(٧)، ويندرج ذلك في محاولات ابن تيمية الدفاع عن يزيد أو عدم القبول بوصول الرأس الشريف إلى دمشق؛ لأنّ الإقرار بوجوده في عسقلان يعني وصوله إلى يزيد في دمشق، وهو ما نفاه أصلاً.

---

(١) صبري، رأس الحسين: ص١٨.

(٢) مدينة بالشام من أعمال فلسطين، ويقال لها: عروس الشام، وكان يرابط بها المسلمون لحراسة الثغر منها. ابن عبد الحقّ، مراصد الاطّلاع: ج٢، ص٩٤٠.

(٣) ابن العمراني، محمد بن علي بن محمد (ت٥٨٠هـ/١١٨٤م)، الأنباء في تاريخ الخلفاء، تحقيق: قاسم السامرائي، ط ليدن، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م: ص٥٤.

(٤) سبط ابن الجوزي، تذكرة الخواص: ج٢، ص٢٠٩.

(٥) يُنظر: المقريزي، المواعظ والاعتبار: ج١، ص٤٢٧.

(٦) ابن تيمية، رأس الحسين: ص١٩٤.

(٧) المصدر نفسه: ص١٩٠.

* **القاهرة**: روي أنّ الفرنجة عندما استولوا على عسقلان افتدى الفاطميون رأس الإمام الحسين عليه السلام بمال جزيل، وجيء به إلى القاهرة سنة ٥٤٨هـ/ ١١٥٣م فدفن في الموضع المعروف فيه الآن[١]، وعن هذا الموضع يقول ابن جبير: «**وشاهدنا من استلام الناس للقبر المبارك، وأحداثهم به وانكبابهم عليه، وتمسّحهم بالكسوة التي عليه وطوافهم حوله مزدحمين باكين متوسّلين إلى الله (سبحانه وتعالى) ببركة التربة المقدّسة، ومتضرّعين ما يذيب الأكباد، والأمر فيه أعظم، ومرأى الأحوال أهول، نفعنا الله ببركة ذلك المشهد الكريم.. قدس الله العضو الكريم الذي فيه منّه وكرمه**»[٢].

ويؤكّد ابن جبير أنّ الذي بمدينة القاهرة هو «**رأس الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما، وهو في تابوت فضّة مدفون تحت الأرض**»[٣].

وقد شاهدتُ هذا الموضع عند زيارتي لمدينة القاهرة لسنة ٢٠٠٥م، وفيه مشهد عظيم يؤمّه ويزوره الآلاف ويتبرّكون به.

وقد أنكر ابن كثير وجود الرأس في القاهرة، واتّهم الفاطميين بأنّهم افتروا ذلك لأنّهم «**أرادوا ان يروّجوا بذلك بطلان ما ادعوه من النسب الشريف، وهم في ذلك كَذَبة خَوَنة**»[٤]. والواقع أنّ وجود الرأس الشريف في القاهرة لا علاقة له بنسب الفاطميين بأي حال من الأحوال، وحتى لو كان يمنحهم بعض الشرعية، فقد كان الأولى أن يقوموا بنقله

---

(١) ابن الوردي، زين الدين عمر بن مظفر (ت٧٤٩هـ/١٣٤٨م)، تاريخ ابن الوردي، ط بيروت، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م: ج١، ص١٦٥. المقريزي، المواعظ والاعتبار: ج١، ص٤٢٧. القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي (ت٨٢١هـ/١٤١٨م)، صبح الأعشى في صناعة الانشا، ط القاهرة، ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م: ج٣، ص٣٤٧.

(٢) ابن جبير، اعتبار الناسك: ص١٩.

(٣) ابن جبير، أبو الحسين محمد بن أحمد البلنسي (ت٦١٤هـ/١٢١٧م)، تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار (رحلة ابن جبير)، ط مصر، (بلا.ت): ص٤٨.

(٤) ابن كثير، البداية والنهاية: ج٨، ص٢٠٤.

في أيام المستنصر الفاطمي (٤٢٧هـ/ ١٠٣٥م ـ ٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م) عقب اكتشافهم المرقد مباشرة، وليس في أواخر دولتهم، وفي أضعف أيامها وأكثرها خوفاً من وقوعها في يد الصليبيين، ولو كان ثمَّة شرعية تتحقق بوجود رأس الإمام الحسين عليه السلام بالقاهرة كما يردد ابن كثير لعمل الفاطميين على نقل جسد الإمام الحسين عليه السلام من كربلاء عندما وقعت العراق كلّها تحت الحكم الفاطمي لمدّة عام كامل[1].

وابن كثير في نفيه هذا ينسجم مع أُستاذه ابن تيمية الذي ذكر أنّ مشهد الإمام الحسين عليه السلام في القاهرة الذي يُدّعى فيه رأس الإمام الحسين عليه السلام ما هو إلّا كذب واختلاق وإفك وبهتان[2].

وقد كان ابن تيمية في محاولاته لإنكار وجود الرأس بالقاهرة واقعاً تحت ضغط عدائه المذهبي للفاطميين (الشيعة) من جهة، وللصوفية (السنّة) من جهة أُخرى، ولم تكن محاولته هذه بعيدة عن سعيه لتحجيم سيطرة تيارات الصوفية على الواقع الديني في مصر، وبالتالي؛ فالإمام الحسين عليه السلام ذاته كشخصية تاريخية كان بالنسبة إليه وسيلة للخصوم في مواجهته[3].

وممّا يشار إليه في هذا المجال أنّ هناك عدداً من الكتّاب المصريين الذين شاطروا أحمد صبري في دفاعه عن وجود رأس الحسين عليه السلام في المشهد القاهري. ومنهم: أبو كف[4] الذي ذكر سبعة مواضع لرأس الإمام الحسين عليه السلام مغفِلاً موضعي النجف الأشرف وحلب، ومرجحاً وجوده في القاهرة. ومرغي[5] الذي ذكر ستّة مواضع لرأس الإمام الحسين عليه السلام

---

(١) صبري، رأس الحسين: ص٣٤ ـ ص٣٥. ويُنظر ـ بقاء الفاطميين في العراق لمدّة عام ـ: المقريزي، المواعظ والاعتبار: ج١، ص٣٥٦.

(٢) ابن تيمية، رأس الحسين، ص٢١٥.

(٣) صبري، رأس الحسين، ص٣٦.

(٤) أبو كف، آل بيت النبي: ص٣٤ ـ ٣٨.

(٥) مرغي، الشيعة في مصر، ص١٤٧ ـ ١٥٦.

ولم يذكر حلب ومرو والنجف الأشرف، ورجّح وجوده في القاهرة. ورجّح بعضهم(١) الدفن في عسقلان، ومن ثَمَّ نقل الرأس إلى القاهرة من قبل الفاطميين من دون الإشارة إلى الروايات التي تذكر وجوده في مناطق أُخرى. وذكر مثل هذه الروايات قسم من هؤلاء الكتّاب المصريين من دون أن يقطعوا بوجوده في موضعه بالقاهرة، مؤكدين أنّه أينما يكون فهو في كلّ موضع أهل للتشريف والتكريم، قد سكن القلوب والضمائر(٢).

وتزمَّت آخرون في إثبات وجوده وآثار بركته في القاهرة، فقال صبيح: «**ومهما قال ابن تيمية وأتباعه وأذنابه عن عدم وجود الرأس الشريفة في مصر، فلن يثنوا أحباب أهل البيت من زيارته وإثبات بركته**»(٣).

وذكر آخر بعد أن استعرض مواضع الدفن في المدينة المنورة، ودمشق، وكربلاء، والقاهرة أنّه «**مهما كان وكيف يكون، فإنّ في مشهده القاهري، إنّما تطلّ علينا روحه الشريفة، فتبعث فينا من الروحانية ما الله أعلم به**»(٤).

وقد يكون هذا التعلّق بمشهد الإمام الحسين عليه السلام أينما يكون ـ ولاسيما في القاهرة ـ خطيراً في نظر بعض التيّارات، وخاصّة التيّارات السلفية التي كانت «**سبّاقة في إدراكها لمدى خطورة ارتباط الجمهور المسلم بالحسين، فسعت إلى التشكيك في وجود رأسه سواء في مصر أو العالم، كما سعت بقوّة خاصّة بعد قيام الثورة الإيرانية إلى نشر عشوائي للعديد من الفتاوى ـ القديمة والحديثة ـ التي تحرّم زيارة مرقده سواء في مصر أو كربلاء، خوفاً من**

---

(١) حسن، زعماء الإسلام: ص٢٠٧. شلبي، الدولة الأُمويّة: ج٤٠، ق٥، ص٣٣ ـ ٣٤. عبد العليم، سيدنا الإمام الحسين: ص١٤٦ ـ ص١٥٢. عويس، شهيد كربلاء: ص٢٣٩، ماجد، التاريخ السياسي: ج٢، ص٧٨. كريم، أعلام في التاريخ الإسلامي: ص٨٣.

(٢) أبو علم، الحسين بن علي: ص١٧٠ ـ ص١٧٢. منصور، الشقيقان: ص١٠٩. العقّاد، أبو الشهداء: ص٢٦٠ ـ ٢٦٢.

(٣) صبيح، خصوصية وبشرية النبي: ص٢٨٣.

(٤) محمد، أهل البيت في مصر: ص٧٧.

استغلال أيّ من التيارات الثورية لهذا الارتباط للقيام بحالة توعية دينية واجتماعية تهدد سيطرتها على الواقع الديني في العالم الإسلامي»(١).

ويدرُّ مشهد رأس الإمام الحسين عليه السلام في القاهرة على الحكومة المصرية موارد لا يُستهان بها كموقع أثري وسياحي، ولذلك فقد رُفضت دراسةٌ تقدَّم بها أحد الباحثين للأزهر الشريف، أراد فيها إثبات عدم وصول الرأس إلى القاهرة، وعُنِّف هذا الباحث؛ لأنّه يضرّ بمصالح البلاد الاقتصادية التي يشكّل مشهد رأس الإمام الحسين عليه السلام القاهري أحد مصادرها(٢).

وقد تبنّى الكاتب المصري محمود إسماعيل عبد الرزاق هذا الرأي القاضي بعدم وجود رأس الإمام الحسين عليه السلام في القاهرة، واقتنع فيه متأثّراً بتلك الدراسة، التي لم يفصح عن اسم صاحبها أثناء مقابلة له معنا أثناء لقائنا به مصر عام ٢٠٠٥م(٣).

وخلاصة القول: إنّ عظمة الإمام الحسين عليه السلام والعمل الذي قام به هو الذي أدى إلى ادّعاء هذه الأماكن؛ لتحضى بشرف ضمِّ رأس الإمام الحسين عليه السلام، ولعل من الحكمة الإلهية أن يضيع موقع الرأس بين هذا العدد من الأماكن، وأماكن أُخرى مرّ بها الرأس أو ادُّعي أنّ قطرة من دمه سقطت فيها، فبُنيت عليه المشاهد(٤) لينتشر خبر الإثم الذي ارتكبه يزيد، ولا يبقى لَمن يحاول تبرئته من ذلك العمل الفضيع حجّة، ومهما يكن من اختلاف

---

(١) صبري، رأس الحسين: ص١٣ ـ ١٤.

(٢) مقابلة شخصية مع الدكتور محمود إسماعيل عبد الرزاق، في داره بالمنصورة، مصر، ١٣ مايس، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

(٣) مقابلة شخصية معه في داره بالمنصورة، مصر، ١٣ مايس، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

(٤) نصر الله، إبراهيم، آثار آل محمد صلى الله عليه وآله في حلب، ط حلب، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م: ص٣٦ ـ ص٥١، أنّ هناك مساجد ومشاهد ادّعت شرف بقاء الرأس الشريف فيها أو سقوط قطرات من دمه الزكي على أرضها فأُنشأت تبرّكاً بذلك في الموصل ونصيبين، وبالسن، وحماة، وحمص. ويُنظر: النصراوي، رأس الحسين: ص٢٦ ـ ٢٧.

أماكن الدفن، فإنّ الأثر الباقي لرأس الإمام الحسين عليه السلام هو في الضمائر والقلوب لأنّه **«بكل ما مثله من صمود وعظمة وتضحية لم يعد ملكاً للحسين، ولا ملكاً لجسده.. بل صار ملكاً للبشرية الراشدة في كلّ زمان ومكان، صار ملكاً للحقّ، يرفعه في أوديته العامرة والثائرة لواءً، وقدوة، ويملأ بسناه إرادة الحياة عزماً، وضميرها نوراً»**[1].

وقد عبّر الكاتب المسرحي المصري عبد الرحمن الشرقاوي عن ذلك الأثر المعنوي تعبيراً شفّافاً، فقال[2]:

لا تطلبوا رأس الحسين بشرق أرضٍ أو بغربِ...
فـــــــالرأس مثـــــــواه بقلبـــــــي...
رأس الحســـــين هنـــــا بقلبـــــي..

---

(١) خالد، أبناء الرسول في كربلاء: ص١٦٩.

(٢) الشرقاوي، عبد الرحمن، الحسين شهيداً: ص١٧٦.

شبهة: إنّ الثورة تؤدّي إلى الفتنة

(وطاعة الحاكم وإن كان ظالماً واجبة) وأنّ الإمام الحسين عليه السلام تأوّل في الخروج والثورة، وقد قاتَلهُ يزيد تنفيذاً لأوامر الرسول صلى الله عليه وآله المحذِّرة من الفتن التي تهدد أمن المجتمع

وصاحب هذه الشبهة القاضي ابن العربي الذي كتب عن الظرف الذي أحاط بالإمام الحسين عليه السلام قائلاً: «**... فلم يبلغ الكوفة إلّا ومسلم بن عقيل قد قُتل...، فتمادى واستمرّ غضباً للدين وقياماً بالحقّ، ولكنه لم يقبل نصيحة أعلم أهل زمانه...، وما خرج إليه أحد إلّا بتأويل، ولا قاتلوه إلّا بما سمعوا من جدِّه المهيمن على الرُسل، المخبر بفساد الحال، المحذِّر من الدخول في الفتن، وأقواله في ذلك كثيرة، منها قوله صلى الله عليه وآله: «أنّه ستكون هنات وهنات، فمَن أراد أن يفرِّق أمر هذه الأُمّة وهي جميع، فاضربوه بالسيف كائناً مَن كان**[1]»[2].

فعلى الرغم من اعتراف ابن العربي بشرعية خروج الإمام الحسين عليه السلام، إلّا أنّه من وجهة نظره (طلب الاستقامة في الاعوجاج)، وأنّ غايته الشريفة تؤدّي إلى إحداث الفتنة وتفرّق الأُمّة، ولذلك فإنّ محاربيه متأوِّلين لأحاديث النبي صلى الله عليه وآله في قتل الخارج لتفريق أمر الأُمّة، وناصحيه متأوِّلين السكوت لأنّ السمع والطاعة واجبة ولو كان الحاكم عبد مجدع.

وقد عارض ابن خلدون رأي ابن عربي هذا، فقال: «**وقد غلط القاضي أبو بكر بن العربي في هذا، فقال... ـ ما معناه ـ: إنّ الحسين عليه السلام قُتل بشرع جدِّه، وهو غلط حملته عليه**

---

(1) مسلم، صحيح مسلم: ص٨٣٦.

(2) ابن العربي، العواصم من القواصم: ص١٥٤ ـ ١٥٥.

الغفلة عن اشتراط الإمام العادل، ومَن أعدل من الحسينعليه السلام في زمانه في إمامته وعدالته، في قتال أهل الآراء»[١].

وقد دعم عدد من الكتّاب والباحثين الرأي القائل بشرعية خروج الإمام الحسينعليه السلام، وقالوا بدافعه العقيدي ورغبته في إصلاح كثير من مسائل العقيدة بعد أن اختلّت الموازين في خلافة معاوية الذي لم يدعم ملكه بالقوّة فحسب، ولكن بإيدلوجية تمسّ العقيدة في الصميم..، فحين أراد أن يطلب البيعة لابنه يزيد من أهل الحجاز أعلن أنّ اختيار يزيد للخلافة كان قضاءً من القضاء، وليس لهم الخيرة في أمرهم، وهكذا كاد يستقرّ في أذهان المسلمين أنّ كلّ ما يأمر به الخليفة ـ حتى لو كانت طاعة الله في خلافه ـ قضاء من الله قد قُدِّر على العباد[٢].

وقد أصرّ الأُمويون أن ينتزعوا من الإمام الحسينعليه السلام آخر قطرة من كرامة في الأُمّة الإسلامية، إذ لا بدّ من بيعته؛ لأنّ هذه البيعة تمنح يزيد شرعية البقاء، وتعني حصوله على صكّ الشرعية[٣].

إنّ خروج الإمام الحسينعليه السلام كان استجابةً لسلطان الإيمان الذي لا يُعصى ولا يُغلب، ولقد رأى الإسلام بكلّ قيَمه الغالية وأمجاده العالية يتعرّض لمحنة قاسية يفرضها عليه بيت أبي سفيان، ورأى خطيئة الصمت والسكوت تجتاح الناس رغبة أحياناً، ورهبة أحياناً. فكانت بيعة يزيد دعماً لسلطان الجاهلية على حساب الدين، ودعماً لسلطان القبيلة والأُسرة على حساب الأُمّة، وهكذا صارت مقاومتها دعماً لسلطان الدين والأُمّة معاً[٤].

وقد عزم الإمام الحسينعليه السلام على العمل للقضاء على الرجعية التي ابتدعها معاوية في

---

(١) ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون: ص٢١٧.

(٢) أبو علم، الحسين بن علي: ص١٩٦ ـ ١٩٧.

(٣) عيسى، دم الحسين: ص٥٠ ـ ص٥١.

(٤) خالد، أبناء الرسول في كربلاء: ص١٥٨. العقاد، أبو الشهداء: ص٢٠٧ ـ ٢٠٨.

الإسلام، وتخليص الناس من عسف بني أُمية واستبدادهم، وإقامة الحكم الإسلامي الذي يراعي مصالح الرعية قبل مصلحة الراعي...؛ ومن هنا حقَّ القول بأنّ الإمام الحسين عليه السلام راح شهيداً في سبيل القضاء على الرجعية السياسية التي أرادها معاوية وابنه يزيد، وبنو أُمية بعد ذلك للإسلام، وله في ذلك أجر الشهداء الذين استشهدوا في سبيل الخير للناس، وفي سبيل المصلحة العامّة، ولا ينقص من أجره في ذلك تقاعس مَن استشهد في سبيلهم عن نصرته، لأنّ الحقّ لا ينقص من قدره تعاون الناس في نصرة القائمين به[1].

ولم يكن للإمام الحسين عليه السلام أن يبايع يزيد ويرضى بخلافته للمسلمين، وهو ليس أهلاً لها بسبب طيشه وحمقه وسوء أخلاقه.

إنّ هذه المبايعة أمر يتعلَّق بالذمّة والعقيدة، وإن إقراره على صلاحية يزيد فيه مخالفة للشرع يأباها سيدنا الإمام الحسين عليه السلام، كما أنّه إن بايعه لَتَحَمّل المسؤولية فيما عاناه الناس من تصرُّفات يزيد وسوء خُلقه وشدّة بطشه[2].

واستطردّ عبد العليم مصوِّباً فعل الإمام الحسين عليه السلام، ومؤكّداً لشرعيته، فقال: إنّ خروجه كان اضطراراً حتى لا يُرغم على بيعةٍ لا يؤمن بها، أو يشهد شهادةً ليست صدقاً...، ولقد اثبتت الأيام بُعد نظره وصدق تنبؤاته بما قارفه يزيد من استبداد وبطش، وتجرّؤ على حرمات المقدّسات، واستباحة المدينة المنوّرة، وسفك دماء أهلها، ونهب أموالها، والتهّجم على البيت الحرام وضربه بالمجانيق، وحرق أستار الكعبة المشرّفة بمكّة المكرمة[3].

---

(١) كريم، أعلام في التاريخ الإسلامي: ص٨٦ ـ ص٨٧. الجمل، سيرة الحسين: ص١٠١. خالد، أبناء الرسول في كربلاء: ص١٥٩.

(٢) عبد العليم، سيدنا الإمام الحسين: ص١٦٧.

(٣) المصدر نفسه: ص١٦٨.

لقد وجد الأُمويون حجّة شرعية لقتال الإمام الحسين عليه السلام، وذلك ما يذكره ابن العربي عندما يقول: تأوّل عليه من قتله أنّه جاء ليفرِّق كلمة المسلمين بعد اجتماعها، وليخلع مَن بايعه الناس واجتمعوا عليه. وقد ورد في صحيح مسلم الزجر عن ذلك والتحذير منه، والتوعّد عليه.

وقد ردّ ابن خلدون ذلك، وقال: إنّه لا ينطبق على الإمام الحسين عليه السلام، وإنّ قتاله ليس قتال بغاة؛ لأنّ يزيد ليس إماماً عادلاً، بل هو فاسق ظهر فسقه عند الكافّة[1].

وجاء غنيم بتعليل آخر فذكر أنّ الحديث لا ينطبق؛ لأنّ الإمام الحسين عليه السلام لم يستهدف بخروجه الفرقة، ولا تشتيت شمل الجماعة، وإنّما كان يستهدف جمع الأُمّة على الهدى، وتوجيهها إلى الحقّ[2].

وعلى أيّة حال، فالحديث الوارد في صحيح مسلم قد كُتب بعد ما يقارب ٢٠٠ عام على شهادة الإمام الحسين عليه السلام، ويحتمل أن تكون السياسة قد فعلت فعلها في تصويب عمل الحكّام فقهيّاً ودينيّاً، وأنّ وروده في صحيح مسلم ليس كافياً للقطع بصحّة صدوره عن النبي صلى الله عليه وآله، فضلاً عن أنّ تأويله يتّسع لأبعاد أُخرى لا تشمل ثورة الإمام الحسين عليه السلام.

وممّا يُشار إليه أنّ ناصحي الإمام الحسين عليه السلام في مكّة من الصحابة، قد تطرَّقوا إلى الخوف من الفتنة وشقّ عصا الطاعة[3]، وسواء أكان ذلك صادراً من صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله المدركين حقّاً أهمّية الأمر بالمعروف والقيام بوجه الظلم والجور، فيُفسر على أنّه تقصيرٌ منهم في نصرة الإمام الحسين عليه السلام، وقعودٌ عن القيام بالحقّ، وتماشي مع السلطة في

---

(١) ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون: ص٢١٧ ـ ٢١٨. قارن ذلك بقول ابن العربي نفسه: «فأردنا أن نطهِّر الأرض من خمر يزيد، فأرقنا دم الحسين». العواصم من القواصم، ص١٥٥.

(٢) غنيم، الثورات العلوية: ص٢٠٠ ـ ٢٠١.

(٣) يُنظر: ابن كثير، البداية والنهاية: ج٨، ص١٥٩ ـ ١٦٣.

شجب نهوض الإمام الحسين عليه السلام، أم أنّه كان كذباً[1] أُضيف لنصائح المشفقين عليه بعدم الوثوق في أهل الكوفة، أو الخشية من إعداد السلطة له ما لا قِبَل له به، فإنّه يدلّ على أيّة حال أنّ ذلك السلاح (وصف الخارج في طلب الحقّ بصاحب فتنة) قد استخدم في وقت مبكر ـ ولا شكّ متأخر أيضاً ـ لمجابهة الإمام الحسين عليه السلام، وكان سلاحاً بيد السلطة لتُبعد عنه العامّة وتشكّ في شرعية وجدوى خروجه، فقد تكرر ذلك على لسان جنود الوالي الأُموي الذين حاولوا إعادة الإمام الحسين عليه السلام إلى مكّة بعد خروجه عنها[2]، ثمَّ على لسان بعض قادة الجيش الذين حاربوا الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء لحثّ الجنود على قتاله، وترك الارتياب في أمره[3].

---

(١) إذ انفرد ابن عساكر وابن كثير بذكر نصائح التحذير من الفتنة، أو الخروج على الإمام، والدعوة إلى الطاعة ولزوم الجماعة على لسان الصحابة بهذه الصيغ. بينما أوردها الطبري بصيغة الإشفاق والخوف من غدر الكوفيين فقط. يُنظر: تاريخ الطبري: ٦، ص٢٠٢. ابن عساكر، ترجمة ريحانة رسول الله: ص٢٠١ ـ ٢٠٢. ابن كثير، البداية والنهاية: ص٨، ص١٦١ ـ ص١٦٣.

(٢) ممّا قالوه: «يا حسين، ألا تتقي الله، تخرج من الجماعة، وتفرق بين هذه الأُمّة». الطبري، تاريخ الأُمم والملوك: ج٦، ص٢٠٣.

(٣) ورد عن عمرو بن الحجاج أنّه كان يصيح في أهل الكوفة: «ألزموا طاعتكم وجماعتكم، ولا ترتابوا في قتل مَن مرق من الدين وخالف الإمام». المصدر نفسه: ج٦، ص٢٣٥.

شبهة: إغراء عبد الله بن الزبير للحسين عليه السلام بالخروج من مكّة إلى الكوفة

ومثير هذه الشبهة هو القاضي أبي بكر بن العربي (ت٥٤٣هـ/ ١١٤٨م)، الذي قال وهو يُخطّئ الإمام الحسين عليه السلام في خروجه: «**وذكر المؤرِّخون أنّ كتب أهل الكوفة وردت على الحسين...، فنهاه ابن عباس، وأعلمه أنّهم خذلوا أباه وأخاه، وأشار عليه ابن الزبير بالخروج فخرج...**»[1].

وممّا يردّ ذلك أنّ أصل الرواية يشير إلى أنّ الإمام الحسين عليه السلام لم يثق بنصيحة ابن الزبير تلك وقام فخرج من عنده، وقال: «**ها إنّ هذا ليس شيئاً يُؤتاه من الدنيا أحبّ إليه من أن أخرج من الحجاز إلى العراق، وقد علم أنّه ليس له من الأمر معي شيءٌ، وأنّ الناس لم يعدلوه بي، فودّ أنّي خرجت منها لتخلو له**»[2]. فكيف خرج إذن بتأثير تلك النصيحة؟! وقد ورد ذلك في المصدر الذي أوصى ابن العربي بأن لا يؤخذ التاريخ إلّا عنه (الطبري)[3]، فضلاً عن أنّ ابن العربي قد عُني في كتابه (العواصم من القواصم) بتحقيق كثير من مواقف الصحابة، وتنزيههم عمّا لا يليق بشريف مقامهم، فلماذا أخذ بالرواية التي

---

(١) ابن العربي، العواصم من القواصم: ص١٥٤.

(٢) الطبري، تاريخ الأُمم والملوك: ج٦، ص٢٠٢.

(٣) يُنظر: ابن العربي، العواصم من القواصم: ص١٦٦.

تسيء إلى ابن الزبير وتتهمه بكراهية الإمام الحسين عليه السلام، ولا يأخذ بالرواية المعارضة[1] التي ذكرها الطبري؟ وتنصّ على أنّ ابن الزبير قد قال للإمام الحسين عليه السلام: «**إن شئتَ أن تقيم أقمت، فوليت هذا الأمر، فآزرناك وساعدناك، ونصحنا لك وبايعناك...**»[2].

وقد ردّ الإمام الحسين عليه السلام: بأنّه لا يريد أن يستحلّ حرمة مكّة المكرّمة[3] ويبدو أنّ الانتقاء الذي مارسه ابن العربي كان يخدم ويوافق ما أراد طرحه من تخطئة الإمام الحسين عليه السلام في خروجه.

وقد أغفل ابن العربي كذلك الأسباب التي دفعت الإمام الحسين عليه السلام إلى الخروج من مكّة بعد التجائه إليها وهي افتقاده الأمن فيها، وخوفه من أن يُؤخذ بها، ويُقتل فيها، وتُستحلّ بذلك حرمة البلد الحرام، والبيت الحرام[4].

---

(١) يوسف، سيد شباب أهل الجنة: ص٤٢٢.
(٢) الطبري، تاريخ الأُمم والملوك: ج٦، ص٢٠٣. ابن كثير، البداية والنهاية: ج٨، ص١٦٦.
(٣) الطبري، تاريخ الأُمم والملوك: ج٦، ص٢٠٣.
(٤) يوسف، سيد شباب أهل الجنّة: ص٤٢٢. وقد وُثّق ذلك في محله.

شُبهة: إن الإمام الحسين عليه السلام خرج ولم يَعدّ العُدّة اللازمة والكافية لتحقيق النصر

وهذه الشُبهة أوردها القاضي ابن العربي ضمن ما كتبه عن ثورة الإمام الحسين عليه السلام، ويبدو أنّ الهدف من إثارتها إظهار فعل الإمام الحسين عليه السلام بمظهر الفعل الانتحاري، وجعل شخصية الإمام الحسين عليه السلام شخصية متهوِّرة طائشة ـ حاشاه ـ لا تسمع لنصائح المشفقين (العاقلين) تارة، ولا تحسب الأُمور بالشكل الحكيم الذي يُحقق الغاية المرجوّة، فكان أن وقع المحذور؛ لأنّه «**ليس حوله مثله، ولا له من الأنصار مَن يرعى حقّه، ولا مَن يبذل نفسه دونه**»[1].

وقد ردّ هذا القول عدد من الكُتّاب، منهم مَنْ رأى أنّ الإمام الحسين عليه السلام قَدّرَ أنّ في قوّة أنصاره وشيعته ما يكفي لتحقيق ذلك الغرض (الثورة)...، فأهل الكوفة أرسلوا كتبهم بدعوته إليهم، وهو لم يقنع بذلك فقط، وإنّما أرسل ابن عمّه مسلم بن عقيل إليهم ليتأكَّد من صدقهم، فأرسل إليه يستدعيه ويبشِّره بعد مبايعة ثمانية عشر ألف رجل له، كما كان الإمام الحسين عليه السلام يظنّ ـ فيما يبدو ـ ولاء الحجاز له عند طلبه الخلافة، وهو ما كان يبدو أمراً محتملاً على أيّة حال. وعلى ذلك؛ فلا يصح القول بأنّ الإمام الحسين عليه السلام لم يبذل جهداً يُذكر لتحقيق هدفه[2].

---

(١) ابن العربي، العواصم من القواصم: ص١٥٥.

(٢) شاهين، الدولة الأُمويّة المفترى عليها: ص٣٢٧.

ويدعم وجهة النظر هذه أنّ للإمام الحسين عليه السلام رأياً في الحرب والإعداد نستطيع من خلاله أن نتبيَّن أنّه لم يكن غافلاً ـ كما حاول أن يصوّره مخطِّئوه ـ عمّا تحتاجه الحرب ويتطلّبه القتال، فقد خطب الكوفيين في أيام أبيه، فقال:

«... **ألا إنّ الحرب شرّها مريع وطعمها فظيع، فمَن أخذَ لها أُهبتها وأعدّ لها عدّتها ولم يألم كلومها قبل حلولها، فذاك صاحبها، ومَن عاجلها قبل أوان فرصتها واستبصار سعيه فيها، فذاك قَمن أن لا ينفع قومه وأن يُهلك نفسه**»[1].

ويضاف لذلك أنّ خطّة الإمام الحسين عليه السلام عندما أراد التقدُّم إلى الكوفة، كانت محاولة إلحاق البصرة بالكوفة، إذ بعث برسائل إلى رجالات وشخصيات البصرة مطالباً إياهم بالتأييد، بيد أنّه لم يحصل على تأييد معتدٍّ به من البصريين نتيجةً لتخاذل الأشراف عنه، وتباطؤ الشيعة فيها عن اللحاق به[2]. ومع ذلك يمكن القول: إنّ خطّة الإمام الحسين عليه السلام كانت مستمدّة من تجربة تاريخية، إذ لا يمكن الفصل بينهما في أيّ خطوةٍ إصلاحية، فأيّ عمل عسكري في الكوفة سيواجَه بالفشل إذا كان بمعزل عن ضمان البصرة، أو العكس...، فانضمام أحد البلدين دون الآخر يجعله مفتوحاً عسكرياً أمام الهجمات المحتملة الآتية من البلد الآخر، فكان لا بدّ من السيطرة على البلد الآخر أو على الأقل تحييده عسكرياً لتكوين نتيجة حاسمة، وهذه الحقيقة كانت ماثلة أمام الإمام الحسين عليه السلام يوم أقدم على الارتباط بأهل البصرة بموازاة ارتباطه بأهل الكوفة[3].

ومن جانب آخر إنّ خروج الإمام الحسين عليه السلام إلى الكوفة قبل إعداد العدّة هو أمر اضطرّته إليه الظروف، والذين يلومونه من الكتّاب والمؤرِّخين لم يفطنوا لهذا المعنى ولم

---

(١) المنقري، صفين: ص١١٥.

(٢) يُنظر: البلاذري، أنساب الأشراف: ج٣، ص٣٧٥. الطبري، تاريخ الأُمم والملوك: ج٦، ص١٨٦. ابن طاووس، اللهوف: ص٢٥ ـ ص٢٨.

(٣) كرامي، الحسين كما رأيت: ص٤٨٤ ـ ٤٨٥.

يتنبهوا إليه، والذي يدرس الظروف التي لابست معركة كربلاء يكاد يرجّح أنّ الإمام الحسين عليه السلام كان قد واجه خطّةً مهيأةً ومعدّةً تستهدف قتله[١].

ومع أنّ الإمام الحسين عليه السلام سار على قلّة العدد، وبذل نفسه وأصحابه وأصرّ على الإيفاء بعهده مع أهل الكوفة، وصمم على دخولها، مع كلّ ذلك وجدنا مَنْ يقول إنّه ترك الآخرين يعملون كل شيء لأجله، ولكنه لم يبذل شيئاً[٢].

كما أنّ العدّة التي خرجت مع الإمام الحسين عليه السلام كانت هي التي استجابت لدعوته العامّة بخروج مَن يوطّن نفسه على الشهادة والتضحية، وأنّ قلّة أتباع الحقّ ليس مُبرّراً ليترك الإمام الحسين عليه السلام دعوته في الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وإصلاح أُمّة جدّه صلى الله عليه وآله. وأنّ الإمام الحسين عليه السلام حاول أن يستكثر من الأعوان، ولكن من ناحية النوع لا الكم، ومن خلال دعوات فرديّة تقدَّم بها لأشخاص بعينهم، في الوقت الذي فرّق أهل الدنيا الذين رافقوه لطمع، ورفض دعوة الطرماح ـ التي تحتاج لتنجح إلى وقت غير هيّن[٣]، في الوقت الذي كانت القوّة الأُموية على استعداد كامل ـ لعدّة أغراض، منها: أنّ الإمام الحسين عليه السلام استهدف «**الإبقاء على صفة رجال الجهاد، والحرص على بالغ الأصالة الرسالية، فتجنَّب استخدام القوى القبليّة، ولم ينفذ من خلال الصراع القبلي القائم يومذاك، الأمر الذي يؤدّي**

---

(١) غنيم، الثورات العلوية: ص١٩٧.

(٢) فلهاوزن، الخوارج والشيعة: ص١٣٦.

(٣) لقي الطرمّاحُ بن عدي الإمامَ الحسين عليه السلام، فحذّره الإقبال على الكوفة، وكثرة جمع عبيد الله ابن زياد، وعرض عليه أن يُنـزله أحد جبلي طيء، ووصف له منعته، وكثرة مَنْ يستطيع جمعهم له من طيء يحمونه إن قام فيهم، فلا يوصل إليه بسوء، فجزّاه الإمام الحسين عليه السلام خيراً، وقال: «إنّه قد كان بيننا وبين هؤلاء القوم قول لسنا نقدر معه على الانصراف...»، فودعه الطرمّاح حتى يؤدّي نفقة قومه إليهم، ثم يُقبل إليه ليكون من أنصاره، فأمره الإمام الحسين عليه السلام بالتعجيل. البلاذري، أنساب الأشراف: ج٣، ص٣٨٤. الطبري، تاريخ الأُمم والملوك: ج٦، ص٢١٦. ابن كثير، البداية والنهاية: ج٨، ص١٧٤.

إلى أن تصطبغ الثورة بصبغة قبلية، فيتسنّى لأهل التمويه أن يزعموا أنّ الحسين قد استخدم الصراع القبلي ليتوّصل إلى الحكم.. وهذا يفقد الثورة المباركة جليل معناها»[1].

(١) عابدين، الدوافع الذاتية لأنصار الحسين: ص١٨٢ ـ ١٨٣.

شُبهة: إنّ ثورة الإمام الحسين عليه السلام كانت بدون وجود أسباب حقيقية لمصلحة الأُمّة

وأبرز مَنْ ذكر هذه الشُبهة المُضِلّة هو الخضري بك، وهو يقوّم دوافع ثورة الإمام الحسين عليه السلام، فقال: «**لا بدّ قبل أيّ تحرُّك أن تكون هناك أسباب حقيقية لمصلحة الأُمّة، بأن يكون هناك جور ظاهر لا يُحتمل، وعسف شديد ينوء الناس بحمله، أمّا الحسين، فإنّه خالف على يزيد وقد بايعه الناس، ولم يظهر منه ذلك الجور ولا العسف عند إظهار هذا الخلاف**»[1].

ومع هذه الفكرة انسجم كاتب مُعاصر؛ إذ أكّد أنّ الإمام الحسين عليه السلام إنّما ثار لأنّه «**ظنّ الفسوق بالخليفة الجديد ـ يزيد بن معاوية ـ رغم أنّه كان قد تولّى الخلافة لفوره، ولم يظهر منه ما يؤكّد ذلك، ويبدو أنّ الدعاية المعادية لمعاوية وبني أُمية قد أصابت بعض النجاح في تشويه صورة يزيد منذ همّ أبوه باستخلافه، وقد كان الحسين يرى في نفسه الأهلية لخلافة المسلمين في فضله وعلمه ـ وهما ممّا لا شكّ فيه ـ وكفايته، وهي ممّا لم يتأكَّد بصورة قاطعة لبعده عن الأعمال الإدارية والسياسية من عهد بعيد**»[2].

إنّ في هذا الكلام تغاضي عن كثير من الحقائق التي وردت في كتب التاريخ على اختلاف مشاربها، ولأنّه يجعل قضية الإمام الحسين عليه السلام قضية شخصية، ورغبة ذاتية في

(١) الخضري بك، محاضرات في تاريخ الأُمم الإسلامية: ج٢، ص١٣٠.

(٢) شاهين، الدولة الأُمويّة المفترى عليها: ص٩٢.

الوصول إلى الخلافة التي لم تتأكَّد قابليته بعدُ في أن يقف على سدّتها ـ كما يذكر شاهين ـ!!

إنّ قضية الخروج هذه لم تكن من أجل الخلاف بين فرد وفرد، ولا بين بيت وبيت، وإنّما كانت من أجل الخلاف بين سياسة وسياسة، وقد آمن الإمام الحسين عليه السلام بسياسة الخلافة التي هي سياسة أبيه وأخيه وسياسة النبي صلى الله عليه وآله، وكفر بسياسة الملك التي هي سياسة معاوية، والتي لن تكون سياسة ولده إلّا امتداداً لها وشدّاً لأركانها، وقد قاوم الإمام الحسين عليه السلام هذه السياسة ولام معاوية وعمّاله من أجلها، ووعد أنصاره بتغييرها والانتفاض عليها إذا ما تحلل بهلاك معاوية من عهده له[1].

فقد حاول الإسلام أن يخلق شعوراً فيّاضاً ملتهباً في نفوس المسلمين، وألقى على عاتقهم تكليفاً مهماً هو رعاية الأُمّة ومشاركتها في أحزانها، وعدم الانفصال عنها، ووحدة الصفّ ضدّ المخاطر التي تواجهها، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وسعى الإسلام إلى خلق كتلة قويّة جريئة تقول بجرأة، وتهدد الظلم والاستبداد والتسلّط والانحراف[2] وشاهداً على هذا الإعداد قوله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[3].

ولذلك؛ فقد أكّد الصدفي[4] أنّ الإمام الحسين عليه السلام لم يخرج على حكم يزيد على وجه التحديد، ولكنّه خرج على نظام الحكم الأُموي الذي وضع أُسسه معاوية، ورسّخه بممارساته الفعلية، وكذلك كان الخروج على العوامل التي مهّدت لقيام هذا النظام. ودليله في ذلك ما يلي:

أ) من استقراء نصوص خطب الإمام الحسين عليه السلام في المواضع المختلفة منذ خروجه

---

(١) غنيم، الثورات العلوية: ص١٩٣.

(٢) الساعدي، نعمة هادي، الإمام الحسين عليه السلام والفكر السياسي، ط بيروت، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م: ص٢١٦.

(٣) آل عمران: الآية١٠٤.

(٤) الصدفي، أبداً حسين: ص٢٨٥ ـ ٢٨٦.

نجد أقواله[١]:

ـ «**فإنّ السنّة قد أُميتت، وإنّ البدعة قد أُحييت**».

ـ «**ألا إنّ هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان، وتركوا طاعة الرحمن، وأظهروا الفساد واستأثروا بالفيء، وأحلوا حرام الله، وحرموا حلاله**».

ـ «**ألا ترون أنّ الحقّ لا يُعمل به، وأنّ الباطل لا يُتناهى عنه**».

وواضح أنّ كلّ تلك الأعمال لم يأتِ بها يزيد يوم اعتلائه العرش، ولكنّها تنسحب على فترة ماضية.

ب) في كتاب أهل الكوفة إلى الإمام الحسين عليه السلام بعد هلاك معاوية يجددون موقفهم بالخروج بناء على ما خبروه من معاوية ونظامه:

«**... الحمد لله الذي قصم عدوك الجبار العنيد الذي انتزى على هذه الأُمّة بغير رضا منها، ثمَّ قتل خيارها، واستبقى شرارها، وجعل مال الله دولة بين جبابرتها وأغنيائها، فبعداً له كما بعدت ثمود...**»[٢].

وهنا أيضاً لم يأتِ ذكر ليزيد، بوصفه امتداداً طبيعياً لنظام معاوية.

ج) في المحاورة التي جرت بين مسلم بن عقيل وعبيد الله بن زياد يتأكّد ذات المعنى؛ إذ يعدد مسلم الشنائع التي ارتُكبت على يد زياد بن أبيه، فيقول:

«**إنّ أباك قتل خيارهم، وسفك دماءهم، وعمل فيهم أعمال كسرى وقيصر، فأتيناهم لنأمر بالعدل وندعوا إلى حكم الكتاب**»[٣]. ومن الجلي أنّ ذلك كلّه كان من فعل معاوية وعمّاله، ومِن بينهم زياد بن أبيه.

---

(١) أبو مخنف، مقتل الحسين عليه السلام: ص٨٤ ـ ٨٦. الطبري، تاريخ الأُمم والملوك: ج٦، ص٢١٥. ابن عساكر، ترجمة ريحانة رسول الله: ص٢١٤. ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٤٠٨.

(٢) الطبري، تاريخ الأُمم والملوك: ج٦، ص١٨٢ ـ ١٨٣.

(٣) المصدر نفسه: ج٦، ص١٩٨.

د) في خطاب زهير بن القين ـ أحد أصحاب الإمام الحسين عليه السلام ـ يوم عاشوراء يحذِّر أهل الكوفة ممّا عانوه من قبل:

«... إنّا ندعوكم إلى نصرهم وخذلان الطاغية عبيد الله بن زياد، فإنكم لا تُدركون منهما إلّا بسوء عمر سلطانهما كلّه، لَيسملان أعينكم، ويقطعان أيديكم وأرجلكم، ويمثّلان بكم، ويرفعانكم على جذوع النخل، ويقتلان أماثلكم وقُرّاءكم أمثال: حجر بن عدي وأصحابه، وهانئ بن عروة وأشباهه»[1].

وكلّ ذلك كان على عهد معاوية، وعلى يديه ويدي عامله زياد. ولّما كان حكم يزيد المعروف بسلوكه الطائش امتداداً لحكم أبيه، **«فقد كان خروج الحسين على منهجٍ في الحكم يرفضه وعلى طرائقٍ في السياسة يكفر بها، ويؤمن بأنّها لا تقاد بها أُمّة ولا يقوم بها دين...، فإنّ الحسين... لم يفكر في الانتفاض إلّا بعد أن رأى السياسة المثالية للنبي عليه الصلاة والسلام... تحرف عن مواضعها وتوجه إلى غير أهدافها، ورأى المجتمع يُسار به في طريق الرغبة والرهبة يقيم عليها حياته، ويبني على أساسها حاضره ومستقبله وكان الظلم والمحاباة، وكانت الأثرة والتمايز، وكان الملق والنفاق حتى عُطلت الحدود وطُمست معالم الحقّ، وراحت مُثُل الإسلام العليا تأخذ طريقها إلى الأُفول، وإذا لم تكن هذه الأسباب كلّها مقتضية لخروج الحسين، فأيّ الأسباب.. هي التي تبرره وتقتضيه؟»**[2].

وقد أثبت المستقبل تمادي يزيد في جوره، الذي ظهر مع بداية عهده في التضييق على الإمام الحسين عليه السلام ومَن امتنع عن بيعته، وإجراءات الترهيب والقتل الوحشي التي سبقت ثورة الإمام الحسين عليه السلام، مروراً بمأساة كربلاء، وانتهاء بوقعة الحرّة وضرب الكعبة، وفي كلّ ذلك شواهد تاريخية على سوء وجور وظلم يزيد وحمقه في التعامل مع الأُمّة ما لا

(١) المصدر السابق: ج٦، ص٢٢٩.

(٢) غنيم، الثورات العلوية: ص١٩٣ ـ ١٩٤.

ينكره إلّا مُتعصّب، فضلاً عمّا أورده باحث مُنصف ـ لا يُتّهم بالتشيّع ـ من أمثلة عديدة على سياسة يزيد المالية واستنتج منها:

«إنّ يزيد بالغ.. في إنفاق الأموال للأغراض السياسية أو الشخصية، إلى درجة يمكن الحكم عليها بأنّها تقرّب من السفه أو التبديد، كما أنّه لم يُبالِ أيضاً بتصرُّفات بعض ولاته التي يمكن الحكم عليها بمثل هذا»(١).

لقد طرح الإمام الحسينعليه السلام أحقيّة أهل البيتعليهم السلام في ولاية الأُمّة في مقابل استخلاف يزيد؛ إذ بيَّن ذلك في أول أيّام نهضته المباركة عندما كتب إلى أهل الكوفة: «... **أمّا بعد، فإنّ الله اصطفى محمداً صلّى الله عليه [وآله] وسلم على خلقه...، واختاره لرسالته، ثمَّ قبضه الله إليه... وكنا أهله وأولياءه وأوصياءه وورثته، وأحقّ الناس بمقامه في الناس، فاستأثر علينا قومنا بذلك، فرضينا وكرهنا الفرقة وأحببنا العافية، ونحن نعلم أنّا أحقّ بذلك الحقّ المستحقّ علينا ممَّن تولاّه...، وأنا أدعوكم إلى كتاب الله وسنّة نبيهصلى الله عليه وآله، فإن السُنّة قد أُميتت، وإن البُدعة قد أُحييت، وإن تسمعوا قولي وتُطيعوا أمري أُهدكم سبيل الرشاد**»(٢).

إنّ تأكيد الإمام الحسينعليه السلام على مفهوم الحاكميّة، وأنّ الحقَّ لا بدّ مِن أن يرجع إلى أهله، وأنّ الإمام الحقّ هو العامل بكتاب الله والقائم بالقسط؛ كان من أجل تنبيه الأُمّة إلى منشأ الخطر ومبدأه وأساسه، وهو ضياع حقّ أهل البيتعليهم السلام ـ الذي أسهمت به الأُمّة ـ الذي آل بها إلى تلك النتائج الخطيرة(٣)، فالأُمّة أمام خيارين: فهي إمّا أن تتبنّى سياسة الرفض القاطع للواقع الفاسد والمنحرف الذي فُرض عليها مهما كان الثمن، أو تقبل بسياسة الأمر

(١) الريس، الخراج والنظم المالية: ص١٩٧.

(٢) الطبري، تاريخ الأُمم والملوك: ج٦، ص١٨٦. ويُنظر: المفيد، الإرشاد: ص٣٢٠.

(٣) الشاهرودي، محمود الهاشمي، الثورة الحسينية دراسة في الأهداف والدوافع(٢)، مجلة المنهاج، العدد ٣٠، بيروت، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م: ص٢٠.

الواقع ويُصبح عليها أن تتنازل عن دينها ورسالتها وعظمتها وعزّتها في الحياة لتقبل بالذلّ والهوان[1]، وهو ممّا لم يكن يرتضيه الإمام الحسين عليه السلام، لا لنفسه ولا للأُمّة الإسلامية.

---

(١) النفيس، أحمد راسم، نفحات من السيرة (موجز سيرة الرسول صلى الله عليه وآله وأهل البيت)، طبع بيروت، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م: ص١٠٤.

شُبهة: ليس في الثورة على الحاكم الجائر مصلحة في دنيا ولا دين وأنّ ثورة الإمام الحسين عليه السلام زادت الشرّ، وأوجبت الفتن

وصاحب هذه الشبهة هو ابن تيمية (ت٧٢٨هـ/ ١٣٢٧م): الذي مهّد لرأيه في خروج الإمام الحسين عليه السلام بتوضيح آراء أهل السنّة في الخارج على الحاكم الجائر، فقال فيمَن يرى الخروج بالسيف:

«فهذا رأي فاسد، فإنّ مفسدته أعظم من مصلحته، وقلّ مَن خرج على إمام ذي سلطان إلّا كان ما تولّد على فعله من الشرّ أعظم ممّا تولّد من الخير، كالذين خرجوا على يزيد بالمدينة»[1].

ويستطرد لبيان تلك العقيدة بالقول:

«ولهذا استقرّ أمر أهل السنّة على ترك القتال في الفتنة؛ للأحاديث الصحيحة الثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم وصاروا يذكرون هذا في عقائدهم، ويأمرون بالصبر على جور الأئمّة وترك قتالهم، وإن كان قد قاتل في الفتنة خلق كثير من أهل العلم والدين»[2].

وقد جعل ناصحي الإمام الحسين عليه السلام بعدم الخروج على يزيد ممَّن أصابوا الرأي في منعه، والإمام الحسين عليه السلام ممَّن أخطأه، لأن ليس في الخروج مصلحة في دنيا ولا في دين،

---

(١) ابن تيمية، منهاج السنّة: ج٢، ص٢٤١.

(٢) المصدر نفسه: ج٢، ص٢٤١.

فقال: «**لمّا أراد الحسين رضي الله عنه أن يخرج إلى أهل العراق لمّا كاتبوه كُتباً كثيرة أشار عليه أفاضل أهل العلم والدين، كابن عُمر وابن عباس وأبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام أن لا يخرج، وغلب على ظنّهم أنّه يُقتل.. وهم بذلك قاصدون نصيحته طالبون لمصلحته ومصلحة المسلمين، والله ورسوله إنّما يأمر بالصلاح لا بالفساد لكن الرأي يصيب تارة ويُخطئ أُخرى، فتبيَّن أنّ الأمر على ما قاله أولئك؛ إذ لم يكن في الجور مصلحة لا في دينٍ ولا في دنيا، بل تمكَّن أولئك الظلمة الطغاة من سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قتلوه مظلوماً شهيداً، وكان في خروجه وقتله من الفساد ما لم يكن يحصل لو قعد في بلده، فإنّ قصده من تحصيل الخير ودفع الشرّ لم يحصل منه شيء، بل زاد الشرّ بخروجه وقتله ونقص الخير بذلك، وصار سبباً لشرّ عظيم، وكان قتل الحسين ممّا أوجب الفتن**»[1].

فابن تيمية يمثِّل الرأي الذي سبقه إليه الغزالي في أنّ السلطان الظالم الجاهل، مهما ساعدته الشوكة، وعسر خلعه، وكان في الاستبدال به فتنة ثائرة لا تُطاق، وجب تركه ووجبت الطاعة له، كما تجب طاعة الأُمراء[2].

والغريب أنّ أهل هذا الرأي يتناقضون مع أنفسهم بما لا يستطيعون دفعه من حديث رسول الله صلى الله عليه وآله، فيقولون: «**فلقد كان من عادة السَلف التعرُّض للأخطار والتصريح بالإنكار من غير مبالاة بهلاك المهجة، والتعرّض لأنواع العذاب لعلمهم بأنّ ذلك شهادة، قال رسول الله صلى الله عليه وآله:... أفضل الجهاد كلمة حقٍّ عند سلطان جائر**[3]**...، ولمّا علم المتصلِّبون في الدين، أنّ أفضل الكلام كلمة حقٍّ عند سلطان جائر، وأنّ صاحب ذلك إذا قُتل فهو**

(١) ابن تيمية، منهاج السنة: ج٢، ص٢٤١ ـ ٢٤٢.

(٢) الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد بن أحمد الطوسي الشافعي (ت٥٠٥هـ/١١١١م)، إحياء علوم الدين، وبذيله: المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار، ط بيروت، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م: ج٢، ص١٧٥.

(٣) الترمذي، الجامع الصحيح: ص٥٩٧، وقد وردت عنده: «إنّ مَن أعظم الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر».

شهيد.. قدموا على ذلك مُوطِّنين أنفسهم على الهلاك، ومحتملين أنواع العذاب، وصابرين عليه في ذات الله تعالى، ومحتسبين لما يبذلونه من مهجهم عند الله»(١).

فلماذا لا يعاب على السلف احتمال أنواع العذاب، والتصريح بالمعارضة والإنكار مع غير المبالاة بالهلاك، ويعاب على الإمام الحسين عليه السلام ذلك عندما واجه الحاكم الجائر؟!!

وما الذي جعل ابن تيمية يذكر كلام الناصحين للإمام الحسين عليه السلام بالتصويب ويغفل جواب الإمام الحسين عليه السلام إليهم؟ لم يكن ذلك إلّا لأنّه يعود باللوم على يزيد، إذ يذكر الإمام الحسين عليه السلام رغبته بالحفاظ على حرمة مكّة، ويؤكّد أنّ بني أُمية سيسعون لقتله. فلا نجد من جواب الإمام الحسين عليه السلام لناصحيه حرفاً واحداً في كلّ ما كتبه ابن تيمية(٢).

وإنّ وصف قاتلي الإمام الحسين عليه السلام بالظلمة والطغاة على لسان ابن تيمية في النصّ المتقدِّم لم يكن يعني أنّه يشمل يزيد بهذا المعنى، وإنّما هم في رأيه: أهل الكوفة، وعبيد الله ابن زياد، أمّا يزيد، فقد خصّه ابن تيمية بالتنزيه عن قتل الإمام الحسين عليه السلام، فقال: «**والذي نقله غير واحد أنّ يزيد لم يأمر بقتل الحسين، ولا كان له غرض في ذلك، بل كان يختار أنّ يُكرمه ويُعظمه...، ولكن كان يختار أن يمتنع من الولاية والخروج عليه**»(٣).

ولأجل تنزيه يزيد، فقد حاول أن يحشّد لذلك دلائل من روايات تعامل معها بالتبعيض، فأخذ منها ما يشاء وأهمل أو كذّب ما يشاء، فذكر أنّ من دلائل براءة يزيد من قتل الإمام الحسين عليه السلام أنّه استاء بعد أن علم بمقتل الإمام الحسين عليه السلام، وساء أهله ذلك وبكوا عليه، ولعن يزيد ابن زياد وعاب فعله، ثمَّ جهّز أهل الإمام الحسين عليه السلام بأحسن جهاز وردّهم إلى المدينة!! وبناءً على ذلك يكذّب حادثة نكت يزيد لثنايا الإمام الحسين عليه السلام

---

(١) الغزالي، إحياء علوم الدين: ج٢، ص٤٢١.

(٢) عبد الحميد، ابن تيمية: ص٣٩٤ ـ ٣٩٥.

(٣) ابن تيمية، منهاج السنة: ج٢، ص٢٤٩.

بالقضيب ويحصرها بابن زياد[1]، وينفي إرسال رأس الإمام الحسين عليه السلام إلى الشام نفياً قاطعاً[2]؛ لأنّ الأخذ بها سيجرُّه إلى القول بصلبه في الشام، وهو ما يعني قبول يزيد بالقتل، ورضاه بفعل ابن زياد، وهذا يناقض ما يريد ابن تيمية إثباته، وعلى المنوال نفسه نفى سبي عائلة الإمام الحسين عليه السلام بعد قتله، بيد أنّه قال بحضورهم عند يزيد وإكرامه لهم!![3] ولم يبيِّن هل كان حضورهم رغبة منهم وشوقاً لرؤية يزيد؟! أم قدموا مصطافين فأحبّوا زيارته؟![4].

وتأثّراً بهذا المنهج، فقد حمّل معظم الكتّاب الذين ساروا على خُطى ابن تيمية مسؤولية قتل الإمام الحسين عليه السلام لطرفين هما في الأغلب: أهل الكوفة، والإمام الحسين عليه السلام نفسه، وخففوا أو نفوا المسؤولية عن يزيد الحاكم الذي ائتمر ابن زياد بأمره، وبطش بالإمام الحسين عليه السلام على وفق توجيهه!!

---

(١) المصدر نفسه: ج٢، ص٢٤٩.

(٢) ابن تيمية، رأس الحسين: ص٢٠٧.

(٣) المصدر السابق: ص٢٠٨.

(٤) عبد الحميد، ابن تيمية: ص٤١٣.

شبهة: إهمال الحسين عليه السلام
لتنظيم دعوته ونشرها بين الناس

ودعاة هذه الشبهة ساهموا ـ علموا أم لم يعلموا ـ بتحميل الإمام الحسين عليه السلام مسؤولية استشهاده، وتبرئة يزيد بن معاوية من تبعة ذلك، ومنهم الخربوطلي الذي ذكر أنّ الإمام الحسين عليه السلام لم يهتم بتنظيم دعوته ونشرها بين الناس، وأغفل عنصر الدعاية اللازمة للحروب، فظنّ أنّ القوم سيقدمون على بيعته ويتهالكون في نصرته لانتسابه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، ولكن الحياة جهاد، والقوي هو السبّاق إلى اكتساب ولاء الناس، إمّا ببذل الأموال لهم وإشراكهم في بعض المطامع الدنيوية، وإمّا بإسناد المناصب العالية لأشرافهم وزعمائهم كما فعل الأُمويون[1].

ولنا أن نتسائل: هل أغفل الإمام الحسين عليه السلام الدعاية في مواجهة القوّة والدهاء وهو يعلم بلا شكّ انقلاب الناس بفعل الأموال؟ فقد شهدت خلافة أبيه الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام انقلاب كثير منهم، وانحيازهم إلى معاوية بتأثير ذلك[2].

والحقّ أنّ ما قاله الخربوطلي ليس صحيحاً، فقد مارس الإمام الحسين عليه السلام الدعاية على وفق شروطها الدينية والرسالية، وهي الدعوة إلى الخروج على جور الظالم، والترهيب

---

(١) الخربوطلي، علي حسيني، المختار الثقفي مرآة العصر الأُموي، ط مصر، ١٣٨٢هـ/١٩٦٢م: ص٧١ ـ ص٧٤.

(٢) الثقفي، الغارات: ج١، ص٤٦ ـ ٤٧.

من عقوبة الله على السكوت، وبيان ثقله المعنوي بانتسابه لأكبر رمز ديني وهو الرسول صلى الله عليه وآله، ومن ثَمَّ أحقّية بيته بالقيام بالإصلاح والتغيير، وتولّي حكم الأُمّة لما توفّر فيهم من العدل والقيام بالقسط. وأنّ ذلك جرى في مكّة وفي موسم الحجّ، في أيام معاوية، ثمَّ استمرّ بعد بيعة يزيد واستعداد الإمام الحسين عليه السلام للخروج ضدَّه، ومن ثَمَّ بعد إعلان ثورته.

وإنّ ما تضمَّنه كلام الخربوطلي من أنّ القويّ هو السبّاق لاكتساب ولاء الناس، بوسيلة الترغيب ببذل المال أو الترهيب بالقتل والتعذيب، واتّهام الإمام الحسين عليه السلام بإغفال الدعاية، إنّما يبيِّن وجهة نظر دنيوية للتقوى شاركه فيها كاتب آخر وجد في قتل عبيد الله لهانئ ومسلم، وعدم مبالاته بالعهد الذي أعطاه باستبقائهما، حزماً ودهاءً اتّبعه ابن زياد في سبيل الغاية التي يهدف إليها، وتبريره أنّ «**الدول في أول نشأتها لا يتأيد استقلالها وتنجو من الدعاة والمطالبين، إلّا إذا صمّ أصحابها آذانهم عن نداء الضمير، وجعلوا كلَّ همهم في مصالحهم الخاصة**»[١].

وعلى وفق ذلك، فقد أخفق الإمام الحسين عليه السلام لأنّه التزم بواجبات التقوى وسلامة الضمير التي لا تغفرها السياسة في نظر هذين الكاتبين. ومن هذا البعد نفسه برّأ عبد المنعم ماجد يزيد؛ لأنّه أظهر التندّم[٢]، وأهل الكوفة؛ لأنّهم لم يكونوا يستطيعون شيئاً أمام الحكم الأُموي القوي[٣]، ولكنّه آخذ الإمام الحسين عليه السلام؛ لأنّه لا يتمتع بمزية الدهاء، فلم يحتط للمواجهة، وخرج خلف مسلم إلى الكوفة ولم ينتظر ما يفعله[٤]!!

ومع أنّنا لا نُنكر تورُّع الإمام الحسين عليه السلام عن استعمال وسائل الغدر والخداع والدهاء

(١) زيدان، غادة كربلاء: ص٢٥٣.
(٢) عبد المنعم ماجد، التاريخ السياسي: ج٢، ص٧٦.
(٣) المصدر السابق: ص٧٩.
(٤) المصدر نفسه: ص٧١.

المحرّم مستناً بسنّة أبيه الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام[1]، إلّا أنّه لم يهمل الأخذ بكلّ محاولات الربح المشروع، فقد احتاط للمواجهة، ولم يخرج إلّا بعد أن جاءته رسالة مسلم تخبره ببيعة الكوفيين، وليس قبل ذلك ـ كما يذكر ماجد ـ رغم حراجة ظروفه وصعوبة بقائه في مكّة المهدّد فيها بالقتل كلّ حين.

(١) قال الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام: «والله، ما معاوية بأدهى مني، ولكنّه يغدر ويفجر، ولولا كراهية الغدر لكنت من أدهى الناس، ولكن كلّ غدرةٍ فجرةٌ، وكل فجرةٍ كفرةٌ، ولكلّ غادر لواء يعرف به يوم القيامة». نهج البلاغة: ص٤٠١.

زمان دفن الإمام الحسين عليه السلام

وحضور الإمام زين العابدين عليه السلام لدفنه[1]

أجمع المؤرِّخون عى اختلاف اتجاهاتهم وانتماءاتهم المذهبية[2] على أنّ قوماً من بني أسد كانوا نزولاً بالغاضرية فخرجوا لمواراة جسد الإمام الحسين عليه السلام وشهداء الطفّ، وذلك بعد رحيل عمر بن سعد وانسحاب الجيش الأُموي، لكن الخلاف وقع بين المؤرِّخين في تحديد اليوم الذي وُرِّيَت فيه أجساد الشهداء، فهناك مَن صرّح بأنّ الدفن قد حصل بعد قتلهم بيوم واحد، أي في الحادي عشر من المحرَّم[3]، وهناك مَن أشار إشارة مُجملة مُبهمة، مثل الشيخ المفيد وابن طاووس، إذ جاء في رواية الأول قوله: «**ولمّا رحل ابن سعد خرج قوم من بني أسد كانوا نزولاً بالغاضرية إلى الحسين وأصحابه رحمة الله عليهم، فصلّوا عليهم، ودفنوا**

---

(١) تجدر الإشارة إلى أنّ المادّة العلمية، ضمن هذا العنوان والذي يليه قد لُخصت بالكامل من الدراسة القيّمة التي قدمها الشيخ عامر الجابري في كتابه دفن شهداء واقعة الطف دراسة تاريخية تحليلية، (سلسلة إصدارات مركز الدراسات التخصصيّة في النهضة الحسينيّة)، ط النجف، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م: ص٢١ ـ ص٤٤، ص٦٩ ـ ص٧٣.

(٢) الدينوري، الأخبار الطوال: ص٢٦٠. الطبري، تاريخ الأُمم والملوك: ج٣، ص٣٣٥. المسعودي، مروج الذهب: ج٣، ص٥٣. المفيد، الإرشاد: ص٣٥٢. ابن شهرآشوب، مناقب آل أبي طالب: ج٤، ص١٢١. ابن طاووس، اللهوف: ص٩٢.

(٣) البلاذري، أنساب الأشراف: ج٣، ص٤١١. الطبري، تاريخ الأُمم والملوك: ج٣، ص٣٣٥. المسعودي، مروج الذهب: ج٣، ص٥٣.

الحسين عليه السلام حيث قبره الآن، ودفنوا ابنه علي بن الحسين الأصغر عند رجليه»[1].

وذكر ابن طاووس قائلاً أنّه: «**لمّا انفصل عمر بن سعد (لعنه الله) عن كربلاء، خرج قومٌ من بني أسدٍ فصلّوا على تلك الجثث الطواهر المرمّلة... بالدماء، ودفنوها على ما هي الآن عليه»**[2].

(١) المفيد، الأرشاد: ص٣٥٢.

(٢) ابن طاووس، اللهوف: ص٩٢.

حضور الإمام زين العابدين عليه السلام لدفن الإمام الحسين عليه السلام والشبهات المثارة حوله

والناس في هذا الأمر صنفان، وفي إثباته ونفيه فريقان:

الصنف الأول: ويقول هذا الصنف دفنهم أهل الغاضرية، وسكت ولم يُصرّح بانفرادهم، وأنّهم استقلّوا بدفنهم، ولم يصرّح بالنفي لاشتراك أحد معهم. (والملفت للنظر أنّ كبار مؤرِّخي الشيعة، كالشيخ المفيد وابن طاووس وابن نما من هذا الصنف).

الصنف الثاني: يثبت حضور الإمام زين العابدين عليه السلام في ذلك الوقت، وهو الذي تولّى مواراة الشهداء ودفنهم، وبيده أنزل أباه عليه السلام إلى ضريحه المقدَّس[1].

إنّ من بين المسائل التي نعتقد أنّ التخطيط الإلهي السماوي قد شملها ـ ضمن أحداث واقعة الطفّ ـ هي مسألة دفن شهداء واقعة عاشوراء، فإنّها بلا شكّ لم تكن بتخطيط وتنفيذ من أهل الغاضرية بمفردهم، وإنّما عملية إلهية سماوية على مستوى التخطيط والتنفيذ على حدّ سواء.

يقول أحد الباحثين: «**إنّ طريقة دفن الإمام عليه السلام وأهل بيته وأصحابه المستشهدين بين يديه عليهم السلام على النحو والتوزيع المعروف من خلال قبورهم ـ والمتسالم عليه بلا خلاف ـ لا يمكن لبني أسد من أهل الغاضرية، وهم من أهل القرى الذين لم يشهدوا المعركة أن**

---

(١) المظفّر، بطل العلقمي: ج٣، ص٢٦٢.

يحققوا ذلك بدون مُرشد عارف تماماً بهؤلاء الشهداء وبأبدانهم ولباسهم ـ خصوصاً وأنّ الرؤوس الشريفة كانت قد قُطعت وبقيت الأجساد الشريفة بلا رؤوس ـ فلولا هذا المرشد المطّلع العالم لما أمكن لبني أسد من أهل الغاضرية التمييز بين شهيد وآخر، ولولاه لكان الدفن عشوائيّاً بلا معرفة، ولم يكن ليتحقق هذا الفصل المقصود وهذا التوزيع المدروس بين هذه القبور على ما هي عليه الآن»(١).

إذن؛ يمكن أن ندّعي أنّ المنفِّذ للتخطيط الإلهي لعملية مواراة أجساد الشهداء في كربلاء هو الإمام زين العابدين عليه السلام، والذي كان حضوره بطريق الإعجاز الغيبي؛ لأنّه كان سجيناً عند ابن زياد في الكوفة.

ويوجد لدينا دليلان على هذه الدعوى:

١ـ **الدليل العقائدي**: ونقصد به القاعدة العقائدية التي تقول: (المعصوم لا يلي أمره إلّا معصوم)، وهي من القواعد الثابتة والمتّفق عليها بين الإماميّة.

يقول الشيخ المظفر: «**وهذا هو الأوفق بمنهج مذهب الجعفريّة وأُصول قواعد الإماميّة، بل هذه العقيدة أصل من أُصول مذهب الاثني عشرية من أنّ المعصوم لا يتولّى أمره إلّا المعصوم، وقد دلّت عليه الأحاديث الصحيحة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام، واحتجّوا به على مخالفيهم...**»(٢).

وقد عقد الكليني في الكافي باباً مستقلاً بعنوان: (إنّ الإمام لا يغسّله إلّا إمام من الأئمّة عليهم السلام)(٣)، ثمَّ أورد فيه العديد من تلك الأحاديث.

٢ـ **الدليل التاريخي**: مع أنّ كتب التاريخ المتقدِّمة ساكتة عن هذه القضية، إلّا أنّنا سنعتمد كقرينة تاريخية: الخبر الوارد لدى الكشّي (ت٣٢٨هـ) الذي نقل مناظرة جرت

---

(١) الطبسي، مع الركب الحسيني من المدينة إلى المدينة: ج٥، ص١٤٢.

(٢) المظفر، بطل العلقمي: ج٣، ص٢٦٢ ـ ٢٦٣.

(٣) الكليني، الكافي: ج١، ص٥٧٠.

بين الإمام الرضا عليه السلام وبين زعماء الواقفة، تفيد أنّ حضور الإمام السجاد عليه السلام عملية الدفن كان أمراً معروفاً ومسلّماً به عند رواة الحديث من الشيعة، بحيث إنّ الإمام الرضا احتجّ به على الواقفة.

وممّا جاء في تلك الرواية: «... **قال له [للإمام الرضا] علي [بن أبي حمزة]: إنّا روينا عن آبائك عليهم السلام أنّ الإمام لا يلي أمره إلّا الإمام مثله، فقال له أبو الحسن [الرضا]: فأخبرني عن الحسين بن علي عليه السلام كان إماماً أو كان غير إمام؟ قال: كان إماماً. قال: فمَنْ وليَ أمره؟ قل: علي بن الحسين. قال: وأين كان علي بن الحسين؟ قال: كان محبوساً في يد عبيد الله بن زياد في الكوفة. قال: خرج وهم كانوا لا يعلمون حتى وليَ أمر أبيه ثمّ انصرف...**»[1].

وقد اشتهر على ألسنة المتأخرين والمعاصرين من مؤرِّخي الشيعة القول بأنّ دفن الشهداء قد تمّ في اليوم الثالث عشر من المحرَّم[2].

ومع أنّه لم ينصّ أحد مؤرِّخي الشيعة القدامى على هذا القول بشكل صريح، إلّا أنّه يُدعم بعدّة أُمور:

١ـ اشتهاره على ألسنة أُدباء الطفّ، مثل سيف بن عميرة النخعي الكوفي الذي، يقول في أحد أبيات قصيدته:

عـارٍ بـلا كفـن ولا غسـل سـوى مـــور الريـــاح ثلاثـــة لم يُقـــبر

وهذا الشاعر من أصحاب الإمامين الصادق والكاظم عليهما السلام، وهو أحد الثقات المكثرين والعلماء المصنِّفين[3]، فمن المحتمل أن يكون قد سمع هذا المعنى وتلقّاه من الإمام الصادق أو الكاظم عليهما السلام.

---

(١) الكشي، رجال الكشي: ص٣٣٢. المسعودي، إثبات الوصية: ص٢٠٧ ـ ٢٠٨.

(٢) المقرّم، زين العابدين: ص٤٠٢. الأمين، المجالس السنية: ج١، ص١٢٨. التستري، الخصائص الحسينيّة: ص٣٤٤. المظفر، بطل العلقمي: ج٣، ص٢٥٩.

(٣) بحر العلوم، الفوائد الرجالية: ج٣، ص٣٦ ـ ٣٧.

٢ـ ورد هذا المعنى أيضاً على لسان الشريف الرضي في قصيدته الرائية، ومنها[1]:

لله ملقى على الرمضاء غصّ فم الردى بين إقدام وتشمير

تحنو عليه الربى ظلاً وتستره عن النواظر أذيال الأعاصير

تهابه الوحش أن تدنو لمصرعه وقد أقام ثلاثاً غير مقبور

والشريف الرضي من أعلام القرن الرابع الهجري، وأمره في العلم والفضل والأدب والورع وعفّة النفس وعلو الهمّة والجلالة أشهر من أن يُذكر[2]. فهو في عداد العلماء المتقدِّمين، ومِن المستبعد أن يُضمِّن شعره وقائع تاريخية من دون أن يكون له حجّة فيها.

٣ـ أورد ابن قولويه (ت٣٦٨هـ) أبياتاً ناحت بها الجنُّ على الإمام الحسين عليه السلام، وفيها أنّ الإمام الحسين عليه السلام ظلّ على الثرى ثلاثة أيام[3]:

باتت ثلاثاً بالصعيد جسومهم بين الوحوش وكلهم في مصرع

وهذه الأبيات تمثّل نصّاً تاريخياً يدلّ على وجود مَن يتبنّى الرأي المشار إليه قبل القرن الرابع الهجري.

٤ـ الخلل في دلالة وصحّة قول القائلين بأنّ الدفن كان في اليوم الحادي عشر، فإذا كان الدفن ـ كما أجمعوا ـ قد حصل بعد رحيل عمر بن سعد، فإنّ رحيله تمَّ بعد اليوم العاشر، وذهبت أكثر المصادر إلى حصوله في اليوم الحادي عشر مثل البلاذري والطبري، فليس من المعقول أنّ بني أسد قد قاموا بعملية الدفن في نفس اليوم الذي تمّ فيه الرحيل، خصوصاً إذا التفتنا إلى أنّ بعض النقول تقول: إنّهم لم يكونوا في قريتهم آنذاك، ولذلك يجوز أن يكون الدفن قد حصل في اليوم الثاني عشر، وهو الظاهر من كلام السيد هبة

(١) ابن شهرآشوب، المناقب: ج٣، ص٢٥٩ نقلاً عن الجابري، دفن شهداء الطف: ص٣٦ ـ ٣٧، وممّا تجدر ملاحظته أنّنا لم نجد البيت الثالث في كتاب المناقب المطبوع في بيروت سنة ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.

(٢) القمّي، الكنى والألقاب: ج٢، ص٢٧٢.

(٣) ابن قولويه، كامل الزيارات: ص١٠١.

الدين الشهرستاني في كتابه نهضة الحسين عليه السلام، إذ يقول: «**هذا وما عتمت عشية الثاني عشر من محرّم إلّا وعادت إلى أرياف كربلاء عشائرها الظاعنة عنها بمناسبة القتال، وقُطّان نينوى والغاضريات من بني أسد...، فتأمّلوا في أجساد زكية تركها ابن سعد في السفوح وعلى البطح تسفي عليها الرياح...**»(١).

فيحتمل ألّا تبلغ الأخبار برحيل الجيش إلى بني أسد إلّا يوم الثاني عشر، لانقطاع المارّة هيبة ورهبةً للجيش، فإن كانوا في حيّهم نزولاً، فقد يجوز أنّهم دفنوهم في اليوم الثاني عشر، وهو ثالث يوم قتلهم، فيكون بقاؤهم بلا دفن يومان ونصف(٢).

٥ـ حضور الإمام زين العابدين عليه السلام عملية الدفن: وهو من القرائن المرجِّحة لحصول الدفن في اليوم الثالث عشر، إذ حضر مع الأسديين لمواراة الأجساد الطاهرة في الطفّ بأُسلوب إعجازي، فخرج من سجن ابن زياد وهم لا يعلمون(٣).

والذي نريد الإشارة إليه هو أنّ المظنون أنّ الإمام زين العابدين عليه السلام قد دخل إلى السجن في اليوم الثالث عشر من المحرّم استناداً إلى شواهد وقرائن تاريخية، منها:

١ـ نصّت أكثر المصادر على حصول الرحيل في اليوم الحادي عشر، وقد نصَّ بعضهم على حصوله بعد الزوال(٤).

٢ـ هناك بعض الشواهد تكشف عن وصول الجيش وعائلة الإمام الحسين عليه السلام إلى الكوفة في النهار، فيكونون قد باتوا ليلة الثاني عشر في منزل قريب من الكوفة، ودخلوها في اليوم الثاني عشر، لاسيما وأنّ دخولهم نهاراً لا ليلاً أمر يقتضيه العامل الإعلامي، وزهو الانتصار، والمباهاة بالظفر لدى كلّ مِن عبيد الله بن زياد وعمر بن سعد وأعوانهما(٥).

---

(١) الشهرستاني، هبة الدين، نهضة الحسين عليه السلام: ص١٧٨.

(٢) المظفر، بطل العلقمي: ج٣، ص٢٦٠.

(٣) سنتوسَّع في ذلك بعد قليل.

(٤) المفيد، الإرشاد: ص٣٥٢. ابن طاووس، اللهوف: ص٩١.

(٥) الطبسي، مع الركب الحسيني من المدينة إلى المدينة: ج٥، ص١٤٤.

٣ـ انشغال الإمام زين العابدينعليه السلام والعائلة في اليوم الذي دخلوا فيه الكوفة بعدّة أشياء، كعرضهم على ابن زياد، وإلقائهم الخطب وغير ذلك.

فمِن مجموع هذه القرائن يمكن أن نستنتج أنّ أوّل أيّام سجن الإمام زين العابدينعليه السلام والعائلة في الكوفة هو اليوم الثالث عشر من المحرّم. وبما أنّ الإمام الرضاعليه السلام قد أشار في مناظرته مع الواقفة إلى أنّ حضوره لدفن الإمام الحسينعليه السلام[1] كان إعجازياً؛ فخرج من سجن ابن زياد وهم لا يعلمون، فيستنتج أنّ هذا الحضور كان يوم الثالث عشر من المحرّم.

---

(١) إنّ الذي عليه منهج الإمامية، بل إنّه يعدّ أصل من أُصول مذهب الاثني عشرية هو أنّ «المعصوم لا يتولّى أمره إلاّ المعصوم»، وقد عقد الكليني في الكافي باباً مستقلاً بعنوان (أنّ الإمام لا يُغسِّله إلاّ إمام من الأئمةعليهم السلام). يُنظر: الجزء الأول: ص٥٧٠.

الخاتمة

تتبَّعنا عِبْر الصفحات السابقة بعض الشبهات التي أُلحقت بشخصية الإمام الحسين عليه السلام وثورته العظيمة، وحاولنا من خلال البحث الموضوعي ورصد الشواهد الدقيقة تفنيدها، وإلقاء الضوء على ذلك الفكر المنحرف المتناقض الذي حكم توجهات مُثيروا تلك الشبهات.

فقد حاول أصحاب الشبهات أن يُظهروا الإمامَ الحسين عليه السلام بصورة الرجل الساذج الذي ينخدع بتحضيض ابن الزبير له على الخروج من مكّة إلى العراق تارة، أو برسائل الكوفيين المؤيِّدة تارة أُخرى، ولا يُقيم وزناً للناصحين بعدم الخروج، وأنّه بلا كفاءة إدارية أو سياسية أو عسكرية؛ لأنّ حساباته قد أخطأت في إيصاله إلى أُمنيته الذاتية في الحكم، فلم يعدّ العدّة الكافية لتحقيق غرضه، وصمّم على المضي إلى الكوفة؛ لأنّه ظنّ أنّ أهلها سيرجعون لمبايعته حال ظهوره بينهم، وهو بهذا قد اغترّ بقوم ليس لهم عهد، فمضى إلى حتفه بظلفهِ ـ كما يعبِّرون ـ وبالتالي، فهو يشترك في تحمُّل تبعة المصير الذي آلَ إليه.

ومن ناحية أُخرى أصبحت ثورة الإمام الحسين عليه السلام في نظر هؤلاء خروج غير مبرر، وفتنة لا يصحّ تأييدها؛ لأنّها جاءت لتفرقة كلمة المسلمين بعد اجتماع، ولخلع مَنْ بايعه الناس!! ولم يتورّعوا عن إسناد ذلك إلى أحاديث نبويّة موضوعة حثّت على طاعة الحاكم وإن كان ظالماً، وحذَّرت من تبعات الثورة على العُسف والجور.

إنّها ألسنة التبرير للحاكم الظالم التي حاولت التماهي مع الحكّام الفَسقة، وتعطيل

فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر التي ترسَّخت دينياً وسياسياً بممارسة الإمام الحسين عليه السلام لها فعلياً، على أعلى مستوى من الشعور بالمسؤولية تجاه مفاسد الحكم الأُموي في عهد معاوية ويزيد.

وقد وضعنا بين يدي القارئ الكريم جملة من الردود العلمية لهذه التحريفات والتشويهات.

ونختم كتابنا بتمثُّل ذلك النداء الذي بقي على مدى الأجيال يصمّ آذان الجبّارين، ويُفرح المظلومين: «... **الحمد لله الذي قصم عدوك الجبّار العنيد الذي انتزى على هذه الأُمّة بغير رضا منها، ثمَّ قتل خيارها، واستبقى شرارها، وجعل مال الله دولة بين جبابرتها وأغنيائها فبُعداً له كما بعدت ثمود...**».

المصادر والمراجع

إنّ خير ما نبتدأ به: القرآن الكريم

نهج البلاغة، تعليق وفهرسة: صبحي الصالح، تحقيق: فارس تبريزيان، ط٣، قم، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

أولاً: المصادر الأوليّة

ـ ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الجزري (ت٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م).

١ـ أُسد الغابة في معرفة الصحابة، ط بيروت، ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٧م.

٢ـ الكامل في التاريخ، ط ٤، بيروت، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

ـ الأربلي، أبو الحسن علي بن عيسى بن أبي الفتح (ت٦٩٢هـ/ ١٢٩٢م)

٣ـ كشف الغمّة في معرفة الأئمّة، قدَّم له: أحمد الحسني، ط قم، ١٣٧٩هـ/ ١٩٥٩م.

ـ الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد (ت٣٥٦هـ/ ٩٦٦م).

٤ـ مقاتل الطالبيين، شرح وتحقيق: السيد أحمد صقر، ط إيران، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

ـ ابن أعثم، أبو محمد أحمد الكوفي (ت٣١٤هـ/ ٩٢٦م).

٥ـ كتاب الفتوح، تحقيق: علي شيري، ط بيروت، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م.

ـ البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل (ت٢٥٦هـ/ ٨٦٩م).

٦ـ صحيح البخاري، ط بيروت، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

ـ ابن بكار، الزبير (ت٢٥٦هـ/ ٨٩٦م).

٧ـ الأخبار الموفقيات، تحقيق: سامي مكّي العاني، ط بغداد، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.

ـ البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد (ت٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م).

٨ـ معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق: مصطفى السقا، ط٣، القاهرة، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

ـ البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر (ت٢٧٩هـ/ ٨٩٢م).

٩ـ جمل من أنساب الأشراف، حقّقه وقدَّم له: سهيل زكّار ورياض زركلي، ط بيروت، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

١٠ـ فتوح البلدان، إشراف: لجنة تحقيق التراث، ط بيروت، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م.

ـ البيروني، أبو الريحان محمد بن أحمد (ت٤٤٠هـ/ ١٤٠٨م).

١١ـ الآثار الباقية عن القرون الخالية، ط بغداد، (بلا.ت).

ـ البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين (ت٤٥٨هـ/ ١٠٦٥م).

١٢ـ دلائل النبوّة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، تحقيق: عبد المنعم قلعجي، ط٢، بيروت، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

ـ الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة (ت٢٩٧هـ/ ٩٠٩م).

١٣ـ الجامع الصحيح ـ سنن الترمذي، ط بيروت، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

ـ التميمي، أبو حنيفة النعمان بن محمد (ت٣٦٣هـ/ ٩٧٣م).

١٤ـ شرح الأخبار في فضائل الأئمّة الأطهار عليهم السلام، ط بيروت، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.

ـ ابن تيمية، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم (ت٧٢٨هـ/ ١٣٢٧م).

١٥ـ رأس الحسين، تحقيق ودراسة: السيد الجميلي، ط٢، بيروت، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

١٦ـ منهاج السنّة النبوية، ط بيروت، (بلا.ت).

ـ الثقفي، أبو إسحق إبراهيم بن محمد بن سعيد بن هلال (ت٢٨٣هـ/ ٨٩٦م).

١٧ـ الغارات (أو الاستنفار والغارات)، حقّقه وعلَّق عليه: السيد عبد الزهراء الحسيني الخطيب، ط بيروت، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

ـ الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت٢٥٥هـ/ ٨٦٨م).

١٨ـ رسائل الجاحظ، رسالة النابتة، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، ط القاهرة، ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م.

ـ ابن جبير، أبو الحسين محمد بن أحمد البلنسي (ت٦١٤هـ/ ١٢١٧م).

١٩ـ اعتبار المناسك في ذكر الآثار الكريمة والمناسك، ط بيروت، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨١م.

٢٠ـ تذكرة بالأخبار عن اتّفاقات الأسفار (رحلة ابن جبير)، ط مصر، (بلا.ت).

ـ الجرجاني، علي بن محمد (ت٨١٦هـ/ ١٤١٣م).

٢١ـ شرح المواقف، ط مصر، ١٣٢٥هـ/ ١٩٠٧م.

ـ ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م).

٢٢ـ الرد على المتعصِّب العنيد، تحقيق: محمد كاظم المحمودي، (د.م)، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٢م.

ـ الحاكم النيسابوري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت٤٠٥هـ/ ١٠١٤م).

٢٣ـ المستدرك على الصحيحين، تحقيق: محمود مطرجي، ط بيروت، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

ـ ابن حجر، أحمد الهيتمي المكّي (ت٩٧٤هـ/ ١٥٦٦م).

٢٤ـ الصواعق المحرقة في الردّ على أهل البدع والزندقة، ط بيروت، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

ـ ابن حجر، شهاب الدين أحمد بن علي العسقلاني (ت٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م).

٢٥ـ الإصابة في تمييز الصحابة، وبهامشه الاستيعاب لابن عبد البرّ، ط بيروت، ١٣٢٨هـ/ ١٩١٠م.

٢٦ـ الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق: محمد سيد جاد الحقّ، ط مصر، (بلا. ت).

ـ ابن أبي الحديد، عزّ الدين أبو حامد بن هبة الله بن محمد المدائني (ت٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م).

٢٧ـ شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م.

ـ الحرّاني، أبو محمد الحسن بن علي بن شعبة (من علماء القرن الرابع الهجري، العاشر الميلادي).

٢٨ـ تحف العقول عن آل الرسول عليهم السلام، تصحيح: علي أكبر غفاري، طهران، ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٣م.

ـ ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن حزم الظاهري (ت٤٥٦هـ/ ١٠٦٣م).

٢٩ـ الفصل في الملل والأهواء والنحل، ط٢، بيروت، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.

ـ ابن حمدون، أبو المعالي محمد بن الحسن بن محمد بن علي (ت٥٦٢هـ/ ١١٦٦م).

٣٠ـ التذكرة الحمدونية، تحقيق: إحسان عباس وبكر عباس، ط بيروت، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

ـ ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد (ت٢٤١هـ/ ٨٥٥م).

٣١ـ مسند أحمد، ط بيروت، (بلا.ت).

ـ ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد الحضرمي (ت٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م).

٣٢ـ تاريخ ابن خلدون (العِبَر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومَن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر)، ط بيروت، ١٤٠٠هـ/ ١٩٧٩م.

ـ الخوارزمي، الموفق بن أحمد بن محمد (ت٥٦٨هـ/ ١١٧٢م).

٣٣ـ مقتل الحسين، تحقيق: محمد السماوي، ط قم، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

ـ ابن خياط، أبو عمرو خليفة بن خياط بن أبي هبيرة العصفري (ت٢٤٠هـ/ ٨٥٤م).

٣٤ـ تاريخ خليفة بن خياط، راجعه وضبطه ووثّقه ووضع حواشيه وفهرسه: الدكتور مصطفى نجيب فواز والدكتورة حكمت كشلي فواز، ط بيروت، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

ـ الدميري، كمال الدين بن موسى بن عيسى (ت٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م).

٣٥ـ حياة الحيوان الكبرى، صححه: عبد اللطيف سامر، ط قم، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

ـ ابن أبي الدنيا، أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان (ت٢٨١هـ/ ٨٩٤م).

٣٦ـ كتاب الأشراف، تحقيق: وليد قصّاب، ط الدوحة، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

ـ الدولابي، أبو بشر محمد بن أحمد بن حمادة الأنصاري (ت٣١٠هـ/ ٩٢٢م).

٣٧ـ الذرّية الطاهرة، تحقيق: محمد جواد الحسيني الجلالي، ط٢، بيروت، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م.

ـ الدينوري، أحمد داود (ت٢٨٢هـ/ ٨٩٥م).

٣٨ـ الأخبار الطوال، تحقيق: عبد المنعم عامر، مراجعة: جمال الدين الشيّال / ط٢، قم ١٣٧٩هـ/ ١٩٥٩م.

ـ الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م).

٣٩ـ دول الإسلام، ط بيروت، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

ـ الزبيري، أبو عبد الله المصعب بن عبد الله (ت٢٣٦هـ/ ٨٥٠م).

٤٠ـ نسب قريش، عنى بنشره وتصحيحه: أ. ليفي بروفنسال، ط القاهرة، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

ـ سبط بن الجوزي، يوسف بن فرغلي البغدادي (ت٦٥٤هـ/ ١٢٥٦م).

٤١ـ تذكرة الخواص من الأُمّة بذكر خصائص الأئمّة عليهم السلام، تحقيق: حسين علي زادة، ط قم، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

ـ ابن سعد، محمد بن منيع (ت٢٣٠هـ/ ٨٤٤م).

٤٢ـ الطبقات الكبرى، ط بيروت، (بلا.ت).

ـ السلاوي، أبو العباس أحمد بن خالد الناصري (ت١٣١٥هـ/ ١٨٩٧م).

٤٣ـ الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق: جعفر الناصري ومحمد الناصري، ط الدار البيضاء، ١٣٦٥هـ/ ١٩٤٥م.

ـ السيوطي، أبو الفضل جلال الدين بن عبد الرحمن (ت٩١١هـ/ ١٥٠٥م).

٤٤ـ تاريخ الخلفاء، ضبط وتحقيق: رضوان جامع رضوان، ط مصر، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

٤٥ـ طبقات الحفاظ، تحقيق: علي محمد عمر، ط مصر، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م.

ـ الشيرواني، حيدر علي بن محمد (من أعلام القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي).

٤٦ـ ما روته العامّة من مناقب أهل البيت عليهم السلام، تحقيق: محمد الحسّون، ط٢، إيران، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

ـ الصنعاني، عبد الرزاق بن همام (ت٢١١هـ/ ٨٢٦م).

٤٧ـ المصنف، تحقيق: حبيب عبد الرحمن الأعظمي، ط بيروت، (بلا.ت).

ـ ابن طاووس، علي بن محمد بن موسى بن جعفر بن محمد (ت٦٦٤هـ/ ١٢٦٥م).

٤٨ـ اللهوف في قتلى الطفوف، ط قم، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

ـ الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي (ت٣٦٠هـ/ ٩٧٠م).

٤٩ـ المعجم الكبير، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، ط٢، القاهرة، (بلا.ت).

ـ الطبرسي، أبو منصور أحمد بن علي (ت٦٢٠هـ/ ١٢٢٣م).

٥٠ـ الاحتجاج، تعليقات: محمد باقر الموسوي الخرسان، ط بيروت، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

ـ الطبري، محمد بن جرير (ت٣١٠هـ/ ٩٢٢م).

٥١ـ استشهاد الحسين، تحقيق: السيد الجميلي، ط٢، بيروت، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

٥٢ـ تاريخ الأُمم والملوك، تقديم ومراجعة: صدقي جميل العطار، ط٢، بيروت، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

٥٣ـ جامع البيان عن تأويل القرآن (المعروف بتفسير الطبري)، ضبط وتعليق: محمود شاكر، ط بيروت، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.

ـ الطريحي، فخر الدين (ت١٠٨٥هـ/ ١٦٧٤م).

٥٤ـ المنتخب في جمع المراثي والخطب، ط النجف، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م.

ـ ابن الطقطقي، محمد بن علي بن طباطبا (ت٧٠١هـ/ ١٣٠١م).

٥٥ـ الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، مراجعة: محمد عوض إبراهيم بك وعلي الجارم، ط٢، مصر، (بلا.ت).

ـ الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن (ت٤٠٦هـ/ ١٠٦٧م).

٥٦ـ أمالي الشيخ الطوسي، ط قم، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

ـ ابن طولون الدمشقي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن علي الصالحي (ت٩٥٣هـ/ ١٥٤٦م).

٥٧ـ قيد الشريد من أخبار يزيد، دراسة وتحقيق: كرم حلمي فرحات، ط القاهرة، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م.

ـ ابن الطولوني، الحسن بن الحسين بن أحمد (٩٢٣هـ/ ١٥١٧م).

٥٨ـ النزهة السنيّة في أخبار الخلفاء والملوك المصرية، تحقيق: محمد كمال الدين عزّ الدين علي، ط بيروت، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م.

ـ ابن عبد البرّ، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد (ت٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م).

٥٩ـ الاستيعاب في معرفة الأصحاب بهامش الإصابة لابن حجر، ط بيروت، ١٣٢٨هـ/ ١٩١٠م.

ـ ابن عبد الحقّ البغدادي، صفي الدين عبد المؤمن (ت٧٣١هـ/ ١٣٣٨م).

٦٠ـ مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق وتعليق: علي محمد البجاوي، ط بيروت، ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٤م.

ـ ابن عبد ربّه، أبو عمر أحمد بن محمد الأندلسي (٣٢٨هـ/ ٩٣٩م).

٦١ـ العُقد الفريد، شرحه وضبطه: أحمد أمين وآخرون، ط القاهرة، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٥م.

ـ ابن العديم، كمال الدين عمر بن أحمد بن أبي جرادة (ت٦٦٠هـ/ ١٢٦١م).

٦٢ـ ترجمة الإمام الحسين من كتاب بُغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق: عبد العزيز الطباطبائي، ط قم، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

ـ ابن العربي، أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد المعافري (ت٥٤٣هـ/ ١١٤٨م).

٦٣ـ العواصم من القواصم، حقّقه وعلّق حواشيه: محبّ الدين الخطيب، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

ـ ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسين بن هبة الله (ت٥٧٣هـ/ ١١٧٧م).

٦٤ـ ترجمة ريحانة رسول الله الإمام الشهيد الحسين بن علي بن أبي طالبعليهما السلاممن تاريخ مدينة دمشق، تحقيق: محمد باقر المحمودي، ط بيروت، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٨م.

ـ ابن العمراني، محمد بن علي بن محمد (ت٥٨٠هـ/ ١١٨٤م).

٦٥ـ الإنباء في تاريخ الخلفاء، تحقيق: قاسم السامرائي، ط ليدن، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م.

ـ الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد بن أحمد الطوسي الشافعي (ت٥٠٥هـ/ ١١١١م).

٦٦ـ إحياء علوم الدين بذيله المغني عن حمل الأسفار في تخريج ما في الأحياء من الأخبار، ط بيروت، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

ـ الفرّاء، أبو يعلي محمد بن الحسين الحنبلي (ت٤٥٨هـ/ ١٠٦٥م).

٦٧ـ الأحكام السلطانية، صححه وعلّق عليه: محمد سامر الفقي، ط ٢، مصر، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م.

ـ ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت٢٧٦هـ/ ٨٨٩م).

٦٨ـ الإمامة والسياسية، علَّق عليه ووضع حواشيه: خليل منصور، ط بيروت، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

٦٩ـ المعارف، ط٢، بيروت، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

ـ القرطبي، أبو عمران موسى بن عبد الله (ت٦٠١هـ/ ١٢٠٤م).

٧٠ـ الجامع لأحكام القرآن، ط بيروت، ١٣٠٥هـ/ ١٩٨٤م.

ـ القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي (ت٨٢١هـ/ ١٤١٨م).

٧١ـ صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ط القاهرة، ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م.

ـ ابن قولويه، أبو القاسم جعفر بن محمد (ت٣٦٧هـ/ ٩٧٧م).

٧٢ـ كامل الزيارات، صححه وعلَّق عليه: عبد الحسين الأميني، ط النجف، ١٣٥٦هـ/ ١٩٣٧م.

ـ ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر الشافعي (ت٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م).

٧٣ـ البداية والنهاية في التاريخ، تحقيق: محمد عبد العزيز النجار، ط الرياض، (بلا.ت).

ـ الكشّي، محمد بن عمر بن عبد العزيز(ت٣٢٨هـ/ ٩٣٩م)

٧٤ـ رجال الكشي، قدَّم له وعلّق عليه ووضع فهارسه: السيد أحمد الحسيني، ط بيروت،

١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

ـ الكليني، محمد بن يعقوب (ت٣٢٩هـ/ ٩٤٠م)

٧٥ـ الكافي، تحقيق: علي أكبر غفاري، ط٥، طهران، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م.

ـ الكنجي الشافعي، أبو عبد الله محمد بن يوسف بن محمد (ت٦٥٨هـ/ ١٢٥٩م).

٧٦ـ كفاية الطالب في مناقب علي بن أبي طالب عليه السلام، تحقيق: محمد هادي الأميني، ط٣، طهران، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م.

ـ ابن ماجة، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت٢٧٥هـ/ ٨٨٨م).

٧٧ـ تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد مطيع الحافظ، ط٢، بيروت، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م.

٧٨ـ سنن ابن ماجه، ط بيروت، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

ـ الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري (ت٤٥٠هـ/ ١٠٥٨م).

٧٩ـ الأحكام السلطانية والولايات الدينية، ط٢، مصر، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م.

ـ محبّ الدين الطبري، أحمد بن عبد الله (ت٦٩٤هـ/ ١٢٩٤م).

٨٠ـ ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى، تقديم ومراجعة: جميل إبراهيم حبيب، ط بغداد، (بلا.ت)

ـ أبو مخنف، لوط بن يحيى بن سعيد الغامدي الأزدي (ت١٥٧هـ/ ٧٧٣م).

٨١ـ مقتل الحسين عليه السلام، تعليق: الحسن بن عبد الحميد الغفاري، ط قم، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٧م.

٨٢ـ نصوص من تاريخ أبي مخنف، استخراج وتنسيق وتحقيق: كامل سلمان الجبوري، ط بيروت، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.

ـ المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت٣٤٦هـ/ ٩٥٧م).

٨٣ـ إثبات الوصية للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، ط٢، بيروت، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م.

٨٤ـ التنبيه والإشراف، ط بيروت، ١٤١٤هـ، ١٩٩٣م.

٨٥ـ مروج الذهب ومعادن الجوهر، عني بتنقيحه وتصحيحه: شارل بلا، ط قم، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

ـ مسلم، أبو الحسين بن الحجاج القشيري (ت٢٦١هـ/ ٨٧٤م).

٨٦ـ صحيح مسلم، ط بيروت، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

ـ المقدسي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن البناء البشاري (ت٣٨٠هـ/ ٩٩٠م).

٨٧ـ أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، وضع مقدمته وهوامشه وحواشيه: محمد مخزوم، ط بيروت، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م.

ـ المقريزيي، أبو العباس تقي الدين أحمد بن علي (ت٨٤٥هـ/ ١٤٤١م).

٨٨ـ المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، المعروف بالخطط المقريزية، ط بيروت، (بلا.ت).

ـ المنذري، زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوي (ت٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م).

٨٩ـ الترغيب والترهيب من الحديث الشريف، ضبطه وخرّج آياته وأحاديثه: إبراهيم شمس الدين، ط٣، بيروت، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

ـ ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد مكرم الإفريقي المصري (ت٧١١هـ/ ١٣١١م).

٩٠ـ لسان العرب، مراجعة وتدقيق: يوسف البقاعي وآخرون، ط بيروت، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

ـ الشيخ المفيد، محمد بن محمد بن النعمان العكبري (ت٤١٣هـ/ ١٠٢٢م).

٩١ـ الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، ط قم، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

ـ المنقري، نصر بن مزاحم (ت٢١٢هـ/ ٨٢٧م).

٩٢ـ وقعة صفين، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، ط قم، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

ـ ابن النديم، أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب المعروف بالوراق (ت٣٨٠هـ/ ٩٩٠م).

٩٣ـ الفهرست، تحقيق رضا تجدد، ط طهران، (بلا.ت).

ـ النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب (ت٣٠٣هـ/ ٩١٥م).

٩٤ـ خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، تحقيق: محمد الكاظم المحمودي، ط إيران، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

٩٥ـ سنن النسائي، ط بيروت، (بلا.ت).

ـ النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت٧٣٣هـ/ ١٣٣٢م).

٩٦ـ نهاية الإرب في فنون الأدب، ط القاهرة، (بلا.ت).

ـ ابن هشام، أبو محمد عبد الملك المعافري (ت٢١٨هـ/ ٨٣٣م).

٩٧ـ السيرة النبوية، علّق عليه: طه عبد الرؤوف سعد، ط بيروت، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.

ـ الهلالي، سليم بن قيس (ت٧٦هـ/ ٦٩٥م).

٩٨ـ كتاب سليم بن قيس الهلالي، تحقيق: محمد باقر الأنصاري الزنجاني، ط٢، إيران، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

ـ ابن الوردي، زين الدين عمر بن مظفر (ت٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م).

٩٩ـ تاريخ ابن الوردي، ط بيروت، ١٤١٧هـ، ١٩٩٦م.

ـ ياقوت، شهاب الدين بن عبد الله الحموي الرومي (ت٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م).

١٠٠ـ معجم البلدان، ط بيروت، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٧م.

ـ اليعقوبي، أحمد بن إسحق بن جعفر بن وهب (ت بعد سنة ٢٩٢هـ/ ٩٠٤م).

١٠١ـ تاريخ اليعقوبي، علّق عليه: خليل المنصور، ط بيروت، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

ثانياً: المقابلات الشخصية:

ـ محمود إسماعيل عبد الرازق، أستاذ في كلية الآداب / جامعة عين شمس، مصر.

١) ٧ مايس، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م في كلية الآداب / جامعة عين شمس، مصر.

٢) ١٠ مايس، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م في كلية الآداب / جامعة عين شمس، مصر.

٣) ١٣ مايس، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م في داره بالمنصورة، مصر.

ثالثاً: المراجع العربية والمعرّبة:

ـ إبراهيم، محمد أبو الفضل وعلي محمد البجاوي.

١ـ أيّام العرب في الإسلام، ط٤، القاهرة، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.

ـ الأمين، السيد محسن

٢ـ المجالس السنية، ط٥، بيروت، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.

ـ اوسبورن.

٣ـ الماركسية والتحليل النفسي، ترجمة: د. سعاد الشرقاوي، ط٢، القاهرة، ١٤٠١هـ/ ١٩٨٠م.

ـ بحر العلوم، مهدي

٤ـ الفوائد الرجالية، ط طهران، (بلا.ت).

ـ بيضون، إبراهيم.

٥ـ الحجاز والدولة الإسلامية ـ دارسة في إشكالية العلاقة مع السلطة المركزية في القرن الأوّل الهجري، ط بيروت، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

٦ـ من دولة عمر إلى دولة عبد الملك ـ دراسة في تكوين الاتّجاهات السياسية في القرن الأوّل الهجري، ط قم، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.

ـ التستري، جعفر

٧ـ الخصائص الحسينيّة، ط بيروت، (بلا.ت)

ـ الجابري، عامر

٨ـ دفن شهداء واقعة الطف ـ دراسة تاريخية تحليلية، ط النجف، ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م.

ـ الجبري، عبد المتعال

٩ـ حوار مع الشيعة حول الخلفاء الراشدين وبني أُمية، ط مصر، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م.

ـ جعفر، صادق.

١٠ـ المشروع الاستراتيجي للنبي وأوصيائه عليهم السلام، ط بيروت، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م.

ـ الجمل، وحيد عبد الحكيم.

١١ـ سيرة الحسين في الشعر العربي حتى نهاية العصر العباسي الأوّل، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب/ جامعة القاهرة، ١٤٠١هـ/ ١٩٨٠م.

ـ الجميلي، السيد.

١٢ـ تحقيق ودراسة كتاب استشهاد الحسين للإمام الطبري ويليه رأس الحسين لشيخ الإسلام ابن تيمية، ط٢، بيروت، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

ـ الجندي، عبد الحليم.

١٣ـ الإمام جعفر الصادق، ط القاهرة، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م.

ـ حسن، إبراهيم حسن.

١٤ـ تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ط٧، القاهرة، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.

ـ حسن، علي إبراهيم.

١٥ـ زعماء الإسلام ـ تراجم ٣١ من زعماء المسلمين من البعثة النبوية إلى آخر العصر الأُموي، ط القاهرة، ١٤٠١هـ/ ١٩٨٠م.

١٦ـ التاريخ الإسلامي العام ـ الجاهلية ـ الدولة العربية ـ الدولة العباسية، ط٦، القاهرة، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

ـ الحسني، السيد نبيل

١٧ـ الأنثروبولوجيا الاجتماعية الثقافية لمجتمع الكوفة عند الإمام الحسين عليه السلام ـ دراسة إسلامية في علم الأناسة المعاصر، ط بيروت، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

ـ الحسني، هاشم معروف.

١٨ـ سيرة الأئمّة الاثنى عشر، ط٥، إيران، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.

ـ حسين، طه.

١٩ـ الفتنة الكبرى (عثمان بن عفان)، ط ١٣، القاهرة، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

ـ حمادة، محمد ماهر.

٢٠ـ دراسة وثقية للتاريخ الإسلامي ومصادره من عهد بني أُمية حتى الفتح العثماني لسورية ومصر، ط بيروت، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م.

ـ الحوفي، أحمد محمد.

٢١ـ آدب السياسة في العصر الأُموي، ط بيروت، ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م.

ـ خالد، خالد محمد.

٢٢ـ أبناء الرسول في كربلاء، ط ٨، القاهرة، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

ـ الخربوطلي، علي حسني

٢٣ـ عشر ثورات في الإسلام، ط٢، بيروت ١٣٩٩هـ، ١٩٧٨م.

٢٤ـ المختار الثقفي مرآة العصر الأُموي، ط مصر، ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٢م.

ـ الخضري بك، محمد.

٢٥ـ محاضرات تاريخ الأُمم الإسلامية ـ الدولة الأُموية ـ ط مصر، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٧م.

ـ خليف، يوسف.

٢٦ـ حياة الشعر في الكوفة إلى نهاية القرن الثاني للهجرة، ط القاهرة، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م.

ـ دسوقي، محمد عزب

٢٧ـ القبائل العربية في بلاد الشام منذ ظهور الإسلام إلى نهاية العصر الأُموي، ط مصر، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

ـ رضا، محمد

٢٨ـ الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنّة، ط بيروت، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

ـ الريس، محمد ضياء الدين.

٢٩ـ الخراج والنظم المالية للدولة الإسلامية، ط٥، القاهرة، ١٤٠٦/ ١٩٨٥م.

ـ زراقط، عبد المجيد.

٣٠ـ دراسات في التراث الأدبي، ط بيروت، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

ـ زيدان، جرجي.

٣١ـ غادة كربلاء، ط بيروت، (بلا.ت).

ـ الساعدي، نعمة هادي.

٣٢ـ الإمام الحسين عليه السلام والفكر السياسي، ط بيروت، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

ـ السحار، عبد الحميد جودة.

٣٣ـ أهل بيت النبي، ط مصر، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٧م.

٣٤ـ حياة الحسين، ط مصر، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٧م.

ـ سرور، محمد جمال الدين.

٣٥ـ الحياة السياسية في الدولة العربية الإسلامية خلال القرن الأول والثاني بعد الهجرة، ط القاهرة، ١٤٠٠هـ/ ١٩٧٩م.

ـ سعد، طه عبد الرؤوف وسعد حسن محمد.

٣٦ـ السيدة زينب أُخت الحسين، ط القاهرة، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

ـ أبو السعود

٣٧ـ الشيعة النشأة السياسية والعقيدة الدينية، ط ٢، القاهرة، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

ـ شاه ناصر الدين.

٣٨ـ العقائد الشيعيّة (تعريف بالفرق الشيعية ونقدها)، ط مصر، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٧م.

ـ شاهين، حمدي.

٣٩ـ الدولة الأُموية المفترى عليها ـ دراسة الشبهات وردّ المفتريات، ط٢، القاهرة، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

ـ الشرقاوي، عبد الرحمن

٤٠ـ ثآر الله ـ الحسين ثائراً، الحسين شهيداً (مسرحية شعرية)، ط القاهرة، ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م.

ـ الشريف، أحمد إبراهيم.

٤١ـ دور الحجاز في الحياة السياسية العامّة في القرنين الأول والثاني الهجري، ط القاهرة، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م.

ـ شلبي، أحمد

٤٢ـ موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية ـ الدولة الأُموية والحركات الفكرية والثورية خلالها، ط٩، القاهرة، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

ـ الشمري، هزاع بن عبد.

٤٣ـ حقائق عن أمير المؤمنين يزيد بن معاوية، ط اليمامة، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.

ـ شمس الدين، محمد مهدي.

٤٤ـ أنصار الحسين / دراسة عن شهداء ثورة الحسين الرجال والدلالات، ط طهران، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م.

٤٥ـ ثورة الحسين ظروفها الاجتماعية وآثارها السياسية، ط٦، بيروت، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

٤٦ـ نظام الحكم والإدارة في الإسلام، ط ٧، بيروت، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

ـ الشهرستاني، السيد هبة الدين

٤٧ـ نهضة الحسين، ط بغداد، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م

ـ صالح، أحمد عباس.

٤٨ـ اليمين واليسار في الإسلام، ط٢، بيروت، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م.

ـ صالح، محمد أمين.

٤٩ـ العرب والإسلام من البعثة النبوية حتى نهاية الخلافة الأُموية ، ط القاهرة، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

ـ صبري، أحمد.

٥٠ـ رأس الحسين تناقض العوامل الذاتية ومنهج الحراك التاريخي، ط مصر، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م.

ـ صبيح، محمود السيد.

٥١ـ أخطاء ابن تيمية في حقّ رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته، ط مصر، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

٥٢ـ خصوصية وبشرية النبي صلى الله عليه وآله عند قتلة الحسين، ط القاهرة، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

ـ الصدر، محمد باقر.

٥٣ـ الحسين يكتب قصّته الأخيرة، تحقيق وتعليق ومراجعة: صادق جعفر الروازق، ط قم، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.

ـ الصدفي، شريف راشد.

٥٤ـ أبداً حسين، ط قم، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

ـ الطبسي، محمد جعفر

٥٥ـ مع الركب الحسيني من المدينة إلى المدينة ـ وقائع الطريق من كربلاء إلى الشام، ط قم، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.

ـ الطبسي، محمد جواد.

٥٦ـ مع الركب الحسيني من المدينة إلى المدينة ـ وقائع الطريق من مكّة إلى كربلاء، ط قم، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

ـ عابدين، محمد علي.

٥٧ـ الدوافع الذاتية لأنصار الحسين، ط٣، قم، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م.

ـ عبد الأخر، أبو الوفا أحمد.

٥٨ـ التآمر على التاريخ الإسلامي، راجعه وقدّم له: الدكتور محمد كامل البنا، ط القاهرة، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

ـ عبد الحميد، صائب.

٥٩ـ تاريخ الإسلام الثقافي والسياسي مسار الإسلام بعد الرسول ونشأة المذاهب، ط بيروت، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

٦٠ـ ابن تيمية حياته عقائده موقفه من الشيعة وأهل البيت، ط قم، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.

ـ عبد العال، محمد.

٦١ـ الحالة السياسية للمدينة المنوّرة إبان الحكم الأُموي، ط دسوق، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

ـ العلايلي، عبد الله.

٦٢ـ الإمام الحسين سمو المعنى في سمو الذات، ط بيروت، (بلا.ت).

ـ عبد العليم، محمد محمود.

٦٣ـ سيدنا الأمام الحسين، ط القاهرة، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م.

ـ عبد اللطيف، عبد الشافي محمد.

٦٤ـ العالم الإسلامي في العصر الأُموي (٤١هـ ـ ١٣٢هـ/ ٦٦١م ـ ٧٥٠م) دراسة سياسية، ط القاهرة، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م.

ـ العقّاد، عباس محمود.

٦٥ـ أبو الشهداء الحسين بن علي، تحقيق: محمد جاسم الساعدي، ط طهران، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

ـ أبو علم، توفيق.

٦٦ـ الحسين بن علي، ط ٦، القاهرة، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

ـ عويس، عبد الحليم.

٦٧ـ بنو أُمية بين السقوط والانتحار، ط القاهرة، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م.

ـ عويس فهمي.

٦٨ـ شهيد كربلاء الإمام الحسين بن علي بن أبي طالبعليهما السلام، ط مصر، ١٣٦٨هـ/ ١٩٤٨م.

ـ عياد، عبد الرحمن.

٦٩ـ نظام الحكم والصحوة الإسلامية، ط القاهرة، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.

ـ عيسى، إبراهيم.

٧٠ـ دم الحسين قصّة قتل سيدنا الحسين والانتقام من القتلة، ط القاهرة، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

ـ عيش، محمد أحمد.

٧١ـ صوت الحسين، ط القاهرة، ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م.

ـ غريب، مأمون.

٧٢ـ الإمام الحسينعليه السلام حياته استشهاده، ط القاهرة، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

٧٣ـ بطلة كربلاء السيدة زينبعليها السلام، ط القاهرة، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩هـ.

ـ غنيم، عبد العزيز.

٧٤ـ الثورات العلويّة في العصر الأُموي، ط القاهرة، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م.

ـ فرحات، كرم حلمي.

٧٥ـ دراسة في مقدّمة تحقيق كتاب قيد الشريد من أخبار يزيد لابن طولون الدمشقي (ت٩٥٣هـ/ ١٥٤٦م)، ط القاهرة، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

ـ فلهاوزن، يوليوس.

٧٦ـ أحزاب المعارضة السياسية الدينيّة في صدر الإسلام: الخوارج، والشيعة، ترجمه عن الألمانية: الدكتور عبد الرحمن بدوي، ط ٢، (د.م)، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧١.

ـ القرضاوي، يوسف.

٧٧ـ تاريخنا المفترى عليه، ط القاهرة، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

ـ قرون، عرفات القصبي.

٧٨ـ عظمة الإمام الحسين، ط مصر، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٧م.

ـ القمّي، الشيخ عباس

٧٩ـ الكنى والألقاب، (د.م)، (بلا.ت)

ـ كاشف الغطاء، الشيخ محمد حسين

٨٠ـ نبذة من السياسة الحسينيّة، ط بيروت، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.

ـ الكرمي، ناصر.

٨١ـ الإمام الحسين كما رأيت، ط إيران، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

ـ كريم، سامح.

٨٢ـ أعلام في التاريخ الإسلامي في مصر أفكار للتجديد ومواقف للحياة، ط ٢، القاهرة، ١٤١٧ هـ/ ١٩٩٧م.

ـ أبو كف، أحمد.

٨٣ـ آل بيت النبي عليهم السلام في مصر، ط٣، القاهرة ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

ـ لطفي، حسن أحمد.

٨٤ـ الشهيد الخالد الحسين بن علي، ط مصر، ١٣٦٧هـ/ ١٩٤٧م.

ـ ماجد، عبد المنعم.

٨٥ـ التاريخ السياسي للدولة العربية عصور الجاهلية و النبوة والخلفاء الراشدين، ط٦، القاهرة،

١٤٠٠هـ/ ١٩٧٩م.

ـ محمد، أحمد رمضان أحمد.

٨٦ـ حضارة الدولة العربية في عهد الرسول والخلفاء الراشدين والدولة الأُموية ، ط مصر، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٨م.

ـ محمد، أحمد فهمي.

٨٧ـ ريحانة الرسول سيدنا الحسين، ط القاهرة، (بلا.ت).

ـ محمد، سعاد ماهر.

٨٨ـ مساجد مصر وأوليائها الصالحون، ط القاهرة، ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م.

ـ محمد، سعد حسن.

٨٩ـ أهل البيت في مصر، تقديم: طه عبد الرؤوف سعد، ط القاهرة، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

ـ مرجان، زينب فاضل رزوقي.

٩٠ـ أحوال مصر الإدارية والاقتصادية والاجتماعية من التحرير حتى نهاية العصر الراشدي، ط بغداد، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

ـ مشتهري، عبد اللطيف.

٩١ـ سيد شباب أهل الجنة الإمام الحسين، ط مصر، (بلا.ت).

ـ المظفر، عبد الواحد

٩٢ـ بطل العلقمي، ط بيروت، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٩م.

ـ منصور، محمود.

٩٣ـ الشقيقان في كربلاء الإمام الحسين والسيدة زينب، ط ٢، القاهرة، ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م.

ـ الميلاني، السيد علي الحسيني،

٩٤ـ مَن هم قتلة الحسين؟ شيعة الكوفة؟ ط قم، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.

ـ النجار، عامر.

٩٥ـ الشيعة وإمامة علي، ط القاهرة، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

ـ النجار، عبد الوهاب.

٩٦ـ الخلفاء الراشدون، ط بيروت، ١٤٠٠هـ/ ١٩٧٩م.

ـ النجار، محمد الطيب.

٩٧ـ الدولة الأُموية في الشرق بين عوامل البناء ومعاول الفناء، ط٣، القاهرة، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٧م.

ـ النصراوي، حسن عبد الأمير.

٩٨ـ رأس الحسين عليه السلام من الشهادة إلى الدفن، ط بيروت، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

ـ نصر الله، إبراهيم.

٩٩ـ آثار آل محمد عليهم السلام في حلب، ط حلب، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.

ـ أبو النصر، عمر.

١٠٠ـ الحسين بن علي حفيد محمد بن عبد الله، ط بيروت، ١٣٥٣هـ/ ١٩٣٤م.

١٠١ـ فاطمة بنت محمد عليها السلام، ط بيروت، ١٣٥٣هـ/ ١٩٣٥م.

ـ النفيس، أحمد راسم.

١٠٢ـ على خطى الحسين، ط ايران، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

ـ الهديبي، حبيب إبراهيم.

١٠٣ـ قراءات في بيانات الثورة الحسينيّة وأبعادها الرئيسية ـ العقيدي السياسي الاجتماعي الروحي الإعلامي، ط إيران، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

ـ الورداني، صالح.

١٠٤ـ السيف والسياسة صراع بين الإسلام النبوي والإسلام الأُموي، ط بيروت، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

ـ يوسف، أحمد يعقوب.

١٠٥ـ أمير المؤمنين سيدنا عثمان بن عفان ثالث الخلفاء الراشدين من الإسلام إلى الاستشهاد، ط القاهرة، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

ـ يوسف، حسين محمد.

١٠٦ـ سيد شباب أهل الجنّة الحسين بن علي عليه السلام، ط القاهرة، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م.

رابعاً: الرسائل الجامعية

ـ الجابري، علي رحيم أبو الهيل

١ـ السياسة الأُموية المضادّة للإمام علي عليه السلام ـ دراسة في سياسة السبّ، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة البصرة، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.

ـ الحسناوي، ختام راهي مزهر.

٢ـ المعارضة في الدولة العربية الإسلامية (١١هـ/ ٦٣٢م ـ ٤١هـ/ ٦٦١م)، أُطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب / جامعة الكوفة، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.

ـ علي بيج، أمير جواد كاظم

٣ـ الحائر الحسيني دراسة تاريخيّة (٦١هـ/ ٦٨٠م ـ ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب / جامعة الكوفة، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.

خامساً: الموسوعات ودوائر المعارف:

ـ شريفي، محمد وآخرون

١ـ موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام، ط قم، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.

المحتويات